

# بنومرين بالمغرب وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانية

في القرنين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م.

دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعليق وتحليل

الأستاذ عمر سعيدان



منشورات سعيدان

سوسة - الجمهورية التونسية

نوفمبر 2002

# **بنو مرين بالمغرب وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانيّة**

**في القرنين الأوّل والثاني من القرن الرابع عشر (م)**

**دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل وفهارس**

**الأستاذ**

**عمر سعيدان**

**مكتبة الخير**

**منشورات سعيدان**

**سوسة - الجمهورية التونسية.**

**جانفي 2003**

مكتبة الخير

# **القسم الأول**

## **دراسة تاريخية**

**العلاقات القطلانية المرينية في الثلثين الأول  
والثاني من القرن الرابع عشر (م)**



## الباب الأول

نشأة الدولة المرينية وأهم  
سلاطينها ووقائعها التاريخية



## - توطئة : الدولة المرينية وأهم السلاطين والأحداث

عرف المغرب في القرن الرابع عشر دولة عتيقة أصيلة البلاد وقبائل زناتة البربرية حكمت بفاس وسيطرت على كامل المغرب الأقصى ، هي الدولة المرينية. ولقد سيطرت لفترة طويلة على المغرب الأوسط بتلمسان وعلى إفريقية بتونس وبجاية خاصة أيام السلطان الكبير أبي الحسن<sup>(1)</sup> علي بن أبي سعيد وابنه أبي عنان في مدة محدودة. وشكلت هذه الدولة قوة عظمى بالمنطقة جعلتها تكون الراعية للإسلام بالأندلس وبالثغور الإسلامية بالساحل الإسباني المهددة دوما من الأجوار المسيحيين بقشتالة وأراغون وقطالنية الإسبانية. وكانت الدولة المرينية محترمة. مهابة. تخشاها الدول المسيحية وتحرص على

---

(1) - أبو الحسن المريني (721 - 752): كان استولى على المغرب الأوسط والأدنى وأقام بتونس وبعث بخمسة آلاف جندي مع ابنه أبي مالك إلى بني الأحمر لمحاربة قشتالة. وكان توفي بهنتاتة خارج مراكش بعد عودته من تونس في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة 752هـ. وتولى الحكم في 25 من ذي القعدة سنة 731هـ بعد موت أبيه السلطان أبي سعيد.



التعامل معها بحذر وعلى عدم مواجهتها ومصادمتها لا سيما المملكة القطلانية بأراغون. وكانت تهبّ لنجدة المسلمين بالأندلس عند الاستصراح وتبدو الرّادعة والحامية بل الرّاحفة والمتربّصة.

وكانت هذه الدّول المسيحية الإسبانية لا تتردّد في مخاطبة ودّها وطلب مساعدتها ونجدها عند الخطر مثلما فعل ملك قشتالة ألفونس عندما ثار عليه ابنه سنة 1323م، كما كانت أنجدة الحفصيين بتونس وبجاية عند هجوم بني عبد الواد على التّخوم الحفصية ومحاولة استيلائهم على قسنطينة وبجاية وكذلك الدّولة الزيانية بتلمسان بالمغرب الأوسط.

وكان ملك أرغون جاقمو الثاني في عهد السّلطان العظيم يوسف طلب إقامة علاقات متميّزة وتحالف ضدّ القشتاليين وكذلك فعل ملك قشتالة نفسه وملوك غرناطة من بني الأحمر. وربط الحفصيون بالمرينيين علاقات صداقة وتحالف متينة منذ ماهرة السّلطان أبي سعيد للسّلطان الحفصي أبي بكر وقبول السّلطان يوسف الدّعوة للحفصيين دون الموحدّين في عهد الخليفة الحفصي أبي زكرياء.

واتّسمت هذه العلائق دائماً بالعداء مع بني عبد الواد  
بتلمسان وأحياناً مع بني الأحمر المهدّدين دوماً من قبل  
القشتاليين والحذرين من المرينيين والمنافسين لهم لذلك  
كانوا لا يتردّدون في الدسّ لهم والتّحالف مع أعدائهم كلّما  
كانت الفرصة سانحة. ومع ذلك كان المرينيون يهبّون دائماً  
لنجدتهم عند استصراخهم ويندفعون لحماية أرض الإسلام  
المهدّدة.

وفي هذا الإطار حرص ملك أراغون أن يعقد حلفاً مع  
أجواره المرينيين ويهادنهم لتوفير الأمن لرعاياه بحراً وبراً  
ولتشجيعهم على الاتّجار مع المرينيين وضمان الكسب  
والثراء للتّجار القطلانيّين ومؤسّساتهم التجاريّة التي تنامت  
في عهد جاقمو الثاني ومهدّت للإمبراليّة التجاريّة العصريّة  
فكان طلب الرّبح الهمّ الأكبر لملك أراغون. وعمد عن طريق  
التّجارة إلى إيقاف التّوسّع القشتاليّ بالأندلس والمغرب  
وضمان توسّع أراغون على الضّفاف الإسبانيّة والأندلسيّة  
المتوسّطيّة بصفة تدريجيّة لكن ثابتة وهادفة وذلك بعد أن  
استطاع السّيطرة على جزر البحر الأبيض المتوسّط:  
ميورقة، كورسيكا، سردينيا، صقلية ثمّ جربة وقرقنة  
بالسّاحل التّونسي. فلقد اتّبع التّاج الأراغوني مع المرينيين

مثلما كان فعل مع الحفصيين سياسة هادئة حذرة مرنة  
مراوغة مشجعة على التجارة وعلى العمارة فكان همّه  
التجارة وكراء المراكب وحماية الطريق البحرية المتوسطية.

ولتحقيق هذه السياسة وللوصول إلى أهدافه عمل ملك  
أراغون جاقمو على أن يكون له أقوى أسطول بالبحر  
الأبيض المتوسط وصناعة سفن ببرشلونة بمختلف المراسي  
الأراغونية الهامة مزدهرة وناشطة فبفضل ذلك شكّل أكبر  
قوة بحرية في القرن الرابع عشر م كانت عماد الإمبرالية  
الأراغونية الناشئة والمهيمنة بالمنطقة وحوض البحر الأبيض  
المتوسط بأكمله. وكانت القوة المقابلة والمتوازنة معها تتمثل  
في الدولة المرينية المتسعة الأطراف والقوية بجيشها وثروتها  
وانتصاراتها. وكان هذا الوضع سببا من أسباب التحالف  
بين الدولتين والتعاون بينهما وتجنب الاصطدام بل العمل  
على التفاهم والتّراسل حتّى في فترات التجافي والتّعادي  
بسبب القطع وإغارات القراصنة.

فكان عموما هذا هو الطابع المميّز للعلاقات القطلانية  
المرينية وفي هذا المناخ تمّ تبادل الرّسائل والسّفراء وإبرام  
العقود والمعاهدات التي تتمثّل في هذه الوثائق التي تُعرّف

بها وتعتمدها هذه الدراسة.

ولتفهم هذه العلاقات والتعرف على أصحابها وأغراضهم بدا لنا أنه لا بدّ من التعريف بالدولة المرينية وبمراحل نشأتها وسلطينها وشخصياتهم للنفاذ إلى روح هذه المراسلات والمعاهدات ومعايشة أجوائها وتموجاتها.

فنقدّم في القسم الأوّل مراحل نشأة الدولة المرينية وأهمّ سلطينها الذين لهم صلة بهذه الوثائق ثمّ خصائص العلاقات المرينية الإسبانية: القشتالية والقطلانية وأهمّ الأحداث التي طبعتها مع النصارى والمسلمين بغرناطة والأندلس ثمّ النتائج التي حققتها بالمغرب الأوسط وتلمسان. وفي قسم ثاني ننشر الوثائق بنصّها العربيّ محقّقة محلّلة مع ما بدا لنا من تعليق واستنتاج.

ونأمل أن نكون قد ساهمنا بذلك في خدمة تاريخنا المغاربيّ وتقديم مائة خامّ ثريّة وأساسيّة تساعد على إعادة كتابة تاريخ بلادنا المغاربيّة وتفهم حقبة زمنيةّ كان لها أبعدُ الأثر على مصير مغربنا العربيّ الكبير بل أمّتنا العربيّة الإسلاميّة بأكملها.

## 1 . نشأة الدولة المرينية

### أ - أصل المرينين

ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه <sup>(1)</sup> أنَّ بني مرين من زناتة القبائل البربرية الهامة بالمغرب. وقسم جيل زناتة إلى طبقتين: الطبقة الأولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس وبنو يفرن ملوك سلا والطبقة الثانية هي التي كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الأقصى، وكانوا رُحلاً يسكنون الخيام ويتخذون الإبل ويركبون الخيل ويتقلبون في الأرض ويتنقلون بين إفريقية والمغرب.

فمن زناتة ببلاد النخيل ما بين غدامس والسُوس الأقصى حتى عامة القرى الجريدية بالصَّحراء (جنوب تونس اليوم ببلاد الجريد) قبائل بالقلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية وبجبل أوراس بقايا من هذه القبائل سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم

---

(1) - الجزء السادس. فصل بني مرين. ط. بيروت.

والأكثر منهم بالمغرب الأوسط<sup>(1)</sup> حتّى أنّه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ومن هذه القبائل بالمغرب الأقصى بطون أخرى، فيقول ابن خلدون: "وكان بنو مريم منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب أحياء ظواعن بمجالات القفر من فيجج إلى سجلماصة إلى ملوية وربّما يخطون في ظعنهم إلى بلاد الزّاب"<sup>(2)</sup>.

ويذكر نسابتهم أنّ الرّئاسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمّد بن ورزيز بن فكوس بن كرماط بن مريم ومريم يتّصل نسبه بزانا بن يحيى أبي الجيل.

ويؤكد النّاصريّ في الاستقصاء<sup>(3)</sup> أنّ محمّد بن ورزيز هذا لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حمّامة بن محمّد وكان الأكبر من ولده ثمّ من بعده شقيقه عسكر بن محمّد ثمّ ابنه المخضّب بن عسكر الذي هلك سنة 546هـ في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن بن علي الخليفة

---

(1) - يعني المغرب الأوسط: الجزائر اليوم.

(2) - المرجع السابق.

(3) - الاستقصاء في تاريخ ملوك المغرب الأقصى للنّاصري. ط. الدّار البيضاء بالمغرب سنة 1156م.

الموحّدي والمرابطين ثمّ قام بأمر بني مريّن بعده المخضّب ابن عمّه أبو بكر بن محمّد بن حمّامة بن محمّد إلى أن هلك فقام بأمرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبي بكر ولم يزل مُطاعاً فيهم إلى أن استنفرهم الخليفة الموحّدي يعقوب المنصور إلى غزوة الأرك بالأندلس فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو بن أبي بكر يومئذ جراحات هلك منها بصحراء الرّاب سنة 592هـ فخلفه على رئاسة بني مريّن ابنه عبد الحقّ المؤسّس الحقيقيّ لملك بني مريّن.

## ب - دخول بني مريّن أرض المغرب الأقصى

مَا هو السّبب في دخول بني مريّن المغرب الأقصى ؟

خاض الخليفة النّاصر الموحّدي معركة العُقاب بالأندلس سنة 609هـ وهُزم هزيمة نكراء وهلك جمهور كبير من حامية المغرب ورعاياه "حتّى خلت البلاد من أهلها" ثمّ حدث عقب ذلك الوباء العظيم الذي قضى على كثير من القوم. ولقد هلك النّاصر نفسه سنة 610هـ فبايع الموحّدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبيّ حدث لا يُحسن التدبير وانشغل بالملذّات والمتع وأهمّل شأن الرعيّة فتضافرت هذه الأسباب على الدّولة الموحّديّة فأضعفتها

لحينها وأمرضتها المرض الذي كان سببا في هلاكها.

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة يتنقلون في تلك القفار والصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة ولا يؤدون لها ضريبة ولا يعرفون تجارة ولا حرثا إنما شغلهم الصيد وطراد الخيل والإغارة على أطراف البلاد.

وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوه وقت الربيع والصيف فيرعون فيها تلك المدة ويتزودون بما يحتاجون حتى إذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم "بأكريسيف" ثم شدوا الرحلة إلى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين.

ويذكر ابن خلدون أنه لما "كانت سنة 610هـ أقبل نجعهم على عادتهم للارتزاق والارتفاق حتى إذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيلهم ورجاله وفنيت حماته وأبطاله وعريت من أهله أوطانه ووجدوا مع ذلك البلاد طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الأكناف فسيحة المزارع متوفرة العشب لقلّة راعيها وعدم غاشيها فأقاموا بمكانهم وبعثوا إلى إخوانهم



فأخبروهم بحال البلاد وخصبها وأمتها فاغتنموا الفرصة وأقبلوا بنجعهم وأهلهم وانتشروا في نواحي المغرب واكتسحوا بالغارت والنهب سهولها وبسيطها". وتمّ لهم بذلك ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وكان الانتشار والاكتماح بقيادة أميرهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن محمد المريني.

وبلغ الأمر إلى الخليفة الموحد بمراكش يوسف المنتصر الشاب اللاهي فأمر بتجهيز الجيوش والتصدي للمرينيين واتصل الخبر ببني مرين وهم في جهات الرّيف وبلاد مطوية فتركوا أثقالهم وعيالهم بتازوتا بالرّيف وتوجّهوا إلى الموحدين فالتقى الجمعان بوادي نكور<sup>(1)</sup> وتمّت المعركة بخفض الوادي ما بين رباط تازا والمقرمدة فتغلب المرينيون وقتلوا الموحدين وشرّدوهم وسلّبوهم أمتعتهم وكلّ ما معهم وكان ذلك سنة 613هـ. ثمّ زحف الأمير عبد الحقّ بجموع بني مرين في ذي الحجة من نفس السنة إلى رباط تازا فخرج لهم العامل لقتالهم فقتلوه وهزموا جيوشه وجمع عبد

---

(1) - ابن بسّام: الذخيرة السّنية في أخبار الدولة المرينية. طبعة الجزائر ص 27 وص 31.

الحقّ الأسلاب والخيّل والسّلاح وقسّم ذلك كلّهُ في قبائل بني مرين ولم يأخذ هو شيئاً ولم يسمح لبنيه أخذ شيء وقال لهم: "يكفيكم من كلّ ذلك الثّناء والظّهور على أعدائكم"، فازدادت مكانته وقويت شوكتهُ. وكان هذا النّصر لبني مرين فاتحة العهد لملكهم وانتصاب دولتهم. ولما انتصر بنو مرين على الموحّدين اغتاز بنو عمومّتهم من بني عسكر وحسّدهم على هذه المكانة الجديدة وضّاقت نفوسهم من استقلال بني مرين، بني عمّهم حمامة بن محمّد بالرّئاسة دونهم فجاهروا بمخالفة الأمير عبد الحقّ وعشيرته في معاداتهم للموحّدين وأوليائهم من عرب رياح وسليم، وكانت رياح يومئذ أشدّ قبائل المغرب العربيّة قوّة وأقواهم شوكة، فأغراهم الموحّدون يومئذ بالرينيين أبناء عمومة بني عسكر والتّقوا معهم بوادي سبو قرب تافرطاست وكانت حرباً شديدة قتل فيها غيلة الأمير عبد الحقّ وابنه.

### ج - قيام الأمر للأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحقّ

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأميرهم وابنه غضبوا وصمّموا على الأخذ بثأرهما فاستأنفوا في الحين القتال وصارعوا العرب والموحّدين وصمدوا وصبروا حتّى انتصروا وهزموا

رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا واحتلوا مواقعهم واحتووا  
على ما كان في محلّتهم من السّلاح والخيّل والأثاث وقام  
بأمر بني مرين بعد هلاك عبد الحقّ ابنه عثمان.

ثمّ ضعفت شوكة الموحّدين وتداعى أمرهم إلى الاختلال  
وكثر العسف والجور فجمع الأمير أبو سعيد أشياخ مرين  
ودعاهم إلى القيام بأمر الدّين والنّظر في مصالح المسلمين  
فبادروا إلى تلبية دعوته. وسار أبو سعيد في نواحي المغرب  
يغزو البلاد ويدعو النّاس إلى طاعته والدّخول في عهده  
وحمايته فبايعته قبائل المغرب: هوادة وزكارة ثمّ تسول  
ومكناسة ثمّ مطوية وفشتالة. ثمّ فرض على أمصار المغرب  
مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة ضريبة يؤدّونها كلّ  
حول على أن يكفّ الغارة عنهم ويصلح سابلتهم فدخل  
جلّهم في طاعته وحمايته. وفي سنة 620هـ غزا بلاد فازاز  
ومن بها. وفي سنة 621هـ غزا عرب رياح فأثخن فيهم حتّى  
كاد يأتي عليهم.

ولم يزل ذلك دأبه من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتّى  
هلك. فلقد اغتاله عِلج له كان ربّاه صغيرا فسوّلت له نفسه  
الفتك به إذ طعنه بحربة في منحره فمات لحينه سنة  
638هـ.

وكان هذا الأمير أبو سعيد ذا نجدة وشجاعة وكرم  
ومحبة للفقهاء وأهل الصلاح فولي الأمر بعده أخوه أبو  
معرف محمد بن عبد الحق فواصل عمله . وكانت له حرب  
مع جيوش الرشيد بن المأمون انهزم فيها الموحدون وقُتل  
فيها قائد الفرنجة بالجيش الموحدى . وتراجع الموحدون  
متناقلين مهزومين . وهلك الرشيد بن المأمون سنة 640هـ  
وولي بعده أخوه الخلافة وتلقب بالسعيد فجهز جيشا  
لملاقاة المرينيين وزحف إليهم فقتل في المعركة الأمير المريني  
أبو معرف بن عبد الحق بيد قائد من قواد الفرنجة وانهزم  
المرينيون وولوا عليهم أبا بكر بن عبد الحق وكان ذلك سنة  
642هـ يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة .

## 2 . دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق

### أ - شخصيته

كان هذا الأمير الثاني المؤسس الفعلي للدولة المرينية فهو الذي رفع من راية بني مرين وسما بها إلى مرتبة الملك وتكنى بأبي يحيى. وكان أول من جند الجنود منهم وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد. بايعه بعد مهلك أخيه بنو مرين جميعا فقسّم بلاد المغرب وقبائل جباينة من بني مرين وأنزل كلاً منهم بناحية وحرص على أن يعمل الجميع على أن يستتب الأمن ويتوفر الرخاء فانقادت له القبائل والبطون.

### ب - غزو مكناسة وبيعة أبي زكرياء الحفصي

سار الأمير أبو بكر بألويته ونزل جبل زرهون قرب مكناسة ودعا أهلها إلىبيعة الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص صاحب افريقية لأنّ أبا بكر كان يومئذ على دعوته وفي ولايته ، وحاصرها وضيق عليها فأذعن أهلها لطاعته واقتحمها صلحا بمساعدة أخيه يعقوب بن عبد الحق الذي أقنع زعيمها أبا العافية فبعثوا بيعتهم إلى الأمير الموحد

أبي زكرياء الحفصي بتونس الذي كان استقلَّ عن الخليفة  
الموحدي بمراكش بل صار الوريث والرّمز للدّعوة الموحديّة.

ولمّا تمّ الفتح أقطع أبو بكر أخاه يعقوب ثلث جباية  
مكناسة جزاء له على وساطته ومساعدته وكان ذلك سنة  
643هـ. ولما علم السعيد الخليفة الموحدي بالأمر نهض سنة  
645هـ في جيش كبير يريد مكناسة: بني مرين أولاً ثمّ  
تلمسان ويغمراسن بن زيّان ثانياً ثمّ إفريقيّة وابن أبي  
حفص آخرًا. فخرج أبو بكر من مكناسة حين علم عظمة  
الجيش الذي أعدّه السّعي وتراجع مع قومه إلى قلعة تازوطا  
من بلاد الرّيف فتحصّنوا بها ودخل السّعيد مكناسة بدون  
قتال وتصالح مع الأمير أبي بكر فاطمأنّ وتقدّم السّعيد إلى  
تلمسان لغزو يغمراسن الزّيّاني الزّناتي والفتك به ونزل  
بقلعة تامزركت فهلك هنالك وانتَهز الأمير أبو بكر الفرصة  
فهجم على الموحدين وأثخن فيهم بـ"أكبر سيف" وتحولتْ  
للقّتال معه كتيبة الفرنجة فأجدّ السّير إلى مكناسة فدخلها  
من جديد ثمّ نهض إلى الحصون المجاورة: ملوية وطاط  
فافتتحها ودوّخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة 646هـ ثمّ  
توجّه إلى فاس فافتتحها برضا شيخها وعاملها أبي محمّد  
الفشتالي يوم الخميس السّادس والعشرين من ربيع الآخر

سنة 646هـ بعد موت السَّعيد صاحب مراكش بشهرين وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحقّ رباط تازا بعد افتكاكها من محمّد أخي أبي دبّوس الذي ولي الأمر بعد الخليفة المرتضى الذي كان خلف السَّعيد وهلك في الحرب. وكان أبو دبّوس آخر خلفاء الموحّدين بمراكش.

وبعد انتصاره رجع الأمير أبو بكر إلى فاس فقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول في السّهول وعمارة القرى والمداشر وأمّنت الطرقات ونشطت التجارة ورخصت الأسعار وصلّح أمر النّاس واغتبطوا بولايته وأصبحت فاس قاعدة حكم المرينيّين وعاصمة دولتهم. لكن ثارت عليه فاس بإيعاز من الخليفة المرتضى الموحّدي فنهض لمحاربته واسترجع الرّباط وسلا والتقى بجيشه سنة 653هـ في جبال بهلوله حوالي فاس فانهزم الموحّدون ونهض بعد ذلك إلى محاربة يغمراسن بن زيّان الذي كان ساعد المرتضى. والتقى الجيشان بأبي سنيط سنة 655هـ فانهزم يغمراسن وفرّ إلى سجلماسة صاحب تلمسان إليها فترجع إلى الورا. وعاد إلى تلمسان وسيطر أبو بكر على سجلماسة التي كان يمرّ منها طريق الذهب وتزدهر بها تجارته. وعقد أبو بكر على سجلماسة لعامله يوسف بن بزكاسن ورجع إلى فاس

فوصلها عليلاً متعباً وتوفي بها أواسط رجب سنة 656هـ  
ودفن داخل باب الجيزين بفاس بإزاء الشيخ أبي محمد  
الفشتالي وقام بالأمر بعده ابنه عمر الملقب بأبي حفص وكان  
عمّه والي تازا يعقوب بن عبد الحق رابع إخوته أبناء  
السلطان عبد الحق لم يحاول الفتنة ورضي بمياعة عمر إلا  
أن سادة مرين جميعاً لأموه وطلبوا منه تسلم الأمر من ابن  
أخيه وبإيعوده فاضطراً إلى مواجهة ابن أخيه ودخول فاس  
سنة 657هـ وإسناد إمارة مكناسة إلى ابن أخيه أبي حفص  
عمر. فتولّاها هذا السلطان الشاب المخلوع وبقي بها أياماً  
ثم قتله بعض أهله فاستتب الأمر للسلطان يعقوب فكان  
جليل القدر عظيم الشأن ويعتبر سيّد بني مرين على  
الإطلاق.



### 3 . السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ

#### أ - توطيد أركان الدولة

كان صاحب تلمسان يغمراس بن زِيَّان، لما سمع بموت السُّلْطَانِ أَبِي بَكْرٍ، جمع الجيوش واستعان بقبائل تُوْحِين ومغراوة البربرية بعد أن وعدهم ومَنَّاهم وأطعمهم ونهض إلى المغرب فالتقى بهم السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ وردَّهم على أعقابهم وتوجَّه إلى مدينة سَلَا التي استولى عليها نصارى الإسبنيول فأوقع بهم وطردهم. وعظُم من أجل ذلك شأنه وكان استبدُّ بها ابنُ أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحقَّ الذي كان يريد الأمر لنفسه وكان انتصاره في الرَّابِع من شَوَّال سنة 658هـ بعد أن كان هدمها النَّصَارَى وقتلوا أهلها وسبُّوا نساءها. فبادر هذا السُّلْطَانُ الْحَازِمُ وَالْجَدِّيُّ وَالْقَدِيرُ ببناء أسوار المدينة وكان ساهم بنفسه في إقامة السُّور كما بنى دار صناعة السِّفَنِ التي صارت تُصنع بها الأساطيل البحريَّة والمراكب الجهاديَّة وكان يجلب لها الخشب من غابة المعمورة بالمغرب. والتقى بسُلْطَانِ تلمسان يغمراسن وعقد معه المُهادنة ووضع أوزار الحرب فتحقَّق السُّلْمُ واستتبَّ الأمن وعمَّ الرِّخاء.

## ب - القضاء على الدولة الموحدية

لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيته لمانزلة المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم مراكش فسار إليهم سنة 660هـ فقتل ابنه الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وانهزم الموحدون هزيمة شنعاء بواقعة أم الرّجلين خارج مراكش ثمّ ثار ابن عم المرتضى الموحدى أبو دبّوس وهو قائد جنده وطلب الأمر لنفسه ولما شعر بالخطر فرّ إلى فاس واتّصل بالسلطان يعقوب وطلب منه المساعدة على أن يقسم معه الغنيمة<sup>(1)</sup> فكان الأمر كذلك وساعد السلطان يعقوب أبا دبّوس فتغلّب على المرتضى وافتك مراكش وتحايل على الخليفة المرتضى فقتله صهره وخلا الأمر لأبي دبّوس فتنكر للسلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ولم يف بوعده فنهض إليه السلطان يعقوب وحاصره أيّاما ثمّ سار في الجهات يحتلّها الواحدة بعد الأخرى فشعر أبو دبّوس بالعجز فاستجاش عليه يغمراسن بن زيّان صاحب تلمسان ليفتّ في عضده ويشغله

---

(1) - ابن خلدون: التّاريخ. ج 6. فصل: بنو مرين.

عن حربيه فاستجاب يغمراسن وتناسى المهادنة المبرمة واعتقد أنها فرصة سانحة للنيل من بني مريـن وإيقاف تقدّمهم وسلطانهم فأفرج السلطان يعقوب عن مراكش المحاصرة وتوجّه إلى يغمراسن بتلمسان في منتصف محرّم سنة 666هـ. فالتقى الجيشان وقتل أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيّان وتمت الواقعة بتلاّع يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الأخيرة من سنة 666هـ. وفرّ يغمراسن ثمّ رجع إلى تلمسان فتوجّه السلطان يعقوب من جديد إلى مراكش فحاصرها ثمّ أمر الجيوش بنهب مناطقها والعبث بنواحيها ومزارعها وبقي يقتل أهلها وفتيانها ويشحن فيهم إلى آخر ذي القعدة من سنة 667هـ فاجتمع أشياخ القبائل بأبي دبّوس وطلبوا منه الخروج إلى حربهم حتى يكفّ عنهم الأذى فاضطرّ إلى القبول برأيهم فخرج من مراكش في جيوش ضخمة وجموع وافرة والتقى بالمرينيين فوضع له السلطان يعقوب خطة جعلته يجري دوما وراءه والمرينيون أمامه حتّى ابتعد ولم يعد التراجع ممكنا. ولا يمكن للنجدة وصولها. وأمر عندئذ يعقوب الجيوش بالالتحام واحتلّ

مضاف أبي دبّوس إليه وتراجع فارًا إلى مراكش فأدركته  
الخيول المرينيّة والرّماة<sup>(١)</sup> فصرع واجتزأ رأسه وجيء به إلى  
السّلطان يعقوب وبذلك تمّ القضاء على الموحّدين يوم الأحد  
ثاني محرّم سنة 668هـ فتقدّم يعقوب إلى مراكش ودخلها  
ففرّ منها من تبقى من الموحّين إلى تنملل وبايعوا إسحاق  
أخا المرتضى فبقي هنالك مخدولاً إلى أن قبض عليه سنة  
674هـ وقتل هو ومن معه. وكان السّلطان يعقوب خارج  
مراكش فدخلها من جديد في موكب فخم يوم الأحد التاسع  
من محرّم سنة 674 وورث السّلطان يعقوب مُلك بني عبد  
المؤمن وقضى نهائيّاً على دولتهم.

### ج - التّهادن بين الحفصيّين والمرينيّين وتخالفهم

كان المرينيّون يدعون للحفصيّين ويحكمون في عهد أبي  
بكر بن عبد الحقّ باسمهم. فلمّا هلك الخليفة المستنصر  
الحفصي وبُويع ابنه أبو زكريّاء المدعو بالوائق اقتفى سنن  
أبيه في ذلك وعمد إلى إقرار التّحالف القائم بين الدّولتين  
وبعث إلى السّلطان يعقوب بهديّة فاخرة حافلة مع قاضي

---

(١) - الاستقصاء للنّاصري. ج 3.

بجاية أبي العباس الغماري سنة 677هـ فعظم موقعها من السلطان يعقوب واحتفى أهل المغرب كثيرا بأبي العباس رسول الواثق رغم أن السلطان يعقوب بادر بعد دخوله مراكش بقطع الدعوة إلى الحفصيين.

ورغم ذلك واصل الحفصيون التعاون مع المرينيين والتحالف معهم للتهديد المتواصل الذي كانوا يلقونه من جيرانهم بني عبد الواد وللفتن الداخلية التي شجعها بنو زيّان من تلمسان بالتعاون مع النصاري والقطلانيين بأراغون وصقلية وميورقة التي سيطر عليها التاج الأراغوني وأطرد منها ملوك بني غانية. الأعداء المستمرين للحفصيين.

## د - غزواته بالأندلس ونجدته ابن الأحمر

وفد أهل الأندلس على السلطان يعقوب يستصرخونه على العدو ملك قشتالة وقدمت عليه رسل ابن الأحمر يسألونه الإعانة والنصر، فتحرّكت همّته للجهاد وأغاثهم، وأفرج عن تلمسان التي كان يحاصرها. وهادئ يغمراسن صاحبها، ورجع إلى المغرب فأقام بفاس ثم بمراكش، وتقدّم لفتح طنجة وسبّقة بعد أن أخذ العهد لولاية ابنه أبي يعقوب. وبلغه عند وصول وفود الأندلس المستصرخة

استعداد الإفرنجة لغزو جلّ المدن الإسلامية<sup>(١)</sup> بالأندلس فاعتزم على الجهاد ثانية وعلى الغزو بنفسه فاجتاز إلى الأندلس لملاقاة النصارى بعد أن احتاط من يغمراسن بن أبي زيّان ومكائده فبعث له حفيده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد الصّح معه والتّفريّ للجهاد فاستجاب يغمراسن بعد موافقة شيوخ بني عبد الواد وأبرم الصّح مع الريّنيين وعبر السّلطان يعقوب بجيوشه من البربر والعرب وما بقي من الموحّدين الأندلس ونزل بساحة طريف والجزيرة الخضراء فدخلت مالقة في طاعته. وتردّد ابن الأحمر خوفاً منه رغم استصراخه له. وتقدّم يعقوب لمحاربة النصارى وقائدهم نونه الذي ولّاه الملك القشتالي ألفونس على الجيش لمحاربة المسلمين فتغلّب عليهم السّلطان وهزمهم شرّ هزيمة بعد نكبة معركة العقاب التي أضعفت المسلمين بالمغرب والأندلس ومكنت النصارى من استرجاع ولايات ومدن وحصون أندلسية إسلامية وأقام السّلطان يعقوب بالجزيرة ثمّ قصد إشبيلية وافتتحها وأذن ببناء مدينة جديدة بغرض المجاز من العدو لنزول عسكره بها وكانت مُلاصقة للجزيرة اشتهرت بالبنية. ثمّ أجاز

---

(١) - الاستقصاء. ج 3. ص 32 - 38.

البحر إلى المغرب في رجب من سنة 674هـ كما أمر ببناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديدة وعبر السلطان يعقوب إلى الأندلس ثانية ونزل برنطة وإشبيلية. وقد دخلها ملك الجلالقة ابن ألفونس فاكتسحها وغنم منها وسبي ثم نهض إلى قرطبة في فاتح جمادى سنة 676هـ فالتقى ابن الأحمر صاحب غرناطة فحاصرتها جيوشهما ودخلوا حصن الزهراء وخربوا ما حولها من حصون وعمران فجنى صاحب قرطبة وقتل ألفونس إلى السلم وبعث له الرهبان يلتمسون الصلح ودفع الجزية وذكر ابن خلدون أنه لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبي نسائهم وإبادة مقاتليهم وإنساف عمرانهم اجتمعوا إلى ملكهم سانحة متوجعين متذللين راجين منه الضراعة لأمر المسلمين في السلم فاستجاب لهم وأوفد على السلطان يعقوب وهو بالجزيرة الخضراء وفودا من بطارقتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويتضرعون في المهادنة فأجابهم السلطان إلى ما سأله واشترط عليهم ما تقبلوه من مسألة المسلمين كافة من قومه وغير قومه ورفع الضريبة عن التجار المسلمين ببلادهم وعقد الصلح على هذا الأساس وذلك يوم الأحد العشرين من شعبان سنة 684هـ وطلب السلطان من الملك صانشو القدوم بنفسه لإمضاء العقد فتم ذلك بحصن الصخرات على مقربة من وادي لك وطلب

منه أن يبعث<sup>(1)</sup> إليه بكتب العلم التي بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الإسلام فبعث إليه منها ثلاثة عشر جملاً فيها جمل من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغير ذلك فأمر السلطان بحملها إلى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وأثناء رجوعه توفي صاحب مالقة أبو محمد بن أشقيلولة وكان ترجاه أن يتسلم مالقة بعد موته. ففعل وعقد عليها لابنه أبي زيّان منديل بن يعقوب ودخلها السلطان يعقوب في يوم مشهود واحتفال<sup>(2)</sup> بهيج في السادس من شوال سنة 676هـ فاغتاز لذلك ابن الأحمر الذي كان يطمع في الحصول على مالقة فتآمر وكاد المكائد وشجع على الفتنة والحرب واجتاز السلطان يعقوب الأندلس الثالثة مغيثاً سنة 681هـ ملك الاسبنيول هرّاندة على ابنه سانجة الخارج عليه لضعفه وتقدمه في السن بقرطبة وطليلة فنازل قرطبة ثم أفرج عنها بعد أن غنم منها وحاصر طليطلة فأخذ فيها وغنم وسبى

(1) - الاستقصاء. ج 3. ط. الدار البيضاء. ص 48.

(2) - الاستقصاء للناصري. ط الدار البيضاء. ج 3. فصل: بنو مرين.



وأطلق أيدي الجيش والمسلمين فيها فكان النصر عظيماً  
وقفل بعد ذلك راجعاً إلى الجزيرة فالمغرب وفي هذه السنة  
أي سنة 681هـ توفي يغمراسن بن زيّان سلطان تلمسان  
وخلفه ابنه عثمان وكان أبوه أوصاه بأن لا يحارب بني  
مريّن لقوّتهم واستفحال مُلكهم وأن يتحصّن كلّما هاجموا  
وأن يُهاجم أجواره الموحّدين أصحاب تونس الحفصيّين  
فعمل ابنه عثمان بوصيّته وأوفد أخاه محمّد بن يغمراسن  
على السّلطان يعقوب وهو بالأندلس في جوازه الرّابع سنة  
684هـ في غرّة صفر لإنقاذ الحصون الإسلاميّة ونجدة  
إشبيلية<sup>(1)</sup> فعقد معه السّلّم على ما أحبّ وانكفأ راجعاً إلى  
أخيه فطابت نفسه وتفرّغ لافتتاح البلاد الشّرقيّة ومناوأة  
السّلطان الحفصي بإفريقيّة.

وفي آخر ذي القعدة من سنة 684هـ مرض السّلطان  
يعقوب وتوفيّ بقصره بالجزيرة الخضراء بالأندلس في ضحى  
يوم الثلاثاء الثّاني والعشرين من المحرمّ فاتح سنة 685هـ  
وحمل إلى رباط الفتح من بلاد العدوّة فدفن بمسجد شالة  
وتولّى الأمر بعده وليّ عهده يوسف بن يعقوب بن عبد  
الحقّ الملقّب بالنّاصر لدين الله.

---

(1) - تاريخ ابن خلدون. ج 6. ط. بيروت.

#### 4 - السِّلطان يوسف

##### أ - الفتن وإخمادها

ثار أبو عامر عبد الله بن السِّلطان يوسف مع محمّد بن عطوا عامل مرّاكش على والده وطمع في الملك لنفسه دون أبيّة فتوجّه إليه أبوه من فاس وقاتله وهزمه فالتجأ إلى تلمسان مع ابن عطوا ثمّ عفا عنه وأعادته إلى مكانه وطلب من عثمان بن يغمراسن تسليمه ابن عطوا فرفض وأغلط القول فتوجّه إليه السِّلطان يوسف ونازله وحاصر تلمسان.

##### ب - الجواز إلى الأندلس

ولما بلغه انتقاض الملك صانشو العهد ترك تلمسان وعبر إلى الأندلس لمقاتلة النصارى فبعث ملك قشتالة أساطيله إلى الرّقاق واعترض سبيل السِّلطان بمساعدة بني الأحمر ملوك غرناطة فأثخن فيهم وقتل قادة الأساطيل ببحر الرّقاق في شعبان من سنة 690هـ وتراجعت أساطيل النصارى فالتحق بهم وأغار على شريش وإشبيلية وفي فصل الشّتاء رجع إلى الجزيرة الخضراء ثمّ عبر إلى المغرب سنة 691هـ وتآمر صانشو مع ابن الأحمر الذي خشي على

مملكته من السلطان يوسف فاستولى على طريف ثم نقض عهد ابن الأحمر نفسه فاضطرّ هذا الأخير إلى الرجوع إلى السلطان يوسف واستصراخه وطلب عقد الصلح معه.

### ج - محاصرة تلمسان وبناء المنصورة

ونهب السلطان يوسف بعد ذلك إلى تلمسان حيث كان صاحبها عثمان بن يغمراسن يتربّص بالمرينيين والحفصيين فحاصرها وأدار سوراً جديداً حولها يمنع تلمسان عن العمران وحفر من ورائه خندقاً ومنع الناس من الدّخول إلى تلمسان واستمرّ كذلك مقيماً عليها مائة شهراً واختطّ حولها مدينة لإقامته ومسجداً لصلاته وشجّع الناس والعسكر على بناء المنازل الرّحبة والقصور الأنيقة فصارت مدينة عظيمة اتّسع عمرانها ونفقت أسواقها وسماها المنصورة فكانت من أعظم أمصار المغرب إلى أن خرّبها آل يغمراسن عند هلاك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها واستطاع السلطان السيطرة على كلّ الولايات والمدن المجاورة لها: ندرومة، وهران، وتشريش، مليانة، مستغانم، تنبس، وشرشال ثمّ جميع بلاد بني عبد الواد وبني توحين والجزائر التي كان بها ابن علان.

ولقد كانت وقتئذ دولة بني حفص بإفريقية قد انقسمت إلى قسمين فصار كرسي منها بتونس وآخر ببجاية فتنافس صاحب تونس وصاحب بجاية في مُصادقة السُّلطان يوسف والتَّقَرُّب إليه بالهدايا والتَّحَف.

وفي سنة 703هـ توفيَّ عثمان بن يغمراسن في الحصار عقب شربه لبنا يقال أنه كان فيه سمٌ افتعله بنفسه كمدا وخوفا من معرَّة غلبة عدوِّه عليه فاجتمع بنو عبد الواد وبايعوا محمداً بن عثمان فهبَّ كأبيه لقتال المرينيين لكنَّ السُّلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحقَّ عاجله الموت وقتله عبداً له خصي انتقاماً لخصيان القصر الذين اعتقلهم السُّلطان ونكَّل بهم حين ارتاب فيهم وذلك يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة 706هـ.

## د - السُّلطان أبو ثابت والسُّلطان أبو الربيع

وتمَّت البيعة من بعد السُّلطان يوسف لأبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحقَّ فاحتطَّ مدينة تطوان لنزول عسكره بها سنة 708هـ ولم يعمر طويلاً إذ توفيَّ ثامن شهر صفر سنة 708 فتتمَّت البيعة لأبي الربيع سليمان بن أبي عامر الذي ثار عليه الوزير عبد الرَّحمان بن

يعقوب وحاول مع قائد الحرس الإفرنجي "قَنْصَالُو" إزاحته عن الحكم ومبايعة عبد الحق بن عثمان وكان ذلك سنة 710 يوم السبت الثالث والعشرين ربيع الآخر فجاهر المعارضون بخلعهم للسلطان واستنجدوا بأبي حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان بعد هلاك أبيه غير أنّ السلطان نهض لهم وبدّد شملهم ووطّد ملكه وحسم أمره ورجع إلى تازا فاعتلّ وتوفي بها ليلة الأربعاء آخر جمادى الثانية سنة 710هـ ودفن بصحن الجامع الأعظم وأخذت البيعة لأبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الذي كان من أهل العلم والحلم والعفاف متوقفاً عن سفك الدماء فلُقّب بالسعيد.

### هـ - مبايعة أبي سعيد

وأجمع شيوخ بني مريّن والوزراء عليه فاستقدموه وبايعوه ليلتئذ فتّم أمره وبعث كتّبه إلى النواحي والجهات باقتضاء البيعة وسرّح ابنه الأكبر الأمير أبا الحسن علي بن عثمان إلى فاس فدخلها غرة رجب من سنة 710هـ وكان أبو الحسن العضد الأيمن لأبيه ساعده على القضاء على الفتن ودعم الدولة وفتح ثغور الأندلس: الجزيرة ورندة وما إليهما من الحصون.

## 5 - السُّلطان أبو سعيد وأعماله

### أ - إخماد الفتن

لما استوثق السُّلطان أبو سعيد ملكه وفرغ من شأن المغرب عزم على غزو تلمسان لنقض أبي حمّو بن عثمان بن يغمراسن العهد فدخل بلاد بني عبد الواد اكتسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة وقاتلها قتالا شديدا واستعصت عليه فحمل على تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصّن أبو حمّو بالأسوار مثلما كان أوصى جدّه فحطّم السُّلطان ضواحيها ودوّخ جبال بزناسين وأثخن فيهم. ورجع السُّلطان أبو سعيد إلى تازا فأقام بها وبعث ابنه الأمير أبا عليّ إلى فاس وكان أصغر ولديه من أمّ علجيّة فعينه وليّ عهده واختار له رئيس وزارة وملكه على الدّواوين والأمصار فحرّض بعضُ الحاشية أبا عليّ ليستبدّ بالأمر دون والده فأعلن خلع أبيه وحاصره وهزمه وتراجع إلى تازا فاشتراط عليه ابنه أبو عليّ البقاء بها والاكتفاء بحكمها وبما حولها فرضي السُّلطان بذلك مؤقتا ولحق به الأمير أبو الحسن الذي كان باراً بأبيه ورجع أبو عليّ إلى فاس فاعتلّ واشتدّ وجعه حتى أشرف على الهلاك فتوجّه خوّاصُ الدّولة إلى السُّلطان أبي سعيد وناشدوه القدوم وتلافي الأمر

وجمع جيوشه مستعيناً بابنه أبي الحسن والتقى مع عسكر  
ابنه أبي عليّ الذي اختلّ أمره فسارع بمراسلة أبيه عارضاً  
عليه الصّح على أن يقطعه سجلماسة فكال له ذلك ودخل  
السّطان أبو سعيد فاس من جديد ونزل بقصره وأصلح  
شؤون مملكه وعيّن ابنه أبا الحسن رسمياً وليّاً لعهدده وأخذ  
له البيعة ومكّنه من الدّولة.

## ب - نجدة أبي سعيد أهل الأندلس

كان توقف بنو مريّن عن غزو الأندلس لانشغالهم  
بحصار تلمسان وإخماد الحروب والفتن التي أثارها بعض  
الأمراء فتطاول الإفرنجة وراء البحر على المسلمين واستغلّ  
بترو بن صانشو ملك النّصارى القشتاليّين انشغال أبي سعيد  
بمحاربة ابنه أبي عليّ ومحاصرة تلمسان فزحف إلى  
غرناطة سنة 718هـ واستعان بالملك خوان وسبعة ملوك  
إفرنجيّين<sup>(1)</sup> من الأطراف من بينهم ملك البرتغال وكان  
جيشهم يشتمل على نحو خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان  
ومائة ألف من الرّجالة المقاتلة. ولما رأى أهل الأندلس هذا

---

(1) - ابن خلدون. الجزء السّادس. ط. بيروت. النّاصري. الاستقصاء.  
ج 3. ط. دار البيضاء.

الجيش العرمم استصرخوا السلطان أبا سعيد فقبل إنجادهم على شرط تسليمه عثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة بالأندلس والمساند لابنه أبي علي حتى يستطيع العبور في أمان فتلكؤوا في ذلك واغتتم شيخ الغزاة هذا يوم المهرجان في الخامس من جمادى الأولى من سنة 719هـ واختار مائتين من فرسان بني مرين وخالط جيش الإفرنجية الذي سمح لهم بالخالطة ظانين أنهم قديموا للمفاوضة فباغتوا الملك جوان وابنه صانشو فصرعوهما في جملة من الحاشية فانهزم الجمع واقتفى فرسان أبي عثمان شيخ الغزاة أثرهم فأثخنوا فيهم وقتلوا الكثير وأسروا ونهبوا واستولوا على أموال عظيمة من الذهب بلغت ثلاثة وأربعين قنطاراً<sup>(1)</sup> ومن الفضة مائة وأربعين قنطاراً ومن السبي سبعة آلاف نفس وكان من بين الأسرى امرأة ملك الإفرنجية وأولاده ولاد من تبقى بالفرار وخلوا سبيل غرناطة فنجا بذلك ملك بني الأحمر بعد أن قتل منهم خمسون ألفاً وهلك منهم في الجبال والشعاب مثل هذا العدد حسبما رواه

---

(1) - الاستقصاء ج 3 للناصري. الإحاطة للسان الدين الخطيب. ط. بيروت.



المؤرخون ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر مقاتلاً<sup>(١)</sup>.  
ولقد علّق جلدُ بطرو ابن صانشو على باب غرناطة وبقي  
معلّقاً سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم.

### ج - تشجيع أبي سعيد العلماء وبناء المدارس

لقد اهتم السلطان أبو سعيد بعد إخماد ثورة ابنه أبي  
عليّ من جديد وتغلّبه عليه وتمليكه ثانية سجلماسة بإعمار  
البلاد وترميم الثغور والأسوار وبناء دور العلم والمدارس  
وتشجيع العلماء والفقهاء والدّارسين فبنى مدرسة فاس  
الجديدة ودور الطلبة وأجرى الرّواتب على الفقهاء والمشايخ  
والمدرّسين وفي سنة 721هـ بنى وليّ عهده بإذن منه أبو  
الحسن المدرسة التي بغربي جامع الأندلس بفاس وحولها  
فندقاً لسكنى الطلبة وسقاية ودار وضوء وحبس رباعاً رتب  
فيها فقهاء للتّدريس وأجرى عليهم الإنفاق والكسوة وفي  
سنة 723هـ أمر السلطان ببناء المدرسة العظمى قرب جامع  
القرويين بفاس وهي المعروفة بمدرسة العطارين وبنى بها  
مسجداً ودوراً للطلبة وأجرى الرّواتب على المدرّسين وطلبة  
العلم واشترى أملاكاً عديدة أوقفها عليها وكذلك فعل ابنه

(١) - تاريخ ابن خلدون. ج 6. ط. بيروت.

ووليَّ عهده أبو الحسن، أعظم سلاطين بني مرين على الإطلاق بعد جدّه يعقوب.

## د - علاقة أبي سعيد بالسّلطان الحفصي أبي بكر

اغتنم بنو عبد الواد فرصة انشغال السّلطان أبي سعيد بإخماد الفتن وحربه مع ابنه أبي علي واهتمامه برّد هجمات نصارى الأندلس فجهّزوا الجيوش للإغارة على أحلاف المرينيّين الحفصيّين ببجاية وتونس وبدأ أبو تاشفين عبد الرّحمان بن أبي حمّو موسى عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان في مضايقة الحفصيّين واستولى على كثير من حصونهم سنة 729هـ وتحالف مع بعض أعقاب الحفصيّين، محمّد بن أبي عمران اللاّجئ بتلمسان وساعده للهجوم على سلطان تونس أبي بكر الذي خلف الواثق ونصبه سلطاناً على تونس فعلا بعد اقتحامه قصد قصبته والاستيلاء عليها ففرّ السّلطان أبو بكر إلى بونة جريحا وأرسل إلى السّلطان أبي سعيد وفدا يتركّب من ابنه الأمير أبي زكرياء ووزيره أبي محمّد عبد الله بن تافرجين فقدّمَا على أبي سعيد وبلغاه رسالة أبي بكر الحفصي فأحسن قبولهما ووعد مع ابنه الأمير أبي الحسن وليّ عهده ببذل كلّ ما عنده لنجدته والسّيّطرة على تلمسان وطرده

عدوّه أبي تاشفين.

ونَهَض السُّلْطَان أَبُو سَعِيد فَعَلَا إِلَى تَلَمْسَانَ سَنَةَ 730 هـ —  
وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى وَادِي مَلُويّة وَعَسَكَر بِصَبْرِهِ جَاءَهُ الْخَبَرُ بِعُودَةِ  
الْخَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الْحَفْصِيِّ إِلَى تُونَسٍ وَجُلُوسِهِ عَلَى كُرْسِيِّهِ  
فَاسْتَدْعَى أَبَا زَكَرِيَّا بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَأَعْلَمَهُ بِالْخَبَرِ السَّعِيدِ  
وَحَمَلَ الْوَفْدَ هَدَايَا سَنِيَّةً وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ وَبَعَثَ مَعَهُمَا  
الْقَاضِي بِحَضْرَتِهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَحَاجِبَهُ أَبَا  
عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ يَخْطُبُونَ بِنْتَ السُّلْطَانِ أَبِي بَكْرٍ  
فَاطِمَةَ لَابْنِهِ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ أَبِي الْحَسَنِ فَوَصَلُوا إِلَى الْحَفْصِيِّ  
وَأَدَّوْا الرِّسَالَةَ وَانْعَقَدَ الصَّهْرُ بَيْنَهُمْ وَزَفَّيْهَا السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ  
إِلَيْهِمْ فِي أَسَاطِيلِهِ مَعَ مَشِيخَةِ الْمُوحِدِينَ فَوَصَلُوا إِلَى مَرْسَى  
غَسَّاسَةِ سَنَةِ 731 هـ فَسَعِدَ السُّلْطَانُ أَبِي سَعِيدَ بِذَلِكَ وَاحْتَفَلَ  
اِحْتِفَالًا بِهَيْجًا وَتَحَوَّلَ بِنَفْسِهِ لِمُلَاقَاةِ الْعُرُوسِ فَمَرَضَ فِي  
طَرِيقِهِ مَرَضَ مَوْتِهِ فَحَمَلَهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى الْحَضْرَةِ:  
فَاسٍ فَأَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى قَصْرِهِ وَذَلِكَ فِي ذِي  
الْقَعْدَةِ سَنَةِ 731 هـ وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي  
الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ فَعَارَضَهُ  
أَخُوهُ عَلَى الَّذِي كَانَ ثَارَ عَلَى وَالِدِهِ فَتَصَدَّى لَهُ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ  
وَقَتْلَهُ بِسَجْلِمَاسَةِ وَتَفَرَّغَ لِمَقَاتِلَةِ الْإِفْرَنْجَةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَبَنَى عَبْدُ

## 6 - السُّلطان أبو الحسن وأعماله وإبخازاته

### أ - سيطرته على كامل المغرب وجوازه إلى الأندلس

بعد أن التقى أبو الحسن بجيوش القشتاليين وهزمهم شرَّ هزيمة واستولى على سبتة التفت إلى تلمسان فحاصرها انتقاما لصهره أبي بكر الحفصي فانقرضت الدولة الأولى لبني زِيَّان بقلمسان ومزب بها السُّلطان أبو الحسن واستولى على ما تحويه من ذخائر ونقائش وفاخر المتاع. وجمع أبو الحسن بذلك كلمة بني وآسيين من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين وسائر زُناتة وصاروا عَصَبًا واحدًا تحت لوائه وأجاز منهم قوَّادًا ورؤساء إلى ثغور عمله بالأندلس واندرجوا جميعا في جملته فاتَّسع نطاق مملكته وأصبح أبو الحسن ملك زُناتة كلّها بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوَّتين المغرب والأندلس بعد أن كان سلطان المغرب فقط وضمَّ إليهما فيما بعد سلطنة تونس وإفريقيَّة إثر موت صهره أبي بكر وظهور الفتنة بين الأمراء الحفصيين.

### ب - وقعة طريف وهلاك زوجة أبي الحسن فاطمة الحفصية

كان السُّلطان أبو الحسن كلف ابنه الأمير أبا مالك سنة

740هـ أمير الثُغُور بتجهيز الأساطيل والجيوش والتَّوَعُّل في بلاد النصارى فاكتمسحها وهزم كلَّ الذين اعترضوا سبيله وعاد بالسَّبي والغنائم فترصد له بعض الإفرنجة بمساعدة ملك غرناطة ابن الأحمر الخائف على ملكه وانقضوا عليه وهو عائِد على فرسه وغدروا به وقتلوه فاغتاظ السُّلطان أبو الحسن واستجشَّ أساطيل المسلمين من مراسي المغرب وبعث إلى أصهاره الحفصيين وطلب منهم تجهيز الأساطيل لمقاتلة الإفرنجة وجاءتْ إلى سبتة من إفريقيَّة تسعُ عشر أسطولا من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبجاية والتقتْ هذه الأساطيل بسبتة فكانت تناهر المائة وعقد عليها لمحمد بن علي العزفي صاحب سبتة فزحفوا إلى أساطيل النصارى واستلحموهم فقتلوا قائدَهم المَلند Alemande واستاقوا أساطيلهم إلى مرسى سبتة وكان الفتح عظيما وذلك يوم السَّبت سادس شَوَّال سنة 740هـ واعتبر هذا اليوم من أعزَّ أيَّام الإسلام ببلاد المغرب وبعد الاحتفال بالنصر قفل السُّلطان راجعا وأذن بالعبور لنحو ستين ألفا من الجند ونزل بساحة طريف. وأناخ عليها سنة 741هـ فوافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر في عسكر الأندلس وأحاطوا بطريف وأنزلوا بها أنواع القتال وبعث ملك النصارى أسطولا آخر اعترض به الرِّقَّاق لقطع

المرافق مِنْ عسكر المرينيّين وحاصروا السلطان أبا الحسن  
والمسلمين فغنيتْ أزوادهم. وقدمتْ جيوشُ نصرانيّة أخرى  
من البرتغال أكمّنها في طريف قرب جيش السلطان أبي  
الحسن وانقضُّوا عليه ليلا فهزموهم هزيمة نكراء وسبوا  
النساء والحريم وقتلت في المعارك فاطمة زوجة السلطان أبي  
الحسن لمّا تصدّت لهم واعترضت سبيلهم حين دخولهم  
خيمتها فكانت نكبة كبرى تألم لها أبو الحسن ازدادت  
فداحة لما استبق النصارى الهجوم وحاصروا الجزيرة  
الخضراء مستعينين بالجيوش الواردة عليهم من إشبيلية  
وبمعاودة السلطان أبي الحجاج بن الأحمر بعساكر  
الأندلس وأقام السلطان أبو الحسن بسبّعة بعد أن عبر إليها  
وبقي يبعث المدد لصاحب الجزيرة الخضراء محمّد بن  
العبّاس بن تافرّجين الذي قصّر في الدّفاع عن الجزيرة  
وفضّل الخلوص إلى السّاحل وتسليم الجزيرة للعدوّ فقدم  
أهلها إلى المغرب وتمّ استيلاء النصارى عليها سنة 743هـ  
فلامه السلطان على ذلك وعاقبه.

### ج - مصاهرته الثّانية للخليفة أبي بكر الحفصي

كان السلطان أبو الحسن شغوفاً بزوجه فاطمة باراً بها  
فتحسّر كثيراً لهلاكها وبقي في نفسه منها حنين إلى ما

شغفته به من خالها وخصالها وتاقت نفسه إلى خطبة إحدى شقيقاتها فأوفد إلى أبيها أبي بكر، عرف بن يحيى أمير عرب سُويد من بني زُغبة الهلاليين وكاتب الجبابة والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبي مرين وفتيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان الشطبي فوفدوا على السلطان أبي بكر سنة 746هـ فأنزلهم منزل البر والكرامة ولما علم بالغرض رفض أولاً غير أن حاجبه أبا محمد عبد الله بن تافرجين زين له الأمر وشجعه فقبل على مضض ووافق فانعقد الصهر بين السلطانين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبي العباس الفضل بن أبي بكر صاحب بونة. وبعد الجهاز ارتحل بها الوفد في ربيع سنة 747هـ وبعث معها ابنه الفضل ليزفها إلى السلطان أبي الحسن واتصل بهم الخير في طريقهم بوفاة السلطان أبي بكر فجأة ليلة الأربعاء ثاني رجب من سنة 747هـ وكان السلطان أبو بكر الحفصي قد عهد بالأمر بعده لابنه أبي العباس أحمد وكان أرسل مع حاجبه أبي القاسم بن عتوا كتاب العهد ليوافق عليه السلطان أبو الحسن المريني فاطلع عليه وأمضاه بخطه مباركا الولاية غير أن أبا محمد بن تافرجين بادر عند موت السلطان أبي بكر بمبايعة ابنه عمر خليفة

لأبيه لتغيّب وليّ العهد عن الحضرة رغم عدم موافقة قاضي  
تونس قاضي الجماعة أبي محمّد بن عبد السّلام وقاضي  
الأنكحة أبي عبد الله الأجمي لالتزامه ببيعة أبي العباس  
أحمد المتغيّب بالمغرب.

## د - غزو السّلطان أبي الحسن إفريقيّة

بلغ هذا الخبر السّلطان أبا الحسن الذي كان وقع  
بخطّة على وثيقة ولاية العهد للأمير عباس أحمد فقرّر  
نصرة صهره أحمد وعلم بالحرب التي دارت بين السّلطان  
الجديد عمر ووليّ العهد أبي العباس أحمد عند رجوعه  
وتغلّب عمر عليه وقتله فعزم بتشجيع من الحاجب بن  
تافرجين الذي فرّ إلى السّلطان أبي الحسن حينما أحسّ  
بالخطر من الأمير عمر وشجّع السّلطان أبا الحسن على  
التّحوّل إلى إفريقيّة واحتلالها فوق الاقتراح من نفسه موقعا  
حسنا لمكانة إفريقيّة عنده. فعقد لابنه أبي عنان على  
المغرب وجمع الجُموع من المرينيين والعرب وتوجّه إلى  
تلمسان فنزل بها في صفر سنة 740هـ وفي طريقه قدمت  
عليه أعراب إفريقيّة وؤلاة قابس وبلاد الجريد وأطاعته  
طرابلس والزّاب وبجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمّد  
بن أبي زكريّا بن أبي بكر. ولما وصل إلى قسنطينة خرج



إليه أبناء الأمير أبي عبد الله فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم إلى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم جبايتها وأنزل بقسنطينة خلفاء من بني مرين. وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب بجاية إلى ندرومة فأنزله بها وأقطع جبايتها ثم وفد عليه أمراء الكعوب من عرب سليم فأخبروه بوضع السلطان عمر بتونس فتحرك إليه وبعث إليه جنده فالتقوا به بأرض الحامة من ناحية قابس فقبضوا عليه وجزّوا رأسه ثم سرح جيشه إلى تونس فتلّقه شيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى ودخلوا في طاعته باختیارهم فدخلها في أبهة وموكب عظيم حضره الوجهاء والفقهاء والأمراء والعلماء وكان ذلك في شهر جمادى الآخر سنة 748هـ.

وكان من بين العلماء الذين كانت تعج بهم تونس: ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرّفيّع وابن راشد القفصي وابن هارون وقال ابن خلدون واصفا موكب دخول السلطان أبي الحسن إلى تونس وكان عمره وقتئذ ستّ عشر سنة: "وكان يوما لم يُر مثله فيما عقلناه" إذ وُلد ابن خلدون سنة 732هـ في غرة رمضان ودخل أبو الحسن قصر الخلافة بتونس مع صاحبه أبي بكر محمّد ابن تافرجين سنة 748هـ.

وبقي أبو الحسن بتونس يوماً ثم ذهب لزيارة بلد  
الجريد فقابس والقيروان فزار قبور الصحابة والسلف  
التابعين ثم سار إلى سوسة فالمهدية ووقف إلى ساحل البحر  
وطوف في معالمها ومر في طريقه إلى الجم ورباط المنستير  
وقفل راجعاً إلى تونس فاحتل بها غرة رمضان من سنة 748  
فساس الدولة وأنصف وعدل وأقطع المرينيين وعقد لبونة  
لصهره الفضل بن السلطان أبي بكر إكراماً لصهره ووفادته  
عليه.

واتصلت ممالك أبي الحسن ما بين مصراتة إلى السوس  
الأقصى وإلى رندة ومن عدوة الأندلس وانقرض وقتياً أمر  
الحفصيين. واستقام له الأمر واستتب إلى أن تحالف ضده  
عرب بني سليم والأعراب الناقمون المتربصون ببلاد الجريد  
شيعة عمر بن أبي بكر المقتول من بني كعب وبني سليم  
بتوزر فأثاروا القلاقل والفتن وحركوا الرعية ونادوا بأحمد  
بن عثمان بن أبي دبوس، آخر السلاطين الموحديين الذي  
كان يشتغل خياطاً بتوزر. سلطانا وأضرموا الفتنة  
فاضطربت إفريقية ناراً ونهض لهم السلطان وتقابل معهم

قرب القيروان التي<sup>(1)</sup> التجأ إليها فاجتمع عليه الأعداء من بني عبد الواد ومغراوة والأعراب فهزموه يوم الاثنين سابع محرم من سنة 749هـ ففر أبو الحسن إلى سوسة بمساعدة أولاد مهلهل وأولاد الصولي من الأعراب واستقر بها. ولما سمع ابن تافرجين حاجب السلطان أبي بكر الذي كان غاضبا لعدم حصوله على المكانة التي كانت له أيام أبي بكر الحفصي انضم إلى الثائرين وحاصر قسبة تونس ولما بلغه وصول السلطان أبي الحسن إلى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر إلى الإسكندرية. فاضطرب أمر الثائرين والمناصرين لابن أبي دبوس وتراجعوا عن تونس فجاءها السلطان أبو الحسن ودخل تونس من جديد في ربيع الثاني سنة 749هـ فاجتمع شمله واستتب أمره واهتم بإصلاح أسوار تونس وإدارة الخندق عليها وقبض على ابن أبي دبوس وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة أمير عرب كعب فزوج ابنه عمر بابنة أبي الفضل واختلفت أحوال هؤلاء العرب - الثائرين دوما - على السلطان أبي الحسن في الطاعة تارة والانحراف أخرى.

---

(1) - الاستقصاء للناصرى وابن خلدون. ج 6. ص 156. ط. بيروت.

واستبدّ في المغرب ابنُ السّلطان أبي الحسن أبو عِنان  
بالأمر وأعلن العصيان وحاول اغتصاب الملك لفائدته فقرّر  
أبو الحسن، بتشجيع من المرينيّين وإلحاح شيوخهم،  
الرّجوع إلى المغرب بعد حصول النّكبة بالقيروان والثّورة  
بالجريد، وترك ابنه أبا الفضل صهر عمر بن حمزة رئيس  
قبائل كعب بتونس وركب البحر وتوجّه إلى المغرب وتوقّف  
ببجاية في خمسمائة أسطول يريد الماء بعد خمس ليالٍ  
لإقلاعه من تونس فمنعه صاحب بجاية الأمير الحفصي من  
الورود وأوعز إلى سائر سواحله بمنع المرينيّين عن الماء  
فزحفوا وقاتلوا من منع عنهم الماء وأقلّعوا فثارت عاصفة  
هوجاء وجاءهم الموج من كلّ مكان وتكسّرت الأجفان وغرق  
الكثير من بطانة السّلطان وعامّة النّاس وهلك كثير من  
المشايخ والعلماء معهم وقذف الموج بالسّلطان فألقاه على  
حجر قرب السّاحل.

وذكر المقرّي صاحب نفح الطيّب أن أساطيل السّلطان  
أبي الحسن كانت نحو السّتمائة فغرقت كلّها ونجا هو  
على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو  
أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمّد بن سليمان الشّطي  
شارح الحوفي. وأبو عبد الله محمّد بن الصّبّاح المكناسي.

ذكر ابن خلدون أنّ أبا الحسن ركب جفنا سليما وقصد  
الجزائر واحتفى بها. وقد تمسك أهلها بطاعته فلحق به  
ابنه الناصر من بسكرة ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد  
فنهض إلى جهة تلمسان وقد اغتتم بنو زيّان الفرصة  
واستولوا عليها من جديد وكان سلطانهم عثمان بن عبد  
الرحمان الزيّاني فهزّمه وقتل ابنه الناصر فأجمع أمره على  
قصد المغرب موطن قومه وتوجّه إلى سجلماسة فاستقبله  
أهلها وتهافتوا عليه مباركين معظمين.

ولما بلغ الخبر ابنه أبا عنان نهض إليه في جيوشه من  
جماعة من بني مرين المتخوفين من أبي الحسن لخذلانهم  
له ولما قرب أبو عنان من سجلماسة تركها السلطان أبو  
الحسن وفضّل التوجّه إلى مراكش سنة 751هـ وقد تسارع  
إليه آل جهاتها بالطاعة لكن لحق به ابنه أبو عنان في  
جموع من بني مرين قدموا معه من فاس والتقى مع أبيه في  
وادي أم الربيع بعد عبور أبي الحسن الوادي. وذلك  
بتأمّد غرست في آخر صفر من سنة 751هـ فانهزم السلطان  
وانكفأ إلى جبل هنتاتة من جبال درن محميا بأمر الذواودة  
من عرب رياح ورديف.

والتحق به ابنه أبو عنان وتوسّط بينهما حاجبه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فرضي أبو الحسن على ابنه وأوصى له بولاية العهد واعتلّ السلطان أثناء ذلك فمرّضه أولياؤه وخاصّته حتّى مات في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة 752هـ فدفنه ابنه أبو عنان بمراكش قرب جامع المنصور. ولما ارتحل أبو عنان إلى فاس حضرته احتمل شلّو أبيه معه ودفنه بشالة مقبرة أسلافهم وبإيعته جموع المرينيّين رسمياً فواصل عمل أبيه ضدّ النصارى والزّيانيّين.

### هـ - نجدة أبي الحسن بني الأحمر ومحاربتة نصارى إسبانيا

كان فرج بن الأحمر افتك مملكة غرناطة من ابن عمّه أبي الجيوش واستولى على مُلك الأندلس ولما توفّي ترك الأمر بعده لمحمد ابنه الطفل الصّغير فاستبدّ عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شبّ وعقل وكان ملك قشتالة قد استولى على جبل طارق سنة 709هـ وزاحم به الفرنجة ثغور المسلمين وصار شجّي في صدر الدّولتين المرينيّة والأحمرية واستمرّ الحال على ذلك إلى أن بُويع

الأمير السلطان أبو الحسن. ووفد السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر على السلطان أبي الحسن لإحكام الودّ معه فأكبر السلطان مواصلته وبالع في إكرامه وفاوضه ابن الأحمر في شأن المسلمين وراء البحر واستصرخه لإعادة الجبل فأمدّه بما طلب من الجند وعقد لابنه أبي مالك على خمسة آلاف من فرسان بني مرين وأنفذهم مع السلطان محمد بن الأحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتلّ أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتتابعبت إليه الأساطيل بالمدد وتوافدتُ الجموعُ إليه من كلّ جهة وزحفوا جميعا إلى الجبل وأبلوا في منازلته البلاء الحسن إلى أن فتحوه سنة 733هـ واقتحمه المسلمون عنوة.

واهتمّ بعد ذلك الأمير أبو مالك بتحسين تلك الثغور وسدّ فروجها.

وبعد اعتراض بني العلاء شيوخ الغزو بالأندلس سبيل السلطان محمد بن الأحمر وهو راجع إلى غرناطة فتكوا به غدرا لتحالفه مع أبي الحسن وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف بن إسماعيل مكانه فقام بالأمر بعده وقرّر الأخذ بثأر أخيه فاحتال على بني العلاء حتّى قبض عليهم وأودعهم السّجن ثمّ غربهم إلى تونس.

وأعاد أبو الحسن ابنه ثانية سنة 740هـ إلى الأندلس  
للتصدي للنصارى والتحق به أبو الحسن مع جيوشه  
ووزرائه بسببة فهجم على النصارى وهزمهم ثم كانت  
معركة طريف وهو عائد وقد اجتمع عليه كل ملوك  
النصارى وتحالف معهم ابن الأحمر وانهزم السلطان  
واستولى القشتاليون على طريف سنة 741هـ كما كان تقدم.  
وواصل غزواته وحمايته للأندلسيين واسترجع الجزيرة  
الخضراء وطريف وجبل الفتح فتراجع القشتاليون وتوقفوا  
عن محاربته ورفعوا أيديهم عن غرناطة وحاولوا استمالة  
ملوكها باللين والمراوغة والتحالف معهم ضد المرينيين  
فكانت علاقة تعتمد الدس والمخاتلة والمراوغة بين المهادنة  
والمحاربة.



## 7 . السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ (752هـ . 759هـ)

### أ- حروبه

كان السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ المتوكِّل على اللَّهِ أَبِي عَنَانَ فارس بن أبي الحسن محبوباً في قومه وعشيرته ، أثيراً عند والده بفضلِه وعلمِه وعفافِه . وكانت ولادته من أمٍّ روميَّة سنة 729هـ وكان بُويع في حياة والده يومَ ثار عليه سنة 749هـ وبُويِع رسمياً بعد موت أبيه ودفنِه سنة 752هـ . فكان أوَّل ما بادر به غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك فأعاد السَّيطرة على تلمسان ومملكة بني زيَّان سنة 753هـ وأطرد سلطانها أبا سعيد عثمان بن عبد الرَّحْمَان الزَّيَّاني وفي نفس السَّنة تملَّك أَبُو عَنَانَ بجاية وتسلَّمها من أبي عبد الله الحفصي وأقطعهُ عوضاً عنها مكناسة الزَّيتون . واستتبَّ له الأمر بالمغرب الأوسط وبجاية وفتح سنة 756هـ قسنطينة وتحرك إلى تونس يريد فتحها لما خرج عليه أبو الفضل أخوه وابن السُّلْطَان أبي الحسن ببلاد السَّوس وكان أبوه أبو الحسن عقَّد له على تونس لَمَّا غادرها . فأطرده منها وخلص الأمر إلى السُّلْطَان أبي عَنَانَ لكن لم يستطع أبو عَنَانَ الدَّخول بنفسه إلى تونس للفتن التي ظهرت .

وكان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر قد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبي عنان إثر هلاك السلطان أبي الحسن لتعزيتته واستصراخه وسنة 755هـ هلك السلطان أبو الحجاج وقتل غدرا وباع الناس أبنه محمد بن يوسف الغني بالله وقام بالأمر مولاه رضوان قائد عساكرهم وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه من قبل فبعثه الغني بالله سفيراً عنه إلى السلطان أبي عنان مستصرخاً له على عدوه ملك قشتالة فاستجاب له أبو عنان وأنجده بالجيوش والعتاد لمحاربة النصارى. وكانت له مع الغني بالله سلطان غرناطة مراسلات عديدة ومكاتبات مديدة ذكرها المقرئ صاحب نفح الطيب<sup>(1)</sup>.

وعقد أبو عنان على جبل طارق الذي افتتحه وسائر ثغور الأندلس لسليمان بن داوود ثم عقد بعده لولده أبي بكر السعيد وهو الذي تولى الملك بعده.

### ب - غزوته لإفريقية

وكان رحل أبو عنان إلى سلا وزار الشيخ الشهير أبا العباس أحمد بن عاشر الأندلسي المتزهد المنقطع للعبادة

(1) - نفح الطيب. ط. بيروت. 1970.

فاجتمع به سنة 757هـ ونهض إلى إفريقية فتوقف في جموع  
 حاشدة ببجاية سنة 758هـ ونازلت جيوشه قسنطينة  
 فانفضَّ النَّاسُ عن سلطانها أبي العبَّاس أحمد بن أبي بكر  
 الحفصي وجاؤوا طائعين إلى السُّلطان أبي عنان وانضمَّ إليه  
 السُّلطان الحفصي فأعطاه الأمان ثم بعث بأبي العبَّاس في  
 الأسطول إلى سبتة فاعتقله بها وعقد على قسنطينة لمنصور  
 بن الحجَّاج خلوف الياباني من شيوخ بني مرين وأهل  
 الشُّورى منهم ووصلت إليه بيعات الأطراف من توزر ونفطة  
 وقابس وغيرها ووَفَدَ عليه أولاد مهلهل أمراء بني كعب من  
 سليم يستحثُّونه للملك تونس فسرح معه الجند وعقد عليها  
 ليحيى بن عبد الرَّحمان بن تاشفين<sup>(1)</sup> وبعث أسطوله في  
 البحر مددا لهم وكان سلطان تونس يومئذ أبا إسحاق  
 إبراهيم بن أبي بكر الحفصي ولما اتصل به خبر بني مرين  
 أخرج حاجبه ابن تافراجين لمحاربتهم فقاتلهم يوما ثم فرَّ  
 إلى المهدية وتحصَّن بها ودخل أولياء السُّلطان إلى تونس في  
 رمضان من سنة 758هـ وأقاموا بها من جديد الدَّعوة المرينية  
 واحتلَّ قائده يحيى بن عبد الرَّحمان القصبه. ورجع

(1) - النَّاصري: الاستقصاء. ط. الدَّار البيضاء. ج 4. فصل: أبو الحسن  
 المريني.

السُّلطان إلى قسنطينة وعزم على الدّخول إلى تونس غير أنّ  
العساكر تململت في دخول إفريقيّة من جديد وضافت ذرعا  
بالأبعاد والنّفقات وداخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك  
فوافقهم وانفضّوا عن السُّلطان وقرّر الرّحيل إلى المغرب  
فغضب السُّلطان وارتاب في الأمر وكرّ راجعا إلى المغرب  
فوصل فاس في ذي الحجّة من سنة 758هـ وألقي القبض  
على وزيره وسجنه ثمّ قتله.

### ج - هلاكه

لما وصل السُّلطان أبو عنان إلى دار ملكه بفاس أقام  
بقصره إلى يوم عيد الأضحى فقضى الصّلاة وأدركه المرض  
بالمُصلّى ومنعه الوجع عن الجلوس للنّاس يوم العيد على  
العادة فدخل قصره ولزم فراشه واشتدّ به المرض فاغتتم  
وزيره حسن بن عمر الفودودي الفرصة ففتك بوليّ العهد أبي  
زيّان محمّد بن السُّلطان أبي عنان وحوّل البيعة لأخيه أبي  
السّعيد وكان طفلا في الخامسة ودخل يوم الأربعاء الرّابع  
والعشرين من ذي الحجّة على السُّلطان أبي عنان وهو  
يحتضر وخنقه حتّى هلك ودفن يوم السّبت الثّامن  
والعشرين من ذي الحجّة متّم سنة تسع وخمسين  
وسبعمائة سنة 759هـ وسنّه ثلاثون سنة ودفن بجامع

المدينة البيضاء بفاس وكان حكمه تسعة أعوام وتسعة أشهر.

## د - خصال أبي عنان

كان فارسا شجاعا يقوم في الحرب مقام جنده وكان فقيها يناظر العلماء عارفا بالمنطق وأصول الدين وعلوم العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بنسخه ومنسوخه حافظا للحديث وأهله فصيح القلم كاتباً بليغاً وشاعراً ومن قوله في الحكمة<sup>(1)</sup>:

وإذا تصدر للرئاسة خامل \* جرت الأمور على الطريق الأعوج

ولقد اهتمّ ببناء المدارس والزوايا ومن أشهرها المدرسة العنانية بفاس ومدرسة بحومة باب حسين من سلا صارت اليوم فندقا يعرف بفندق اسكور. وله مبرّات كثيرة وأعمال جليلة واعتناء بالأدباء والكتاب ومن أعيان كتابه: أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجي ومع أبي عنان ينتهي العصر الذهبي للدولة المرينية وتتوالى الفتن وعصر استبداد الوزراء والسلاطين الخاملين أو القاصرين.

---

(1) - الاستقصاء في أخبار ملوك المغرب الإقصى للناصرى. ط. الدار البيضاء. ج 3.

## 8 - السُّلْطَانُ السَّعِيدُ بِاللَّهِ بْنِ أَبِي عَنَانَ وَبَيْعَةُ السُّلْطَانِ أَبِي سَالَمٍ

بُيِعَ هَذَا السُّلْطَانُ الصَّبِيُّ وَأَبُوهُ مَرِيضٌ يَوْمَ الرَّابِعِ  
وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ 759 هـ وَاسْتَبَدَّتْ بِالْأَمْرِ دُونَهُ  
أُمُّهُ يَاسْمِينُ وَوَزِيرُهُ حَسَنُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْفُودُودِيِّ وَظَهَرَ مَعَهُ  
مَنْصُورُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ  
عَبْدِ الْحَقِّ بِتَشْجِيعِ الْوَزِيرِ مَسْعُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. وَفِي  
سَنَةِ 760 هـ اضْطَرَبَ الْأَمْرُ وَانْحَازَ النَّاسُ لِهَذَا السُّلْطَانِ دُونَ  
الصَّبِيِّ.

### أ - السُّلْطَانُ أَبُو سَالَمٍ إِبْرَاهِيمَ

وَفِي الْأَثْنَاءِ وَقَدْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بِمُسَاعَدَةِ غَنِيِّ اللَّهِ ابْنِ  
الْأَحْمَرِ السُّلْطَانِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ أَبُو سَالَمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي  
الْحَسَنِ أَخُو أَبِي عَنَانَ وَكَانَ مُسْتَقَرًّا بِالْأَنْدَلُسِ بَعَثَهُ أَبُو  
عَنَانَ لِيَصْفُو لَهُ الْجَوْ فَاسْتَعَانَ بِمَلِكٍ قَشْتَالَةَ وَنَزَلَ بِسُوحُلِ  
الْمَغْرِبِ فَتَسَامَعَ الْمَرِينِيُّونَ بِقُدُومِهِ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَبَايَعُوهُ فَخَلَعَ  
الْحَسَنُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُلْطَانِهِ السَّعِيدِ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَتِهِ  
وَأَسْلَمَهُ إِلَى عَمِّهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَبَايَعَهُ وَدَخَلَ السُّلْطَانُ أَبُو سَالَمٍ  
فَاسَ الْجَدِيدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنتَصَفَ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ 760 هـ  
وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ وَتَرَاجَعَ مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

عن بيعة منصور بن سليمان فأتى به إلى أبي سالم فأرسله إلى الأندلس مع أهله فهلك غرقاً في البحر واستتب الأمر للسلطان أبي سالم فسلك سبيل السلاطين المرينيين الحازمين مع النصارى وبني عبد الواد.

## ب - قدوم سلطان غرناطة الغني بالله ووزيره ابن الخطيب إلى المغرب

لما قُتل السلطان أبو الحجاج يوم عيد الفطر بالمصلى سنة 755هـ ولي الأمر ابنه الغني بالله محمد بن يوسف وكان له أخ اسمه إسماعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حمراء غرناطة احتفاظاً به إلى أن كان رمضان من سنة 760هـ فخرج الغني بالله إلى بعض منتزهاته خارج القسبة ولما كانت ليلة سبع وعشرين أخرجه جماعة من شيعته من محبسه وقصره وأعلنوا مبايعته وقرعوا الطبول بالقسبة في جوف الليل وأعلنوا خلع الغني بالله وعمدت جماعة إلى الوزير لسان الدين الخطيب فأودعوه السجن واكتسحوا داره ونهبوا مكاسبه وسمع السلطان أبو سالم بالأمر فكتب إسماعيل ابن الأحمر وطلب منه تخلية سبيل الغني بالله ووزيره لسان بن الخطيب فاستجاب له وأخلى سبيلهما ووصلا فاس في السادس من محرم سنة 761هـ

فأَجَلَ السُّلْطَانُ قَدُومَهُمَا وَرَكِبَ لِلِقَائِهِمَا. فَوَقَفَ الْوَزِيرُ ابْنَ الْخَطِيبِ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنشَدَ السُّلْطَانُ أَبَا سَالِمٍ قَصِيدَتَهُ الرَّأْيِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ يَسْتَصْرِخُهُ لِسُلْطَانِهِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ وَيَسْتَعِظُفُهُ وَيَسْتَرْحِمُهُ مِمَّا أَبْكَى النَّاسَ بِشَفَقَةٍ لَهُ وَرَحْمَةٍ.

وَنَزَلَ ابْنُ الْخَطِيبِ بِسِلَاحِهِ وَانْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَالْكِتَابَةِ وَقَالَ فِي السُّلْطَانِ سَالِمٌ وَفِي سِلَاحِهِ وَأَهْلِهَا شَعْرًا كَثِيرًا وَلَقِيَ بِهَا الشَّيْخَ الزَّاهِرَ ابْنَ عَاشِرٍ وَكَانَ مُعْجِبًا بِالسُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ اسْتِقْبَالُهُ سَفِيرًا لِابْنِ الْأَحْمَرِ فَزَارَ رِبَاطَ شَالِهِ مَدْفِنِ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي مَرِينٍ فَزَارَ قَبْرَهُ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَشَفَعَ لَهُ السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَابْنِ الْأَحْمَرِ فَرَدُّوا لَهُ مَتَاعَهُ وَأَهْلَهُ.

### ج - السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ وَاسْتِيلَاؤُهُ عَلَى تَلْمَسَانَ

وَلَمَّا اسْتَتَبَ لَهُ الْأَمْرُ وَعَمَّ الْأَمْنُ وَالرِّخَاءُ تَوَجَّهَ إِلَى تَلْمَسَانَ لِتَمْلِكِهَا كَمَا كَانَ الْأَمْرُ لِأَبِيهِ وَأَخِيهِ مِنْ قَبْلِ فَرْحَفٍ إِلَيْهَا فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فَفَرَّ مِنْهَا سُلْطَانُهَا أَبُو حَمَّو بْنِ يَوْسُفَ الزَّيَّانِي لَمَّا بَلَغَهُ وَصُولُهُ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَدَخَلَهَا السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا وَتَوَجَّهَ أَبُو حَمَّوُ وَوَزِيرُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ الزُّرْدِ إِلَى عَرَبِ زَغَبَةٍ وَبَنِي مُعْقِلٍ وَخَرَجَ مَعَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ "فَنَزَلُوا أَكْرَسِيْفَ وَوُطَاطَ وَبِلَادَ مَلُويَةَ وَحَطَمُوا



زروعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها". وبلغ الأمر السلطان أبا سالم فعقد لمن كان في حملته من بني زيّان محمّد بن عثمان بن السلطان أبي تاشفين وابن أبي زيّان على تلمسان وانكفأ راجعا إلى فاس فأجفل أبو حمّو والعرب أمامه ثمّ خالفوه إلى تلمسان فطردوا عنها أبا زيّان واستولوا عليها وثبت قوم أبي حمّو من جديد بها وعاد أبو زيّان إلى المغرب لاحقاً بالسلطان أبي سالم قبله وعقد أبو حمّو المهادنة مع السلطان سالم واستقرّ الأمر على ذلك وقد كان ابن الخطيب هنا السلطان أبا سالم باستيلائه على تلمسان بقصيدة طويلة نونيّة. قال في مطلعها:

أطاع لساني في مذحك إحساني \* وقد لهجت نفسي يفتح تلمسان

ولقد قدم من أهل السّودان ومالي وفد كبير يهنئه بالنّصر وقدّموا له هديّة عظيمة بها زرافة أبهرت النّاس وكان دخولهم في يوم مشهود ذكره ابن خلدون في تاريخه بإعجاب وتمجيد.

## د - مقتل السلطان أبي سالم

كان السلطان أبو سالم قدّم الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق وألقي زمام الدّولة بيده وكان أبوه أبو الحسن يفضّله

ويُجلّله فنقم خاصّة السّلطان وأحد وزرائه على السّلطان لهذا التّقديّم وعمد إلى الدّسّ لِلدّولة والسّلطان إلى أن كانت سنة 762هـ فتحول السّلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد إلى القصبة من فاس القديم واختط بها إيوانا فخما لجلوسه وعيّن الوزير عمر بن عبد الله الفودودي على دار الملك حيث كان أمينا عليها فحدّثته نفسه بالتوثّب فأغرى قائد جند النّصارى "غرسيه بن أنطول" وعمد إلى أخى السّلطان تاشفين الموسوس والمريض ابن أبي الحسن ودعا له بالبيعة<sup>(1)</sup> وأكره شيخ الحامية والنّاشبة على البيعة وجأهروا جميعا بخلع السّلطان وحاصروه وتولّى جند النّصارى القبض عليه وقتلوه يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة 762هـ ودفن بالقلّة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزّعفران ولقد قال لسان الدّين بن الخطيب في السّلطان أبي سالم في الإحاطة في أخبار غرناطة: "كان السّلطان أبو سالم رحمه الله بقيّة البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبُعدا عن الشّرور وركونا للعافية" ورثاه بقصيدة طويلة استهلّها بقوله:

---

(1) - التّاريخ. ج 6. فصل المرينيّون.

بني الدنيا بني لع السراب \* لدوا للموت وابثو للخراب<sup>(1)</sup>

وولي الأمر بعده أبو عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن وكان محجوبا لوزيره الذي غدر بأبي سالم عمر بن عبد الله الفودودي وحاول هذا الوزير التخلص من منافسيه من بينهم الوزير سليمان بن ونصار صديق "غرسيه" قائد النصارى وقبض عليه وأشاع في الرعية أنه يريد اغتصاب السلطة فثار بنو مرين وقتلوا جند النصارى وفتكوا بغرسيه بن أنطوال الذي كان أمر بقتل السلطان سالم. وخلا الأمر للوزير عمر بن عبد الله فودودي إلى أن ظهر السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني فتحلى عمر الفودودي عن السلطان أبي تاشفين المعتوه وساند أبا زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب ولقد قديم من الأندلس. ساعده ملك قشتالة على النزول بالمغرب وتم خلع السلطان المعتوه ومبايعة المتوكل على الله أبي زيان يوم الاثنين الحادي والعشرين من صفر سنة 763هـ فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة.

---

(1) - الاستقصاء. ج 4. 6. ص 34 و ص 39.

- وكان هذا السلطان أبو زيّان محجوباً كذلك للوزير عمر بن عبد الله وكان قد أقام بالأندلس بمساعدة ملك قشتالة خوفاً على نفسه وعاش بإشبيلية ونزل بسبّطة فاتح سنة 763هـ فحمله أحد أقرباء الوزير عمر بن عبد الله إليه وكان بعث إليه بالبيعة وتلقاه بطنجة ونصّبه سلطاناً عوض المعتوه.

فوفد ابن الخطيب من سلاً على السلطان أبي زيّان وأنشده قصيداً مطوّلاً ولقد كان عَرفه بالأندلس ولقد طال استبّاد الوزير عمر على السلطان أبي زيّان وحجره عن طريق الرّقباء والعيون من أهل قصره فعزم السلطان على التخلّص منه وبلغ الخبر الوزير فدخل عليه وهو في وسط حشمه فطردهم عنه ثم غطّه وقتله وألقى جثته في بئر زاعما أنّ السلطان سقط فيها لسكره وذلك في محرّم فاتح سنة 768هـ وله ثمان وعشرون سنة ودفن بجامع قصره. فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوماً واحداً. وبويع بعده أخوه عبد العزيز بن أبي الحسن الملقّب بأبي فارس<sup>(1)</sup> في سنة 768هـ.

---

(1) - ابن خلدون. ج 2. ص 472 - وتاريخ الدولة للزركشي ص 83 و 85 - الاستقصاء ج 4. ص 50.

## 9 . السُّلْطَانُ أَبُو فَارِسٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ أَبُو الْحَسَنِ

### أ - شَخْصِيَّتُهُ وَأَعْمَالُهُ

- هذا السُّلْطَانُ أَنْعَشَ دَوْلَةَ بَنِي مَرْيَنَ بَعْدَ تَلَاشِيهَا وَأَعَادَ إِلَيْهَا شَبَابَهَا بَعْدَ هَرَمِهَا وَأَزَالَ عَنْهَا وَصْمَةَ الْحَجَرِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَأَعَادَهَا مِنَ الْعِزِّ إِلَى حَالِهَا الْمَعْتَادِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي أَوَّلِ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ وَأَلْفَهُ بِرِسْمِهِ وَحَلَّى دِيْبَاجَتَهُ بِاسْمِهِ .

وَكَانَ عَفَاً مَتَمَسِّكاً بِالْدِّينِ مُحِبّاً لِلْخَيْرِ وَأَهْلَهُ سَبِيلاً بَعِيداً عَنِ الْفَحْشِ وَالظُّلْمِ مُشْجِعاً لِلْعُلَمَاءِ وَالْأَدْيَاءِ .

كَانَ الْوَزِيرُ عَمْرُ الْفُودُودِيِّ اسْتَقْدَمَهُ لِمَا تَخَلَّصَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي زِيَّانَ وَبَايَعَهُ وَفَتَحَ أَبْوَابَ قَصْرِهِ فَازْدَحَمَ خَاصَّةً بَنِي مَرْيَنَ وَعَامَّتَهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَنُوا طَاعَتَهُمْ وَمُبَايَعَتَهُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ 768 هـ . وَحَاوَلَ الْوَزِيرُ عَمْرُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ عَلَى عَادَتِهِ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْحَجَرِ فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ وَاحْتَاطَ وَأَشَارَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ خَصِيَانِهِ بِقَصْرِهِ فَثَارُوا عَلَيْهِ وَفَتَكُوا بِهِ وَتَتَبَعَ السُّلْطَانُ حَاشِيَتَهُ فَاعْتَقَلَهُمْ وَقَتْلَهُمْ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضْطَلَعَ بِنَفْسِهِ بِأَمْرِهِ فَاسْتَنْبَ لَهُ الْوَضْعَ وَاسْتَقَامَ .

وكان هذا الوزير عمر الفودودي قد عقد لأخيه أبي الفضل بن أبي سالم على مراكش فاستبدّ بها هذا الأمير وثار على أخيه أبي فارس فتوجّه إليه السلطان وهزمه وقبض عليه أنصاره وسلّموه إليه فاعتقله وهلك في سجنه في رمضان سنة 769هـ وقضى السلطان أبو فارس على الفتن التي ظهرت كثورة عامر بن محمد الهنتاتي الذي نصب تاشفين من بني عبد الحقّ سلطاناً فقضى عليهما وصفا الجوّ للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرّغ لمحاربة النصارى وبني عبد الواد بتلمسان.

## ب — استرجاعه الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول واستيلاؤه على تلمسان

سلك أبو فارس سياسة حازمة وسبيل والده أبي الحسن وأخيه أبي عنان. فتوجّه حال تفرّغه من القضاء على الفتن الداخليّة إلى محاربة الاسبانيول القشتالييين الذين كانوا استولوا على الجزيرة الخضراء أيّام والده السلطان أبي الحسن وتقاتلوا فيما بينهم من أجل السيطرة على المدن والثغور التي استرجعت من المسلمين فصعبت حاميتهم وفُتت عصبيتهم فاستغلّ أبو فارس الفرصة وأشار على ابن الأحمر بالزحف إلى الجزيرة الخضراء على أنّ له ما

يستحقّه من جيش ومددٍ وأوعز إلى أساطيله بسبّقة بالتحرّك فنزلت بمرسى الجزيرة الخضراء وحاصرتها وزحف ابن الأحمر بعساكر المسلمين على أثرها ونازلها أيّاماً فتراجع عنها النصارى وسألوه الصّح فأجابهم ابن الأحمر إليه وأقلعوا عن البلد فأقيمت في الجزيرة الخضراء شعائر الإسلام من جديد وبقيت تابعة لابن الأحمر حسب رغبة أبي فارس وكان ذلك سنة 770هـ وبقيت تابعة لبني الأحمر إلى أن وقع الاختيار على هدمها خشية استيلاء النصارى عليها مرّة أخرى فهُدمت عام سنة 780هـ وأصبحت قفراً خاوية.

ثمّ نهض السّلطان عبد العزيز إلى تلمسان ففرّ منها أبو حمّو بن يوسف الزيّاني ودخلها أبو فارس يوم عاشوراء من سنة 772 في يوم مشهود واستولى عليها.

كما استولى السّلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الأمصار والأعمال وعقد عليها للولادة والعَمال واستوثق له ملك المغرب الأوسط كما كان لسلفه واستمرّ مقيماً بتلمسان فوفد عليه الوزير ابن الخطيب وقد فرّ من سلطانه الغني بالله ابن الأحمر وقد رجع إليها واستولى الغني بالله على غرناطة من جديد وأطرد أخاه إسماعيل سنة 763هـ.

وقدم ابن الخطيب من غرناطة بإذن من الغني بالله  
على أساس توجهه لتفقد الثغور الغربية - على السلطان  
عبد العزيز بتلمسان خوفا من أعدائه ومنافسيه وحساده  
بغرناطة الذين تكاثروا وبدأوا يُغيرون صدر الغني بالله  
عليه.

فأحسن السلطان أبو فارس استقباله وأرسل إليه  
أسطولا بسببة لمساعدته على الجواز ووصل تلمسان سنة  
773هـ فاهتزت<sup>(1)</sup> له الدولة وأحلّه السلطان بمجلسه محلّ  
الأمن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزّة. وأرسل  
سفيرا إلى الأندلس يطلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل  
الحالات عن الأمن والتّكرمة ثمّ نزل ابن الخطيب مدينة  
فاس القديمة فاشترى بها الضياع الكثيرة وتأنق في بناء  
المساكن واغتراس الجنّات وأقام بها في أمن واطمئنان.

### ج - وفاة السلطان عبد العزيز أبي فارس

كان السلطان قد أصابه في صغره مرض النحول وكاد  
يهلك لذلك لم يهتمّ به السلاطين ولم يرسله السلطان أبو

---

(1) - الاستقصاء. ج 4. ص 58.



سالم إلى الأندلس مثل سائر إخوته فأقام بالمغرب وشفي لما شبَّ وصلاح بدنه ، ثم عاوده مرضه بتلمسان وتزايد نحوله فلما كمل الفتح واشتدَّ به الوجع صارعه وكنتم مرضه عن النَّاس ثمَّ عسكر خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كانت سنة أربع وسبعين سنة 774 قضى نحبه بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسيق إلى فاس فدفن بجامع قصره وسنه أربع وعشرون سنة وكانت دولته ست سنوات وأربعة أشهر.

وولى الأمر بعده ابنه السلطان السعيد بالله أبو زيَّان محمَّد بن عبد العزيز وهو صبيّ الذي حمّله وزير أبيه وأجلسه على العرش فتأثّر المرينيون وباعوه حباً لأبيه.

واغتتم بنو زيَّان الفرصة وعاد أبو حمّو بن يوسف الزيَّاني إلى تلمسان وأطرد منها المرينيين. وسرّح السلطان ابن الأحمر من الأندلس الأمير أبا العباس أحمد ابن السلطان إلى سالم وبعث به إلى المغرب ليتولّى الملك بمساعدته فخلع الوزير أبو بكر بن غازي سلطانه الصّبيّ السعيد بالله أبا زياد وباع أبا العباس أحمد وذلك في محرّم فاتح سنة 776هـ فكانت دولة هذا الصّبيّ سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً.

## 10 - السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ

### أ - محنة ابن الخطيب

إِنَّ هَذَا السُّلْطَانَ لَقَبَ بِذِي الدَّوْلَتَيْنِ لِأَنَّهُ وَلَّى الْمَلِكَ مَرَّتَيْنِ. بَوِيعَ أَوَّلًا بِطَنْجَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ 775 هـ ثُمَّ بَوِيعَ الْبَيْعَةِ الْعَامَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ بِفَاسَ بَعْدَ اسْتِيلَائِهِ عَلَيْهَا مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ 776 هـ.

وَلَقَدْ اسْتَحْكَمَتِ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْأَحْمَرِ الَّذِي كَانَ سَاعِدَهُ وَأَعَانَهُ وَطَلَبَ مِنْهُ تَسْلِيمَهُ ابْنَ الْخَطِيبِ الَّذِي كَانَ فَرَّ مِنْ غَرْنَاطَةِ وَبَعَثَ وَزِيرَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْرِكَ أَحَدَ تَلَامِذَةِ ابْنِ الْخَطِيبِ يَسْأَلُهُ تَمْكِينَهُ مِنْ ابْنِ الْخَطِيبِ الَّذِي كَانَ أَفْتَى الْفُقَهَاءَ بِقَتْلِهِ لَمَّا قَالَهُ فِي كِتَابِهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ... وَفِي سُلْطَانِهِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ فَاسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ فِي مَجْلِسِ خَاصَّتِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَطَلَبَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ وَجَاءَهُ جَمْعٌ مِنْ حَاشِيَةِ الْوُزَيْرِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَدَخَلُوا السَّجْنَ فَقَتَلُوهُ خَنْقًا فِي مَحْبَسِهِ وَنَكَبُوا أَهْلَهُ وَدَفَنَ ثُمَّ أَحْرَقُوهُ وَأَعَادُوا دَفْنَهُ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ الْمَحْرُوقِ بِغَرْنَاطَةِ وَكَانَتْ نَهَايَةَ مُحْنَتِهِ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ سَنَةِ 776 هـ.

## ب - فتح تلمسان

ونهب السّلطان أبو العبّاس بعد ذلك إلى تلمسان وقد فرّ من جديد عنها أبو حمّو فدخلها وملكها واستقرّ بها سنة 785هـ وحصلت جفوة بين ابن الأحمر وأبي العبّاس فانتهز ابن الأحمر تغيب أبي العبّاس بتلمسان وبادر بتسريح موسى ابن السّلطان أبي عنان إلى المغرب وكان عمّه بالأندلس فنزل بالمغرب وتقدّم إلى فاس واستقرّ بها بمبايعة المرينيين شيعة ابن الأحمر ولما بلغ الخبر السّلطان أبا العبّاس توجه إلى فاس وأقام بتازا فبعث موسى بن أبي عنان من أتاه بالسّلطان أبي العبّاس في الأمان فقبض عليه وقيّده وبعث به إلى ابن الأحمر فبقي عنده ولقد احتفظ به الغنيّ بالله واحتاط عليه إلى أن أعاده إلى المغرب من جديد في فرصة أخرى.

وكانت مدّة دولة السّلطان أبي العبّاس الأولى عشر سنين وشهرين و24 يوما.

## ج - السلاطين المحجوب عليهم والدولة الثانية لأبي العباس أحمد

وبعد السلطان المتوكل على الله موسى بن أبي عنان الذي توفي إثر مرضه سنة 788هـ، ولي الأمر بعده السلطان أبو زيّان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن سنة 788هـ وسنه خمس سنوات ولقد خلع بعد أربعين يوماً وبويع الواثق بالله أبو زيّان محمد بن أبي الفضل بأمر الوزير مسعود بن ماساي الذي سارع بخلع سلطانه الواثق سلطانه الواثق وإعلان مبايعة أبي العباس أحمد من جديد فكانت الدولة الثانية له سنة 789هـ.

وتوفي في طريقه لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فاتح سنة 776هـ وسنه 39 سنة وكانت مدة دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر.

## 11 . انحطاط الدولة المرينية

دخلت الدولة المرينية بهذا السلطان ذي الدولتين أبي العباس أحمد في طور الانحدار والانحطاط ولم يعد هنالك جهاداً أو توجه للقتال بالأندلس فقد كان السلطان الغني بالله بن الأحمر أسقط رئاسة الجهاد من بني مرين رسمياً من مملكتهم وباشروا أمره بنفسه واستمر الحال على ذلك إلى أن هلك سنة 793 فولي أمر غرناطة ابنه أبو الحجاج يوسف وبايعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتآمر عليه أهل قصره ففتك بهم ثم هلك سنة 794 هـ وخلفه ابنه محمد.

## 12 - نوعيّة العلائق بين بني الأحمر والمرينيين

كانت العلائق دوماً متوتّرة تتسم بالجفاء والنفاق فلقد ذكر منوِيل القشتلي في كتاب له ما يلي : "كانت مراسلات السُلطان المريني يعني السُلطان أبا العباس مع السُلطان يوسف بن الغني بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدلّ على الموافقة والمحبة. وكان المريني في الباطن يحبّ الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل إلى إعمال الحيلة فأهدى إلى السُلطان أبي الحجاج كُسي رقيقة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحينه. ومع ذلك فلم يدرك المريني غرضه فإنّه لم يلبث إلاّ يسيراً حتّى توفّي أيضاً"<sup>(1)</sup>.

---

(1) - الناصري الاستقصاء. ج 4. ص 8.

### 13 - تراجع الدولة المرينية وانقراضها

لقد ولي الأمر بعد السلطان المستنصر بالله أبي عامر بن أبي العباس أخوه الابن الثالث لأبي العباس السلطان أبو سعيد عثمان سنة 801 وسنه آنئذ ستّ عشر سنة فحجب عليه أبو العباس القبائليّ وفي عهد. حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبي فارس الحفصي الذي زحف إلى المغرب سنة 827هـ حسب الزركشي وفي عهده استولى ملك البرتغال خوان الأوّل على مدينة سبتة وقويت شوكة البرتغاليين وهجموا فيما بعد مرتين على طنجة وتمّ الاستيلاء عليها في عهد السلطان عبد الحقّ بن أبي سعيد بن أبي العباس ثمّ التراجع عنها. وحاول الوزراء من بني وطّاس ذي الأصول المرينية الاستيلاء على السّلطة فنكبهم السلطان عبد الحقّ وأسند الرّئاسة والوزارة إلى يهوديين: هارون وشاويل لعدم ثقته في المرينيين وبني وطّاس وفي سنة 869هـ زحف البرتغاليون إلى طنجة من سبتة واستولوا عليها. وثارت الرعيّة على السلطان عبد الحقّ بن أبي سعيد وقتلوه.

وفي أواخر القرن الخامس عشر سنة 1498هـ استولى القشتاليون على غرناطة وسائر الأندلس وكان المرينيون

آنذاك ضعفاء لا حول ولا قوّة لهم ولم يتمكّنوا من نجدة المسلمين وبني الأحمر وتمكّن البرتغاليّون من الزّحف على ثغور مغربيّة والسّيطرة عليها واستولوا على مدينة آنفي وأصيلا سنة 894هـ وكان قد قُتل عبد الحقّ ثمّ خلع حفيده وتولّى الأمر أبو عبد الله محمّد الشّيخ الوطّاسي وبنو وطّاس فرقة من بني مرين بدأت دولتهم مع السّلطان أبي عبد الله محمّد الشّيخ بن أبي زكرياء الوطّاسي حوالي سنة 892هـ بأصيلا قبل أن يتملّكها البرتغاليّون. ثمّ توجه إلى فاس وحاصرها فخرج منها السّلطان الحفيد ودخلها الشّيخ محمّد الوطّاس سنة 896هـ في أوائل شوال وهو المورث الملك لبنيه : بني الوطّاس والقاضي على الدّولة المرينيّة بالمغرب.



## 14 . خاتمة

إنّ العلاقات العدائيّة المتوتّرة دومًا بين بني الأحمر والمرينيين والسياسة الغير المتبصرة لمُلوک غرناطة لعبت دورا كبيرا في إضعاف الدّولتين المرينيّة ومملكة غرناطة والتّعجيل بسقوطهما. فحرصُ بني الأحمر على التّدخل في الشّؤون المرينيّة والتّأمر على السّلاطين المرينيّين والتحالف مع القشتاليّين - في دون وعي - للنّيل من القوّة المرينيّة والحدّ من توسّعها بإسبانيا والأندلس كان العامل الرّئيسيّ في الإخلال بتوازن القوى بالمنطقة وإضعاف المرينيّين وبالتالي القضاء عليهم. فلم يَعمَلْ مُلوکُ بني الأحمر أنّ مناعة الأندلس وغرناطة في قوّة الدّولة المرينيّة المنجدة دائما والتحالف معها على الدّوام.

وليس من باب الصدفة أن يتمّ القضاء على غرناطة في نفس السّنة التي تمّ فيها القضاء على الدّولة المرينيّة سنة 1498م فتلازم المصيرين كان حتميًا وذاك قدرُ دولة الأندلس الإسلاميّة منذ نشأتها بأن يكون مصيرها مرتبطا بشبه الجزيرة المغاربيّة: إفريقيّة والمغرب الأقصى خاصّة وقدرُ المغرب بأن يكون الحامي لظهر الدّولة الأندلسيّة والضّامن مع أبنائها وتبصرِ ملوكها لسلامتها ومناعتها.

فهل يعيد التاريخ نفسه مع دولنا العربيّة الإسلاميّة المهدّدة بالشرق عامّة وبالأرض المقدّسة خاصّة؟

## الباب الثاني

العلاقات القطلانية - المرينية في  
القرن الرابع عشر م

## 1 . تطوّر العلاقات الإسبانية المغربية

كانت إسبانيا المسيحية في النصف الأول من القرن الثالث عشر تأمل في استرجاع الأندلس والاستيلاء على كلّ الثغور والحصون الإسلامية بإسبانيا، وتمنّى النفس بالنزول بالشواطئ والمراسي المغربية على البحر الأبيض المتوسط والتغلغل في إفريقيا الشماليّة. وكانت معاهدة بلنسية بين قشتالة وأراغون بعد معركة زلاقة وانهزام المسلمين. ولقد اتفق فيها الملكان على تقاسم بلاد المغرب العربيّ وعلى أسلوب السيطرة عليها وطريقة استغلال ثرواتها. وكان الاتفاق على أن تكون المغرب مع مملكة غرناطة من نصيب قشتالة وتلمسان وإفريقية من نصيب ملك أراغون وقطالنيا.

وكان جاقمو الثاني قد استطاع السيطرة على صقلية واسترجاع ميورقة ومينورقة. ومهد للدخول إلى إفريقية باحتلاله سنة 1284م جزيرة جربة وسنة 1285م جزر قرقنة. ولكي يحقق جاقمو حلم والده بترو الثالث وجده جاقمو الغازي رأى هذا الملك أنّ من مصلحته مهادنة مُنافسه ملك قشتالة صانشو الرابع وإبرام معاهدة معه تسمح له باقتسام الهيمنة على الدّول المغربية وحوض البحر الأبيض

المتوسّط. وكان تحالفٌ منتيقودو سنة 1291م Monteagudo  
فلقد تحوّل ملك أراغون في شهر نوفمبر ديسمبر سنة 1291م  
وكان سنّه آنذاك 24 سنة ولم يزل حديث العهد بالملك.  
والتقى بصانشو الرابع ملك قشتالة واتفق معه على السّياسة  
التي ينبغي اتباعها مع دول بلاد المغرب. وتمّ الاتفاق على  
أن تواصل قشتالة احتلال الممالك الإسلاميّة الإسبانيّة  
ومحاصرة غرناطة واعتبار المغرب الأقصى امتدادا للأندلس.  
ومواصلة الإغارة عليها لاحتلالها حتّى يمكن استرجاع  
الأندلس بأكملها وهزم الإسلام بها. وفي المقابل يبقى المغرب  
الأوسط وإفريقيّة: تونس وبجاية إلى طرابلس تحت تأثير  
أراغون وتحت تصرّفه مع جزر حوض البحر الأبيض  
المتوسّط. وعلى هذا الأساس يبدو التّاج الأراغوني مُسالما  
للمغرب الأقصى وعاملا على التّحالف مع المرينيّين ومناوئاً  
لتلمسان والحفصيّين بإفريقيّة. ويكون الهدف من كلّ ذلك  
تحقيق السّيطرة الكاملة على شبه الجزيرة المغربيّة ونهب  
خيراتها وأموالها عن طريق التّجارة والقطع.

وقامت الحرب بين قشتالة والمرينيّين سنة 1291م -  
1295م من أجل سبّته وجبل طارق والقزم جاقمو الثاني  
الحياد بل طلب من صانشو الرابع ملك قشتالة قبوله

مفاوضا متوسطا محايدا بينه وبين السلطان المريني. يتوسط بينهما لتحقيق الصلح. وفي سنة 1292م تمّ عملياً توزيع الأدوار فقام القشتاليون بالاعتراض للأساطيل المرينية في جبل طارق ووضع صانعو الرابع خطة للهجوم على المرينيين وإيقاف توسعهم. فتحالف مع بني عبد الواد بتلمسان ومع بني الأحمر بغرناطة وهاجم مدينة طريف مفتاح البلاد الإسبانية. وساعده القطلانيون بطريقة غير مباشرة بمنعهم المدد للمرينيين. فلقد اعترض الأسطول الأراغوني بقيادة "جبنيدا يتوزكريا" بالمضيق سبيل كل نجدة قد تصل إلى طريف<sup>(1)</sup> وبذلك قام جاقمو بالدور الديبلوماسي وبالتفاوض مع المرينيين والقشتاليين وطالب بنو الأحمر بالسيطرة على طريف التي تمّ احتلالها مثلما كان وعدهم به ملك قشتالة. فرفض القشتاليون وتفتن بنو الأحمر إلى خديعتهم وإلى المؤامرة التي كانوا ضحيّتها مع المرينيين. وهذا الدور يكشف حقيقة السياسة التي كان ينتهجها القشتاليون والقطلانيون على حدّ السواء مع الملوك المسلمين بالمغرب رغم الحياد الذي كان تعهّد به رسمياً ملك أراغون.

(1) - ابن خلدون: التاريخ. ج 4. ص 138.

وكانت الدولة المرينية طيلة القرن الرابع عشر ميلادي ضحية هذا التحالف الخفي من بني الأحمر وبني عبد الواد الأعداء التقليديين والمنافسين الدائمين للمرينيين. غير أن القطلانيين بأراغون — المنافسين لقشتالة والمحتريين من تقدّمها وتوسّعها والشاعرين بخطر ملك قشتالة الحادّ من تضخّم أراغون بإسبانيا وعلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط — أدركوا سلبات هذه السياسة على الدولة الأراغونية ومردودها المحدود وإيقافها للتوسّع الإمبريالي الأراغوني المنشود. وقرّر لذلك جاقمو الثاني سحب أسطوله من مضيق طارق والتراجع عن مساعدة صانشو الرابع المباشرة ولا سيما أنّه لم يقدّم بدفع المبالغ المالية الضرورية لعمارة الأسطول وتجهيزه وكان مشغولاً بالحصول على الأموال وجني المارايح من كلّ صفقة يقوم بها.

وقرّر لذلك التوجّه إلى المرينيين وتوسيع تجارتهم عن طريق التّجار القطلانيين أولاً وكراء المراكب والأجفان ثانياً. وكان تسويق المراكب يمثّل عنصراً أساسياً في سياسته وعلاقاته مع المرينيين وهي السياسة نفسها والقاعدة ذاتها التي اتّبعها ابنه بترو الرابع بعده مثلما كانا يتصرّفان مع الحفصيين والزّيانيين بتلمسان.

## 2 . الحراقيل الدائمة في وجه السياسة المرينية والسلطين الحازمين

أ - كان البابا بروما والنصارى بإسبانيا يعتبرون المغرب الأقصى امتدادا طبيعياً لشبه الجزيرة الإيبيرية وإسبانيا ولذلك كانوا يحرصون بعد إعادة احتلال الأندلس على توفير ظروف الاستيلاء عليه وخاصة على موانيه ومراسيه المتوسطة والمقاطعات الحدودية الشمالية مثل الريف وسبتة وسلا. ولقد كانت كل مخططات البابا<sup>(1)</sup> وسياسته توصي الملوك المسيحيين خاصة ملك قشتالة وملك أراغون بالاحتياط والانقضاخ على المرينيين وإضعاف شوكتهم في كل فرصة سانحة وعدم التردد في القطع والإغارة على المراسي وتخليص الأسرى المسيحيين وتقريب فرصة القضاء على مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية المهتدة للقسثاليين ولتوسّعهم والعائق الكبير في طريق هزم النصرانية

---

(1) - A.C.A. : الأرشيف الأراغوني : رسائل سانشو الرابع إلى جاقمو الثاني سنة 1294. دفتر 554-555 حول التخطيط لمهاجمة المرينيين وإعداد أسطول قوي

- رسالته في 8 جويلية 1294م إلى السلطان عبد الحق : A.C.A. الخاصة بعلاقاته بسانشو ومحمد الثاني ملك غرناطة.

للإسلام والقضاء عليه بشبه الجزيرة الإسبانية فكان لذلك هذا التحالف الدائم بين الملوك النصارى بإسبانيا والبرتغال الظاهر والخفي والتخطيط المتواصل بإيعاز من البابا ومباركته لإضعاف المرينيين ومهاجمتهم والانفراد ببني الأحمر وملوك الطوائف القائمين<sup>(1)</sup>.

ب - عداوة المرينيين الشديدة لبني عبد الواد وإصرارهم على احتلال تلمسان وعلى التحالف مع العدو للقضاء عليهم. فهذه السياسة جعلتهم يقعون في الفخ ولا يتفطنون لألعايب العدو ومخططاته ولا يستطيعون التفرغ دوماً لرد هجمات القشتاليين والملوك النصارى بالأندلس ويغفلون عن أبعاد سياستهم الخاصة بالمسلمين.

ج - إن طموحهم الكبير أو رغبتهم في التوسع إلى الأندلس وكل البلاد المغاربية جعلتهم يكونون في حرب دائمة مع أجوارهم المسلمين بني عبد الواد وبني الأحمر أحياناً وتفقد قوتهم جدواها وفاعليتها.

فقد توجه غالب السلاطين - لاسيما الأقوياء العظماء -

---

(1) - A.C.A. : رسائل جاقمو الثاني إلى البابا سنة 1203 و 1304 .  
الأرشيف : دفتر رقم 324. ص 185.



إلى تلمسان وعمدوا احتلالها والسيطرة على كامل المغرب الأوسط وهو ما منعهم من القيام بدورهم التاريخي والطبيعي المتمثل في حماية الأندلس ودعم المسلمين بها بل جعلهم يكونون فيما بعد أيام انحطاط الدولة لقمة سائغة في متناول العدو بل في متناول المملكة المسيحية الجديدة الناشئة المملكة البرتغالية التي استطاعت في القرن الخامس عشر احتلال قسم من المغرب.

د - إن السياسة الغير متبصرة للوك بني الأحمر ساهمت في إضعاف المرينيين وعدم تمكينهم من نصره الإسلام والمسلمين بالأندلس دائما وأبدا بل ساعدت الأعداء المسيحيين والقشتاليين خاصة على الالتفاف على المرينيين والانفراد بهم وطردهم من طريف وسبتة وجبل طارق المرات العديدة بعد افتكاك إشبيلية ومرييلا ودانية ودعم نفوذهم بقرطبة والممالك المجاورة.

فخوفا من المرينيين وسياستهم التوسعية، عمد بنو الأحمر إلى التحالف مع القشتاليين ومساعدتهم في حروبهم ضد المرينيين وإضعاف شوكتهم مثلما حدث في حرب السلطان أبي الحسن المريني - أعظم سلاطين الدولة المرينية -

في حربه مع القشتاليين والبرتغاليين وانهزامه في طريف والجزيرة الخضراء ومقتل ابنه أبي مالك وتمّ ذلك بفضل مساعدة بني الأحمر وغدرهم رغم الحلف الذي كان قائما بين ملك غرناطة، ابن الأحمر والسّلطان المرينيّ ونجده السّابقة له. فهذا التّآمر المتواصل للملوك بني الأحمر وحرصهم على التّوسّع - عن طريق المرينيّين - واستغلالهم لفائدتهم دون التّعامل معهم بصدق وعلى أساس أبعاد واضحة ومخطّط جليّ - مثلما فعل النّصارى - كان سببا رئيسيّاً في إضعاف المرينيّين وعدم قدرتهم على المحافظة على تفوّقهم وتقدّمهم وعرقلتهم لزحف نّصارى إسبانيا: قطلانيّين وقشتاليّين.

هـ- إنّ هذا الوضع المهدّد للكيان المرينيّ: خطر التّقدّم القشتالي، خطر التّهديد الغرناطي وتآمر ملك بني الأحمر المتواصل وخطر الأجوار بالشّرق وأبناء العمومة الزّيانيّين المتربّسين في كلّ حين وآن والمدافعين في الواقع عن وجودهم وكيان دولتهم<sup>(1)</sup>، جعل المرينيّين يبحثون عن التّحالف مع

---

(1) - رسالة يعقوب إلى جاقمو الثّاني ورسالة السّلطان يوسف إليه الخاصّتين بالتّحالف معه: الأرشيف الأراغوني دفتر 555. انظر قسم الوثائق: عدد 84 و97.

أراغون والقطالنيين وهو ما سعى إليه كذلك جاقمو الثاني خدمةً لأغراض النصارى وأهداف سياسته المتمثلة في دعم سلطته بالبحر الأبيض المتوسط والاتجار مع المرينيين وإثراء خزانته وتقوية أساطيله بما يجنيه من أموال وإيتاءات.

و- يضاف إلى هذه العوامل التي حدثت من قوّة هذه الدولة وسطوتها الفتن الداخليّة والدسائس المخزنيّة التي كان يقوم بها الأمراء والشيوخ المرينيون والوزراء المتلهّفون على السّلطة والثأرون دوماً على السّلاطين لا سيّما الضّعفاء من بينهم والفتيان والصّبيان الذين كانوا يعمدون إلى تنصيبهم للحجب عليهم والانفراد بالحكم.

فكان لهذه الفتن والمؤامرات دخل كبير في إضعاف الدولة المرينيّة وتمكين العدوّ القشتاليّ منها بل في القضاء على الدولة نفسها في أواخر القرن الخامس عشر.

ز - انتهج ملك أراغون منذ بداية القرن الرابع عشر<sup>(1)</sup> سنة 1309م سياسة تمثّلت في تشجيع السّلطان المرينيّ على اتّخاذ حرس خاصّ قطلانيّ مسيحيّ بقصره وجيشه برئاسة قائد قطلانيّ لحمايته والدّفاع عنه والمشاركة في حروبه

---

(1) - معاهدة مع السّلطان المرينيّ ومراسلته له. أنظر قسم الوثائق.

مقابل أجر باهظ يدفعه إليه دفعة واحدة وجراية شهرية لجند الحرس. وكان لملك أراغون على هذا الفيلق تأثير كبير ونفوذ واسع.

فعن طريق هذا الحرس وبفضل هذه السياسة التي كان اتّبعها مع بني عبد الواد والحفصيين استطاع ملك أراغون التّدخل في الشؤون السياسيّة للدولة المرينيّة والتّأثير على السّلاطين في اتّخاذ بعض القرارات والمواقف الهامّة. بل إنّ قادة هذا الحرس نراهم كثيرا ما تدخّلوا في تنصيب السّلاطين واغتيالهم وتعويضهم بآخرين مع التعاون مع بعض الوزراء الطّمّوحين والمتآمرين والمستبدّين. فساهم هذا الوضع في إضعاف الدولة المرينيّة وتعجيل نهايتها.

ن - وأخيرا كانت هذه السياسة إلى جانب العمل المتواصل على دفع السّلاطين لكراء المراكب مع الحرص على توفير الأمن للتّجار القطلانيّين والمسلمين العمود الفقريّ لهذه العلاقات - القطلانيّة المرينيّة - في القرن الرّابع عشر ميلادي.

### 3 - ركائز السياسة الإسبانية بالمغرب حوالى سنة 1310م

#### أ - فشل السياسة القشتالية القطلانية

إنّ التحالف التي تمّ سنة 1309<sup>(1)</sup> بين أراغون وقشتالة والمغرب في عهد السلطان أبي ربيع ضدّ غرناطة وبني الأحمر لم يُفلح ولم يجن منه المسيحيّون ثمرتهم المرجوة ولم يقربهم من هدفهم المنشود: إضعاف المرينيّين والقضاء على بني الأحمر. فلقد تمكّن المرينيّون بفضل هذه المعاهدة من استرجاع سبتة والجزيرة الخضراء ورندة وترضية بني الأحمر والتّحالف معهم. فالمنافسة الأمنيّة الذي تحقّق دفع غرناطة إلى استرضاء المرينيّين وطلب التحالف معهم.

فاحتلال قشتالة لجبل طارق لم يسمح بإيقاف تصاعد القوّة المرينيّة وإزدهار الدّولة الإسلاميّة المغربيّة كما أن تعهّد<sup>(2)</sup> غرناطة بدفع غرامة حربيّة قدرها خمسون ألف

---

(1) - تعليمات الملك لقائد البحريّة هذا سنة 1310م: رسائل أفريل رقم 4736489. كتاب التّاج لجيمانز سولار La Corona de Gimenez

Soler. ج 3. ص 472.

(2) - نفس المصدر.

دينارا وإيتاء سنوي يقدر بـ 11000 دينارا من مداخيل التجارة مع قشتالة وبالتالي إقرار التبعية لها لم يفد الملك القشتالي فردينان الرابع ومخططاته الدنيئة الهادفة إلى القضاء على الإسلام والمسلمين بالأندلس. وإن الأساطيل التي أذن لرئيس البحرية الأميرال القشتالي<sup>(1)</sup> "قستلنو" بإعدادها بأحواض إشبيلية، المركز الصناعي الأساسي للمراكب والأجفان القشتالية. لم تستطع خدمة أهدافه وأغراضه فقرّر اتباع سياسة أخرى هجومية ودفاعية مباشرة إذ رغم الأرباح المادية التي حصل عليها. رأى التوسع المريني متواصلا وقوتها العسكرية والبحرية في تنام بفضل صناعة المراكب المزدهرة بسلا منذ عهد السلطان أبي يعقوب والسلطان يوسف.

### ب - خيبة أمل القطلانيين وموقف ملك أراغون

وكانت خيبة أمل جاقمو الثاني أقوى وشعوره بالهزيمة والإحباط الشخصي أعظم فهو لم يستطع أن يجني شيئا من معاهدة 1309م وتحالفه مع قشتالة والمغرب فلم يحصل على

---

(1) - أبو ربيع خلف أخاه أبا ثابت (708-710) حفيد السلطان : يوسف.

أموال أو على مدن وحصون وخاصة مقاطعة "المرية" التي كان يُريد الحصول عليها وضمّها لمملكته. فسياسة الدّعم لقشتالة والدّوران في فلكه لا يمكن في نظره أن تعود عليه بأيّ فائدة ولا يمكن أن تخدم إلّا مصالح قشتالة وقرّر لذلك سياسة شخصيّة مع المرينيّين تُقربه من أهدافه: تُثري خزائنه وتدعم دولته وتساعد على توسّعها وتجعل من أراغون أقوى دولة بحريّة في العالم يهأبها الجميع: مسيحيّون ومسلمون<sup>(1)</sup>.

وكان يأمل أن يحقق هذا الهدف بفضل معاهدة "منتيقودو" لسنة 1291م التي تمّ بموجبها تقسيم شمال إفريقيا إلى مناطق نفوذ وتمكين أراغون من بسط سيطرتها على إفريقيّة وتلمسان وترك المغرب لقشتالة.

- والملاحظ أنّ هذه المعاهدة تدعّمت وخلفت تقاليد تقاسم المنطقة وتواصلت إلى ما بعد قرنين آخرين ففي سنة 1494م في آخر أيّام الدّولة المرينيّة أعطى البابا الكسندر

(1) - نصّ 15 ديسمبر 1291م ب. A.C.A.: الأرشيف الأراغوني رقم 555.

سجلّ 55. برانشفيك الجزء الأول. بلاد البربر. La.

Berberie. T 1 4. 107. ط. باريس.

السّادس لملك أراغون الحقّ في احتلال تونس وبجاية والجزائر وبارك سياسته.

لكن في بداية القرن الرّابع عشر اتّبع جاقمو الثّاني ملك أراغون سياسة مخالفة لا تتمثّل في الاحتلال المباشر بل العمل على التّغلغل التّدرجيّ في الدّولتين والسّيطرة على مداخل ديوانتهما وكانت هذه السّياسة ناحجة ومفيدة مع الحفصيّين والزّيّانيّين بني عبد الواد.

وبعد الإخفاق الذي لمسه<sup>(1)</sup> في مجاراته لسياسة قشتالة قرّر انتهاج هذه السّياسة نفسها مع المغرب ومحاولة تشجيع القطلانيّين على الاتّجار معه وعلى التّغلغل في الدّولة والمخزن المغربي عن طريق الحرس المسيحيّ القطلانيّ وكراء المراكب والتّجارة تصديرا وتوريدا.

وإنّ المعاهدة التي أبرمها جاقمو الثّاني مع السّلطان أبي ربيعة (708هـ - 710هـ) في شهر جويلية سنة 1309م فتحت عهدا جديدا مع المغرب وعلاقات جديدة قائمة على

---

(1) - A.C.A. R. 336. P. 6 - الأرشيف الأراغوني : سجلّ 336 ص 6.

Dufourq. ص 454. ابن خلدون: التّاريخ. ج 4. ص 186.



التعاون والتغلغل التدريجيّ مع تجنب الاصطدام ولا سيّما أنّ سلطان المغرب استطاع استرجاع سبتة وإلغاء كلّ التزامات المغرب السابقة مع السلطان يوسف المتمثلة في تمكين أراغون من إيتاء 50 000 دينار المطالب بها والي سبتة وقسم من الغنائم والأموال المتحصّل عليها من عمليّة الغزو والفتح. وكان السلطان يوسف تعهّد بذلك في مقابل مساعدة أسطول المغرب بالنزول بمرسى سبتة واحتلالها.

وكان السلطان أبو ربيعة علّل موقفه بسبب مساعدة أراغون لقشتالة في هجومها على الجزيرة الخضراء واحتلالها فكانت النتيجة لأراغون خسارة مادية كبيرة: تجهيز مراكب لمساعدة قشتالة في حربها بدون مقابل ومساعدة المرينيّين بدون الحصول على أيّ غرامة. فلأمرّ جاقمو الثاني الملهوف دوماً على الأموال الخسارة واعتبر قشتالة سبب هذه الخيبة لذلك نراه عمد إلى إقناع قشتالة بعدم المجازفة والإصرار دوماً على السيطرة على المضيق وجبل طارق والتراجع عن كلّ سياسة هجومية وتوسّعية في هذه المنطقة.

## ج - الخلافات المغربية والفتن الداخلية ومخططات قشتالة الهجومية والتوسعية.

نشبت خلافات بين السلطان أبي ربيعة ووزيره الخطير  
رحو بن يعقوب الوطاسي - أصيل فرع منافس من فروع  
القبائل المرينية المنافس لقبيلة عبد الحق السلطان المؤسس  
للدولة المرينية - المساند لبني الأحمر وسفيرهم بفاس. وقد  
نتجت عن تلك الخلافات حروب - ومبايعة أمير منشق عن  
فاس هو عبد الحق بن عثمان - تواصلت إلى ما بعد موت  
أبي ربيعة وتولّى خليفته السلطان أبي سعيد الحكم بمبايعة  
شيوخ المرينيين وعلمائهم. وتطوّرت هذه الفتن بمساعدة  
الحرس الإفرنجي وقائده قنزالو صانشيس دي تروكونس  
Gonzalo Sunchez<sup>(1)</sup> وأكد المؤرخون الإسبان<sup>(2)</sup> أن هذا  
التدخل المسيحي كان بإيعاز من فردينان الرابع ملك  
قشتالة. وكاد ينجح لما انضم إليه بنو عبد الواد لإضعاف  
فاس وأعلنوا مبايعة السلطان المنشق بتازا. غير أن المرينيين

---

(1) - ابن خلدون التاريخ: ج 4. ص 185. روض القرطاس. ط. هويسبي  
سنة 407هـ. دوفورك: إسبانيا القطلانية والمغرب ص 456.

(2) - كرونیکا دو ألفنسو. فصل 11. ص 224.

استطاعوا هزم هذا التحالف القشتالي الزياني الغرناطي مع منشقي تازا وطررد رئيس الحرس المسيحي الذي فر إلى غرناطة.

وكان ملك قشتالة حصل على وعد من سلطان تازا بالحصول على 200 000 دينار ذهبي واسترجاع الجزيرة الخضراء من المرينيين.

وكان فردينان الرابع طلب من جاقمو الثاني مساعدته لتحقيق هذا الهدف وضرب المرينيين ضربة موجعة فرفض جاقمو ولم يمدّه بالأسطول المطلوب واعتبر العملية مغامرة لا تخدم مصالحه واتهم ملك قشتالة الملك جاقمو الثاني، بتجاهل مصالح المسيحية وخذلان سياسة الدين المسيحي<sup>(1)</sup> العليا. فأكره لذلك فردينان على التراجع والإقلاع عن محاصرة الجزيرة ففشل التحالف وأخفق المناوئون والمعارضون وتوفّق السلطان الجديد الذي خلف أبا ربيعة أبو سعيد في القضاء على الفتن وتثبيت حكمه وطررد

---

(1) - رسائل جاقمو الثاني سنة 1311 إلى فردينان الرابع: الأرشيف الأراغوني A.C.A. P. 336 سولديغيا. تاريخ إسبانيا: ج 2. ص 20. دوفرك: ص 457.

النصارى المتآمرين والتغلب كذلك على ابنه أبي علي الذي حاول الاستبداد بالحكم دون أبيه. وتجدد الحلف بين المرينيين وجامقو الثاني وقويت سلطة المغرب على الثغور والحصون الإسلامية بإسبانيا والتفت ملك قشتالة إلى غرناطة.

وهكذا فشلت قشتالة في استغلال الفتن الداخلية التي ظهرت بالمغرب وفي إنشاء حلف قوي ضد المرينيين فغرناطة نفسها أعلنت مهادنتها للمرينيين وتحالفها معهم بعد قرار السلطان أبو سعيد التنازل طوعا عن بعض الحصون الأندلسية لفائدة بني الأحمر بما فيها مدينة الجزيرة الخضراء حتى يحفظ المغرب من كل هجوم إسباني ويعتبر المضيق حدا طبيعيا بين البلدين. فلقد راجع أبي سعيد سياسة المرينيين التقليدية وحد من طموحهم وفضل الاهتمام بداخل المغرب والالتفات إلى أعدائه ومنافسيه التلمسانيين بني عبد الواد. وكلف ابنه أبا علي بغزو تلمسان. وتم ذلك بمباركة حليفه الجديد جامقو الثاني الذي اختار - كما تقدم - مواصلة سياسة التحالف القطلاني المريني التي انتهجها السلطان العظيم يعقوب وابنه السلطان يوسف.

## د - السياسة السلمية لملك أراغون مع المغرب والتعامل التجاري معه

لَمْ يَعدْ جاقمو الثاني يستغلّ مثل ملك قشتالة الخلافات والفتن الداخليّة المغربيّة لفائدته وللتدخّل في المغرب. فصارت أهدافه ماليّة إمبراليّة ترمي إلى تحقيق التّفوّق التجاري والاقتصادي وتنمية ثروات أراغون وتوسيع نفوذها بدون تدخّل مباشر واصطدام مع أحد. لكن دون أن يتجاهل أبعاد سياسة الكنيسة وأغراضها الصليبيّة<sup>(1)</sup>.

ففي رسالة هامّة للبابا سنة 1311م - وكان هذا الأخير يرغب في القيام بحرب صليبيّة جديدة لاحتلال فلسطين - ذكر له أنّه ينبغي أولاً الاستيلاء على الجزر المرحليّة المتوسّطيّة. سردانيا والبليار. وميورقة ومينورقة وصقلية ثمّ غرناطة وكامل بلاد المغرب. وبعد ذلك يمكن الانطلاق من قاعدة صلبة والوصول إلى الأرض المقدّسة. فلسطين، بكامل السّهولة. فهو يتبنّى مخطّط رجل الدين والسياسة رامون لُول ويتراجع عن الأهداف الأساسيّة للكنيسة. ويتّضح هنا أنّ الهدف الأسمى للقطلانيّين تمثّل في السيطرة الكاملة

---

(1) - الأرشيف الأراغوني : A.C.A. R. 336. fº. 78.

على كلّ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وفي هذا الإطار حافظ جاقمو الثاني على علاقاته مع المرينيين وحرص على دعمها.

لقد حاول جاقمو الثاني الحصول من السلطان أبي سعيد على بعض الامتيازات التي حرّمته منها السياسات القديمة وفأوضه في ذلك سنة 1323م رسوله: روميو دوكربريا<sup>(1)</sup> Corbera<sup>(1)</sup> لكن بدون جدوى. ورفض أبو سعيد التنازل عن أيّ شيء مع إبداء استعداد له لمساعدته على احتلال سردانيا دون دفع أموال أو التفريط في فيلق الحرس المسيحي.

وواصل مهمّة التفاوض والتدخّل لصالح البلدين القائد برنات سِقي Bernat Segui السّفير الرّسميّ لملك أراغون بفاس فحقّق التقارب القطلانيّ المرينيّ. وبعد وفاته واصل عمله قوّادّ آخرون من عائلته: بار سِقي. وجوم سِقي، وجم دوكنسار وبار مولنار وقوّي بفضل ذلك التأثير القطلاني على المخزن المغربي والبلاط السلطاني. ونشأت

---

(1) - رسالة 13 مارس 1323م بالأرشييف الأراغوني رقم 83. أنظر قسم الوثائق من السلطان أبي سعيد - A.C.A. Rg 439. f. 228. - جيميناز سولار - ليروس. ج. 16. دوفرك ص 463.

صداقات هامة بين القواد النصارى لحرس المسيحي وبعض الوزراء والكتّاب مثل صداقة اللقيط نابليون للملك أراغون لرئيس المخزن الكاتب عبد الله بن الخيق<sup>(1)</sup>. وكان لذلك أبعد التأثير على التقارب القطلاني - المريني وبالتالي على القرارات المتخذة.

فما هو هذا التأثير للتاج الأراغوني؟ وما هي أبعاده؟ يهدف هذا التأثير أولاً إلى مساعدة التجارة ودعمها ومساعدة التجار القطلانيين على التوجه إلى المغرب وإلى الحصول على إيتاوات من الديوانة المغربية.

وثانيا يرمي إلى تيسير سراح الأسرى المسيحيين ومبادلتهم بالمسلمين أو اشترائهم. وأخيراً يهدف هذا التأثير إلى منع المغرب وغرناطة من مهاجمة مسيحي إسبانيا.

وهذه السياسة هي التي فرضها جاقمو الثاني على القطلانيين الميورقيين والتي حققت المهادنة بين المغرب وملوك أراغون وميورقة وفرضت على القطّاع والقرصان.

وما تجدر الإشارة إليه هو أنه وإن تراجع القطع في البحر واضطّر القطلانيون غالباً إلى احترام الاتفاق والتحالف

---

(1) - A.C.A. CR. D. Jaime II Cafa 87. - الأرشيف الأراغوني دفتر

في عهد جاقمو الثاني وبعد موته سنة 1329م - فإن القراصنة القشتاليين وكذلك الغرناطيين لم يستجيبوا لهذه الضغوط ولم يحترموا هذه العقود والمعاهدات. فكان المناخ يراوح بين الحرب والسلم ويخلق ظروفا أمنية واختراقات تتجاوز التّعهدات الرسميّة ورغبات الملوك أنفسهم.

وبصفة عامّة يمكن أن نؤكد أن المستفيد الوحيد من كلّ هذه التحالفات والمعاهدات هم المرينيّون. وساعدهم على ذلك سياسة السّلطان أبي سعيد المتبصّرة والمهادنة والحكيمة: فأبو سعيد بتجنّبه المصادمة مع القشتاليّين والقطلانيّين وبني الأحمر بالأندلس استطاع أن يوفّر الأمن والرّخاء والتّوسّع بالمغرب الأوسط ببسط نفوذه على تلمسان وسجلماسة وما يمرّ بها من ذهب مالي وسوداني ويتمّ عبرها من مبادلات تجاريّة ومقايضات.

إلاّ أنّ هذه السّياسة الهادئة وطموحاتها الأندلسيّة المتواضعة توقّفت بموت السّلطان أبي سعيد ومبايعة ابنه سنة 1331م السّلطان أبي الحسن الوارث لدولة مزدهرة وصاحب الطّموح الكبير والشّخصيّة القويّة والمشاعر الإسلاميّة والمغربيّة الأصيلة والرّؤيا البعيدة. فكان جهاده المتواصل وتوسّعه بالأندلس وكامل المغرب باحتلاله مملكة



تلمسان وإفريقية من بجاية إلى طرابلس فكان الثراء  
والجهاد وتوحيد الأقطار المغاربية تحت راية واحدة،  
الرّاية المرينيّة.

وكان هذا الوضع مُشجّعاً لملك أراغون لمواصلة التعاون  
مع المرينيين ومهادنتهم والتركيز على الحفصيين للتغلغل  
بإفريقية والتآمر للسيطرة عليها حسب المعاهدة الموقعة مع  
قشتالة وكلّ ملوك النصارى بالمنطقة فكانت محاولة تنصير  
ملك إفريقية: السلطان ابن اللّحياني بتونس أولاً ثمّ حفيده  
أبو ضربة سنة 1325م سلطان المهدية وتونس وكانت الآمال  
الكبيرة التي عُقدت على هذه المحاولات والوعود التي  
باركها البابا يوحنا الثّاني والعشرون البابا الجديد ودسائس  
الرهبان وقواد الحرس المسيحيّ والسّفراء بتونس وبجاية.  
ولكنّ تقشّع هذا الحلم وباءت المخططات القطلانيّة بالفشل  
والإخفاق الذريع، ودفعت هذه النتائج السّلبية السّياسيّة  
القطلانيّة الجديدة إلى التحالف الاضطرابي مع القشتاليين  
والضّغط على ملك أراغون إلى مراجعة سياسته والتّخطيط  
الفعلي لاحتلال إفريقية ومناوئة السلطان أبي الحسن الذي  
استطاع أن يفرض سلطته على كامل المغرب وأن يسترجع  
سبتة وجبل طارق والجزيرة الخضراء وهزم القشتاليين  
والتنكيل بهم.

## هـ - التفوق المريني وازدهار التجارة

وواصل ملك أراغون الجديد ألفونس الرابع بعد موت أبيه جاقمو الثاني سنة 1332م مهادنة المرينيين وتشجيع الاتجار معهم ودعم جيوش ملك قشتالة ومدّه بالراكب والأجفان عن طريق التسويغ مع النصرة الصليبية استجابة لدعوة البابا ورجال الدين.

وواصل القطلانيون ببرشلونة وميورقة الضّغط على إفريقية مع السلطان أبي بكر<sup>(1)</sup> بتونس وأبي تاشفين بتلمسان قبل احتلال أبي الحسن المريني لهما للحصول على إيتاوات وأداءات من مداخل الديوانة بالبلدين، وهو ما تمّ مع ميورقة في عهد السلطان أبي بكر ومع أراغون في عهد السلطان أبي إسحاق الذي خلف والده أبا بكر.

والجدير بالملاحظة أنّ هذه التحوّلات لم تمنع التجارة من التّواصل والازدهار، فكان التجّار المسيحيون والمسلمون يتنقلون من برشلونة وبلنسية وميورقة على مراكبهم

---

(1) - معاهدة أبي بكر مع ميورقة سنة 1329م ودفعه لـ 500 د اعتبرها ملك ميورقة ثمن كراء المراكب وواصل المطالبة إلى عهد بطرو الرابع سنة 1344م. أنظر الوثائق الحفصية والزّيانية. عمر سعيدان.

المختلفة الأحجام إلى مدن المغرب ومراسيه لبيع بضائعهم أو مقايضتها، ونشأت بذلك حركيّة تجاريّة نشيطة عكست رغبة أراغون الجامحة في دعم التّجارة وتجنّب المواجهة مع المرينيّين إلّا أنّ هذا التّوجّه لم يمنع القطع والإغارات براً وبحراً من قبل القراصنة القطلانيّين وأحياناً القشتاليّين والإيطاليّين من جنوة والبندقية. وهذه القرصنة كانت تدفع القراصنة المسلمين خاصّة بسبّة إلى ردّ الفعل وأسر التّجار والبحارة والعمل على مقايضتهم أو بيعهم.

وكان القطع القطلانيّ للميورقيّين أو الأراغونيّين يدفع السّلاطين إلى مراسلة التاج الأراغوني والاحتجاج على عدم احترام المعاهدات وعقود الصّح والتّهديد بالتّأثير وردّ الفعل. كما كانت القرصنة القطلانيّة الرّسميّة أو غير الرّسميّة وسيلة ضغط لإثارة مسائر راسبة وطلب سراح الأسرى النّصارى.

ونقدر أن نجزم بأنّ الدّولة المرينيّة مع السّلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان بدتْ القوّة العظمى بالمنطقة والحامية الوحيدة لمصالح المسلمين بالمغرب والأندلس والدّاعمة القوية لحليفاتها مثل الحفصيّين بإفريقيّة وبني

الأحمر عند الاستصراخ بغرناطة والمهاجمة دوما للزّيانيّين  
بتلمسان وقشتالة بإسبانيا.

فلقد استطاع المرينيّون بفضل تحالفهم الظرفي مع  
القطلانيّين وعدم تصادمهم معهم أن يُوقِفُوا هجومات  
القشتاليّين وأن يحققوا توازناً في المنطقة يخدم مصالحهم  
ومصلحة شبه الجزيرة المغربيّة الموحّدة مؤقتاً مع السّلطان  
أبي الحسن وابنه أبي عنان الذي واصل سياسة والده  
الحازمة والمهادنة لبُترو الرّابع، مثلما كان جدّه يوسف  
متحالفاً مع جاقمو الثّاني ضدّ أعداء المنطقة بني عبد الواد  
والقشتاليّين.

ومما يجدر ذكره أنّه رغم انهزام السّلطان أبي الحسن  
بطريف بالأندلس لتحالف بني الأحمر مع قشتالة وغدرهم  
به مع ملوك النّصارى مجتمعين بالأندلس ومقتل زوجته  
الحفصيّة بهذه المعركة وإقدام بُترو الرّابع على الانضمام إلى  
المتحالفين النّصارى لاحتلال الجزيرة الخضراء بعد هزيمتهم  
النّكراء بسبّقة ومقتل عشرات الآلاف من الجنود  
المسيحيّين، فلقد تواصل التّعامل القطلانيّ المرينيّ  
واستمرّت التّجارة بين مختلف المواني القطلانيّة والمارينيّة.

## و - تواصل التفوق المريني مع أبي عنان

وكذلك كان الأمر مع أبي عنان، ابن أبي الحسن. ولقد توفّق إلى إعادة السّيطرة على الجزيرة وطرّد النّصارى واسترجاع طريف وجبل طارق واحتلال تلمسان وسجلماسة وما كان يمرّ بها من ثروات وتجارة صحراوية إفريقية. وواصل فرض القوّة المرينيّة بكامل شمال إفريقيا وثغور الأندلس تقريبا وإنعاش الحلف القطلاني المريني بمهادنة بترو الرّابع ملك أراغون والتّوافق معه على حساب القشتاليين والبرتغاليين، القوّة الجديدة النّصرانيّة الناشئة على المحيط.

ولقد اختار القطلانيون بأراغون وميورقة بقيادة بترو الرّابع سياسة جدهم جاقمو الثاني المتمثّلة في عدم المصادمة مع المرينيين والتّحالف معهم ولو ظاهريّا لتحقيق المكاسب الاقتصاديّة وتجهيز الأساطيل البحريّة وهي السياسة التي انتهجها السّلطان أبو سالم ابن أبي الحسن بعد أبي عنان في العشريّة السّابعة من القرن الرّابع عشر ميلادي (1360م - 1363م): حزم مع قشتالة ومسالمة بني الأحمر ومهادنة القطلانيّين.

## ز - القوّة البحريّة القطلانيّة

والتفت بترو الرّابع إلى البحر الأبيض المتوسّط عاملا  
بنصيحة جدّه جاقمو: "السيطرة على الحوض الغربي  
المتوسّطي تضمن الانتصار بالأراضي المقدّسة والسّيطرة على  
فلسطين". واستطاع بفضل حياد المرينيّين الاستيلاء الكامل  
على سردانيا وبذلك على كلّ جزر الحوض الغربي للبحر  
الأبيض المتوسّط. وصارت السّياسة القطلانيّة واضحة  
المعالم: الاتّجار وتقوية الأساطيل والسّيطرة على البحار  
وحلم بعيد كان وما زال آنذاك قاعدة المخطّطات القطلانيّة  
الدّينيّة وهو الوصول إلى الأراضي المقدّسة بفلسطين  
واحتلالها. ولئن كان حلم الاستيلاء على جبل طارق قائما  
وهو هاجسه الأكبر، الأمر الذي دفعه مثل جدّه  
إلى الاحتياط من القشتاليّين وعدم التّورّط معهم علنا  
في حروبهم مع المسلمين بالأندلس عند حصوله على  
بلنسية ومحاولاته الدّائمة وضع يده على مقاطعة المريّة  
المتوسّطية.

## ن - التوازن بالمنطقة

وخلق تشابك المصالح الدائم الحذر من ناحية وتجييش الجيوش من ناحية أخرى وتوازننا للقوى بالمنطقة: القوى المسيحية من ناحية بقيادة قشتالة وأراغون مع تصميم خفيٍّ ومعلن على احتلال الأندلس واسترجاعها وتمهيد الطريق للوصول إلى الأراضي المقدسة، والقوى الإسلامية من ناحية أخرى بقيادة الدولة المرينية، مع إصرار على مواصلة الجهاد والحفاظ على الأندلس وقواعد النفوذ بها.

وكانت تلك سياسة الدول المغربية الكبرى مع خلفائها العظام وكان ذلك قدرها: مع المرابطين ويوسف بن تاشفين ومع الموحدين وعبد المؤمن بن علي ومع المرينيين والسلطان أبي الحسن.

وكانت هذه السياسة الحازمة سياسة كل من السلطان أبي سالم بعد أبي عنان وأبي العباس أحمد والسلطان فارس الذي انتعشت معه الدولة المرينية بعد تراجعها وركودها مع السلاطين الصبية المحجوب عليهم أبناء أبي عنان وأحفاده.

وقد شهدت العلاقات القطلانية المرينية مع السلطان

أبي سالم<sup>(١)</sup> القادم من غرناطة بمساعدة بني الأحمر حرارتها، واسترجعت التجارة عافيتها بعد حروب طريف والجزيرة ومجازر سبتة. فلقد نشطت الحركة التجارية من جديد وتحول التجار القطلانيون بأعداد هامة إلى المواني المغربية والمراسي المرينية لبيع منتوجاتهم وبضائعهم المختلفة: المنسوجات - الأواني القصديرية - التحف - الشموع - البلور - الخشب وأحيانا الحبوب. وكانت هذه البضائع تباع نقدا بالدينار الذهبي أو تقايض بالذهب الوارد على سجل ماسة والمغرب من البلاد الإفريقية: مالي والسودان.

---

(١) - أنظر قسم الوثائق في القسم الثاني من الرسائل التي بعثها أبو سالم إلى يثرو الرابع والسلطان فارس.



## 4 - التبادل التجاري ونوعيته

### أ - الاتجار والتواصل

هذا التبادل التجاري الذي كان يشجعه ملك أراغون ويدعمه ويعتبره من أولويات سياسته ومخططاته التوسعية والإمبرالية كان يباركه السلاطين المرينيون أنفسهم لما يدره من أرباح ويفتحه من آفاق. ولقد خلق حركة نشيطة في البحر الأبيض المتوسط وطرقا بحرية مفتوحة ومألوفة.

ونشأ عن هذه الحركة التجارية تواصل في المنطقة، بل تعارف وتآلف رغم عداوة رجال الدين وأحقادهم وتوجيهاتهم العدائية. فكنت ترى في المراسي القطلانية: برشلونة ميورقة وبلنسية وسبته التجار المسلمين من المغرب والقطلانيين النصاري في سلا وطنجة وفاس ومراكش - حيث توجد منطقة كنائسية منذ عهد الخليفة المأمون الموحد - وبسجلماسة مفتاح الصحراء الإفريقية وباب الطريق المؤدية إلى مالي والسودان وإلى ثروات معدنية هامة من ذهب وفضة وبضاعة ثمينة مفقودة ومطلوبة بأروبا بأكملها.

### ب - التوجه العام للنشاط الاقتصادي

ما هي البضائع المتبادلة وما هو التوجه العام لهذا

## النشاط الاقتصادي؟

رأينا العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أراغون والمغرب تتواصل وتنشط متحدية كل الأوضاع والأحوال ومتجاوزة السياسة وتعقيدات المعاهدات وضرورياتها سواء في البضائع العادية التقليدية أو المراكب والأجفان. ففي مستهل القرن الرابع عشر ميلادي تذكر لنا الوثائق والنصوص مثلاً أن تاجراً قطلانيا<sup>(1)</sup> من تراقونة كان موجوداً في سفر بسبقة باع قسماً من مركبه إلى والي المدينة أبي طالب العزفي. وتحدثنا عن عدد كبير من التجار القطلانيين من برشلونة وطرطوشة وميورقة كانوا يتاجرون بسبقة ويتعاملون مع تجار مسلمين مغاربة في مراسي مغربية عديدة في مواد عديدة منها القمح والخشب...

### ج - التأمين على المراكب والبضائع

فرغم تهديدات القراصنة وإغاراتهم، والمواجهات من حين لآخر بين الأساطيل. خاصة مع القشتاليين كان التجار وأصحاب المراكب يقدمون على الإبحار والاتجار

---

(1) - في الأرشفيف الميورقي ببرشلونة: ج 1. ص 37. الوثائق الخاصة بملكية المراكب. عائلة العزفي. ابن خلدون ج 8. ص 159. ترجمة بالفرنسية دوسلان De Slane.

متحدّين كلّ الأخطار. وممّا شجّع على المخاطرة نظام التأمّينات الذي ظهر. فلقد تأسّست بعض الشركات الصّغيرة والعائلات الرأسماليّة المستثمرة لتقديم ضمانات لأصحاب المراكب وبعض التّجار على الذّو التّالي:

- يعوّض الرأسماليّ المستثمر لصاحب المركب أو التّاجر صاحب البضاعة كلّ بضاعته أو مركبه في حالة حصول حادث أو عطب أو إغارة.

- ويعطي صاحب المركب أو التّاجر نسبة هامّة من أرباحه للمستثمر الضّامن بدون دفع أيّ تعويض في صورة بدء صاحب المركب بالهجوم أو الإغارة على مراكب أخرى. - وكذلك صار من المتعارف لدى أصحاب المراكب أن يعوّضوا للتّجار بضائعهم في حالة إقدام صاحب المركب على المخاطرة ومهاجمة مراكب أخرى بدون موافقة التّجار. - وعند موافقة التّجار النّازلين بالمركب على القيام بالإغارة واقتسام الغنائم مع صاحب المركب لا يحصلون على أيّ تعويض عند إتلاف بضائعهم وهلاك بعضهم أو سبيهم.

فهذه التّقاليد التّعويضيّة والضّامنة للتّجار وأصحاب المراكب في آن واحد بقطلانية وقشتالة شجّعت على الاتّجار وركوب البحار والأخطار حتّى في أوقات الحرب وانقضاء

آماد الصّٰلح أو الهدنة.

## د - موضوع الأسرى

والملاحظ أنّه في صورة وقوع التّجّار في الأسر فيمكن لهم دفع التّعويضات المطلوبة للقراصنة والحصول على حرّيتهم. وظهر تجّارٌ مختصّون دورهم الأساسيّ يتمثّل في التّوسّط لاشتراء الأسرى ومبادلتهم بالأموال أو غيرهم من أسرى البلاد الأخرى. فالتّجار بالأسرى كان تجارة نافعة ومزدهرة.

## هـ - سبب عدم تطوّر العلاقات القطلانيّة - المرينيّة

وكان دوما العائق الكبير لتطوّر هذه العلاقات القطلانيّة المرينيّة يتمثّل في موقف الغرناطيّين وبني الأحمر المعادي لأراغون ومنافسه قشتالة الدّائمة وتحالفها الظّرفي مع الغرناطيّين ضدّ أراغون وتوسّعها سواء بإسبانيا والمراسي الإسلاميّة الأندلسيّة أو بالمغربين الأوسط والأدنى. فقشتالة مثلت عرقلةً كبيرة وعقبةً كأداء في وجه تنامي الأمبراليّة الأراغونيّة ومحاولتها السّيطرة على البحر والتّجارة العالميّة بالمحيط والبحر الأبيض المتوسّط<sup>(1)</sup>.

(1) - الأرشيف الأراغوني: سجلّ ص 334. جيميناز سولار: ج. 3. ص 306.

## 5 - التَّجَارَةُ الرَّسْمِيَّةُ لِلْقَطْلَانِيِّينَ وَمَلِكُ أَرَاغُونِ جَاقِمُه الثَّانِي وَبَتَرُه الرَّابِعُ

### أ- المراكب

تمثّلتْ هذه التَّجَارَةُ أَوَّلًا فِي تَسْوِيعِ المَرَاكِبِ والأَجْفَانِ  
لِلسَّلَاطِينِ المَرِينِيِّينَ بِمُقَابِلِ هَامٍّ. وَلَقَدْ كَانَ السَّلَاطِينُ أَنْفُسَهُمْ  
يُرْغَبُونَ فِيهَا لِتَقْوِيَةِ أُسَاطِيلِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ مَعَ الْقَشْتَالِيِّينَ  
وَالْغُرْنَاطِيِّينَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَشْتَرِطُ مَلِكُ  
أَرَاغُونِ شُرُوطَهُ الْخَاصَّةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَيَطْلُبُ تَسْرِيحَ بَعْضِ  
النَّصَارَى أَوْ التَّجَارِ الْقَطْلَانِيِّينَ أَوْ دَفْعَ قِسْمٍ مِنْ مَدَاخِيلِ  
الدِّيَوَانَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ مِنَ الْبَضَائِعِ الْقَطْلَانِيَّةِ. وَهُوَ مَا رَفَضَهُ دُومَا  
السَّلَاطِينُ المَرِينِيُّونَ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ تَوَتَّرِ  
العَلَاقَاتِ بَيْنَهُمَا.

فَالْبَضَائِعُ الْوَارِدَةُ مِنْ أَرَاغُونِ كَانَتْ تَدْفَعُ 10% مِنْ  
قِيَمَتِهَا، مِثْلَمَا كَانَتْ أَقَرَّتْ ذَلِكَ مَعَاهِدَةُ بَرَشْلُونَةِ مَعَ تُونِسَ  
سَنَةِ 1314م<sup>(1)</sup> فَالْمَرْكَبُ كَانَ يُسَوَّغُ بِأَلْفِي دِينَارٍ ذَهَبًا فِي

---

(1) - أَنْظِرْ نَصْرَ الْمَعَاهِدَةِ: الْأَرْشِيفُ الْأَرَاغُونِيّ فِي الْمُرَاسِلَةِ مَعَ أَرَاغُونِ لِعَمْرِ  
سَعِيدَانِ.

الأربعة أشهر للمركب الواحد بزيادة 250 ديناراً لكل شهر إضافي. وكانت هذه التجارة مربحة للدولة ولأصحاب المراكب ومُجهّزيها. إذ كان الربح الحاصل يبلغ 100% في السفرة الواحدة. لذلك كان تسويق المراكب مطلوباً ومرغوباً فيه. وكانت تسوّغ المراكب لحمل البائع والركّاب والأثمان. كانت تنخفض حينما يكون المسافرون جماعات.

ففي سنة 1330م دفعت مجموعة من 30 مسلم 20 ديناراً ذهباً للسفر من ميورقة إلى إفريقية. فكان المسافر في القرن الرابع عشر يدفع من 20 إلى 30 سوري للسفر من برشلونة أو مرسليليا إلى المغرب الأوسط أو الأدنى.

وبالنسبة للبضائع فنقل القفيز من الحبوب يتطلب 4 دنانير وربعا من سلا إلى المرية.

وكان قنطار الصّوف (5، 43 كغ) يدفع ديناراً وربعا لنقله من أنفة إلى برشلونة.

## ب - كراء الحرس المسيحي

العنصر الثاني في التجارة القطلانيّة الميريّة: يتمثل في

---

- الأرشيف الميورقي: ج 10، ص 69، دوفيرك: ص 539.

كراء الحرس المسيحيّ والفرسان القطلانيّين للعمل في الجيش المرينيّ والحرس السلّطاني فلقد أرّسّى القائد "برنات سيقى" تقاليد للقطلانيّين سواء كانوا من أراغون أو من ميورقة.

فكان القائد المعيّن للإشراف على الحرس، المُسوَّغ يُعتَبَرُ السّفِيرَ الرّسمي للملك أراغون بالمغرب، والممثل القانوني الدائم، يوجّه الحرس القطلانيّ بالمغرب ويُدافع عن مصالحهم ويحرص على تقاضيتهم أجورهم وخدمة سلاطينهم. وكان يهتمّ بحلّ مشاكل هذا الحرس عند موت أحدهم بالمغرب وتجهيزه إلى أراغون عند ارتكابه أخطاء أو مطالبة الملك برجوعه وكان يهتمّ بالمسائل الإداريّة ويتابعها. والملاحظ أنّ عائلة "سيقّي" أعطت مجموعة من القوّاد أبا عن جدّ يتوارثون المهنة أو المسؤوليّة كلّما تُوفّي أحدهم<sup>(1)</sup>.

وكثيرا ما يكون للقائد دورٌ سياسيّ وتدخل في شؤون الدّولة وخلع سلطان أو تعيين آخر.

---

(1) - الأرشيف الأراغوني. A.C.A. Cortas Arabes Cafa 2. n°= 28. الوثائق العربيّة. سجلّ 2 ص 28.

فجاقمو الثاني كان طالب بأربعين ألف ديناراً 40 000 مقابل تجهيز خمسين جفناً لمساعدة أبي سعيد على احتلال سبتة. أما الوزير المريني الثائر رحو بن يعقوب الوطاسي فقد وعد القائد "قترالو" بدفع 200 000 دينار مقابل تسويغ 50 مركباً لمهاجمة أسطول السلطان أبي ربيع نفسه وتسليم قشتالة الجزيرة الخضراء في صورة نجاح الثورة. فهذه التجارة كانت مربحة وخادمة للسياسة القطلانية والقشتالية.

### ج - العنصر البشري والمتاجرة بالإنسان

أما المعطى الثالث في هذا التبادل التجاري فيتمثل في العنصر البشري والمتاجرة بالإنسان. وكانت كل الأطراف تتعاطى تجارة ناشطة ومربحة سالبة للإنسان حرّيته وعابثة بكرامته فكانوا يخلقون الفرص والمناسبات للإغارة والقرصنة براً وبحراً لتأسير الرعايا المسالمين والتجار والمسافرين نساء ورجالا وأطفالا وبيعهم في سوق العبيد سواء كانوا بيضا أو سودا أو سادة أو مسودين. وكان ملوك أراغون ورجال الدين يدفعون الأموال الطائلة لتسريح رعاياهم واشترائهم. وكان أحيانا السلاطين يرفضون بيعهم ويستعملونهم في الخدمة



بحرسهم وفي مختلف الحرف بالبلاد، فسلطان تلمسان  
يغمراسن وابنه تاشفين حوالي 1323م - 1310م رفضا تسريح  
الأسرى النصارى بحجة استعمالهم في إعمار البلاد<sup>(1)</sup>.

## د - تجارة العبيد ومختلف البضائع الأخرى

وكان القراصنة يحرصون على الإغارة على كبار التجّار  
والأمراء للحصول على غرامات مرتفعة وأموال طائلة رغم  
اعتراض الملوك على ذلك.

وإلى جانب أسرى عمليّات القرصنة نجد تجارة العبيد  
السود الذين كانوا مطلوبين بأراغون وأروبا بصفة عامّة،  
فكان التجّار المسلمون واليهود يعمدون إلى جلبهم من  
السودان ومالي وإفريقيا بصفة عامّة عن طريق الإغارة أو  
الشراء والمقايضة. كانت هذه التجارة المؤلّة للإنسان  
والمنافية للأخلاق والتعاليم الدينيّة لا سيّما الإسلاميّة رائجة  
في هذا القرن وتتمّ بتشجيع من ملوك أراغون وحرص منهم  
لما تدرّه عليهم من أموال وأرباح تساعد في مغامراتهم  
وتحقيق مخططاتهم مثلما كان صرح به جاقمو الثاني في  
حربه لاحتلال سردانيا ومطالبته العون من السلطان المريني

---

(1) - أنظر رسالة سلطان تلمسان إلى جاقمو الثاني حول تسريح الأسرى.

فقدّم له المساعدة والدّعم للتّحالف الذي كان قائماً بينهما ضدّ قشتالة.

أمّا البضائع الأخرى التي كانت تتمّ مبادلتها ويقع تحمّل الأخطار في سبيلها فهي التّوابل والأقمشة وبعض المعادن الثّمينة: الفضة والذهب، والرّزفران وموادّ الصّبغ كالنّيلة وبعض الحشائش الطّبيّة والأواني الفخاريّة كالجرار والصّحاف والشّمع وغيرها مثل الخشب وبعض الثّمار والغلال الجافّة مثل اللّوز والجوز. ومن أهمّ البضائع المطلوبة آنذاك الصّوف والزّيّت والقمح وسائر الحبوب. وإن كانت تجارة الحبوب تحجّر من حين لآخر، فالبابا منع الملوك المسيحيّين من السّماح بالاتّجار فيها وكذلك بالخشب حتّى لا يستطيع السّلاطين تنمية صناعة المراكب وتطوير أساطيلهم.

### هـ - النّقل وسعره

والملاحظ في هذا المجال أنّ ثمن نقل الحبوب كان مرتفعاً جدّاً، وسعر بيعها يتجاوز 50% وأحيانا 100% سعرها الأصلي ببلد التصدير.

ومع ذلك فإنّ سعر نقل الصّوف في المراكب كان يساوي أربع مرّات وأحيانا عشر مرّات سعر نقل الحبوب، فنقل 100 كغ من الصّوف كان يساوي 4 دنانير ذهباً ونقل 100 كغ

من القمح يساوي دينارا واحدا من مرسى مغربيّ إلى مرسى قطلانيّ أو أراغونيّ. أمّا قيمة النّقل بالنّسبة للصّوف فكان يساوي من 2 إلى 10% من ثمن الصّوف. وأمّا ثمن نقل الحبوب كالقمح فكان يتجاوز 30% وأحيانا 50% من ثمنها بالمنشأ.

ونلاحظ أنّ البضائع التي كان يستوردّها القطلانيّون من المغرب لم تكن معظمها مغربيّة الأصل بل كثير منها كان قادمًا من إفريقيّا مالي والسّودان وبلاد الشّرق نفسها كالتّوابل والتّحف وبعض الأقمشة الدّمشقيّة. فالحركيّة كانت كبيرة والنّشاط مستمرّا والأموال والثّروات في تجمّع وتكدّس والإمبراليّة الأراغونيّة الفارضة قوانينها ومصالحها بصدد التّوسّع وفرض نفسها بحوض البحر الأبيض المتوسّط غربا وشرقا وبالتّالي بالعالم.

## 6 - ملحقات: جداول الصّرف وقيمة المراكب والبضائع وأجر البحّارة

- الصّرف وقيمة الدّينار الذهبى المغربى  
- دينار واحد ذهب<sup>(1)</sup> يساوى 19 سوردى برشلونى سنة 1317م.  
- دينار ذهبى ودانق الرّشيد يساوى 18 سوردى برشلونى سنة 1318م.  
- دينار ذهب واحد يساوى 20 سوردى برشلونى بين سنتى 1320-1321م.  
- دينار ذهبى يساوى 24 سوردى ميورقى سنة 1310م.  
- دينار ذهبى يساوى 20 سوردى برشلونى بين سنتى 1326-1327م.

- قيمة السفن والمراكب  
من أوائل القرن الرّابع عشر كان المركب<sup>(2)</sup> يساوى ما بين 500 و2500 دينار ذهبى كلفة الجفن البرشلونى

(1) - الأرشيف الأراغونى. رقم 627. ص 178-180 الوثيقة القطلانيّة بتاريخ 12 سبتمبر 1311م بها تسجيل حسابات السّفير كشتلنو لدى المغرب - الأرشيف الأراغونى A.C.A. رقم 624. ص 111.  
(2) - نصّ بالأرشيف الأراغونى A.C.A. رقم 630-627 بتاريخ 1319م حول قيمة الدّينار. - أريباس بلو La Conquista h 151: Arribas Plau - كتاب الاحتلال يؤكّد أنّ نفقة البحّار الواحد تبلغ سوردى برشلونى.

متوسّط تبلغ 10 000 سوردي برشلوني وبصفة عامّة يكون الثمن الأدنى 500 دينار ذهباً والأقصى 2500 دينار ذهباً. أمّا المراكب الصغيرة التي حمولتها بعض الأطنان من 6 إلى 9 فكان ثمنها يبلغ 260 سوردي برشلوني و360 سوردي ميورقي. وكان ثمن السفينة "أقيلة" التي تبلغ حمولتها 240 طناً وعدد بحّاريها 52 رجلاً بلغت كلفتها 2000 دينار ذهباً، وكانت ملكاً شخصياً للملك أراغون جاقمو الثاني.

- أمّا أجر البحّار فيقدّر بسبعة أو ثمانية دانق في اليوم الواحد وللبحّار الواحد. بمعنى أقل من سوردي برشلوني. فمركبٌ يشتمل على 100 بحاراً كان يتطلب بصفة تبلغ من 2000 إلى 3000 سوردي في الشهر الواحد. أمّا كلفة الاعتناء بالمركب وعمارته : (الأكل، الأجر والمتطلّبات الأخرى اليومية) فبلغت 3000 سوردي في الشهر.

كلّ هذه النفقات والكلفة المتواضعة نسبياً تؤكد أنّ مراكب صانعي المراكب ومجهّزيها تفوق المائة بالمائة 100% . لذلك كانت هذه الصناعة مزدهرة ومطلوبة سواء بأراغون وميورقة أو ببلاد المغرب.

- قيمة العمليات التجارية بين المغرب والقطانيين في  
النصف الأول من القرن الرابع عشر م

| التاريخ (م) | واردة من<br>(الباخرة أو<br>المركب) | الاتجاه              | قيمة البضائع                                  |
|-------------|------------------------------------|----------------------|---|
| 1310-1307   | برشلونة<br>وأرزيلة                 | برشلونة<br>أو أرزيلة | - 885 د ذهبياً                                |
| 1310        | بلنسية                             | المغرب               | - 727 د ذهبياً                                |
| 1319        | ميورقة                             | أنفة                 | - 7940 سوريدي برشلوني<br>أي 360 د ذهبياً.     |
| 1325        | ميورقة                             | سبتة                 | - 145 د ذهبياً أي 3178<br>سوريدي ميورقي.      |
| 1329        | قرطاجنة                            | المغرب               | - 795 سوريدي برشلوني<br>119 دنق أي 40 ديناراً |
| 1321        | المغرب                             | صقلية                | - 180 ديناراً                                 |

- مثال: قيمة معاملات أراغون مع المغرب إلى سبتة  
سنة 1309م بالنسبة لبعض الأشهر: 60 000 دينار A.C.A.  
.reg. 334.

- قيمة البضائع المغربية التي حجزها القراصنة  
القطانيون

| التاريخ | المكان | نوع المحجوز    | القيمة  |
|---------|--------|----------------|---------|
| 1322    | البحر  | مغارية من سبتة | 4 050 د |

- عدد التجّار الذين قدموا للتجارة ببعض المراسي والمدن  
المغربية من 1311 إلى 1331

| المكان  | عدد التجّار    |
|---------|----------------|
| أنفة    | $13 = 7 + 6$   |
| سبتة    | $26 = 13 + 13$ |
| أرزيلة  | $9 = 5 + 4$    |
| الكُدية | $17 = 9 + 8$   |
| سَلَا   | $4 = 3 + 1$    |
| مليلا   | 2              |
| قادس    | 3              |
| أزمور   | 1              |

يبلغ عدد التجّار ومالكي المراكب الباحثين عن  
متسوّغين 74 شخصا تقريبا، كما يتّضح من السّفر عدد 7  
بالأرشيف بميورقة A.H.M. Vol 7.

## - استنتاجات عامة

يتّضح لنا من كلّ ما تقدّم التّوجّه المتوسّطيّ وبالتّالي الإفريقيّ للقطلانيّين والأراغونيّين والأندلسيّ للمرينيّين، وبفضل هذا التّوازن الذي برز على السّاحة كان هذا العصر بهذه المنطقة الحيويّة والهامة العصر الذهبيّ للتّجارة. والتّعاطي الحرّ لمختلف الأصناف التّجاريّة والبضائع الأساسيّة رغم تدخّلات الكنيسة وتحريمات البابا لبيع الحبوب والخشب مثلاً. فشجّع الوضع على تنامي القوّة القطلانيّة بالبحار وتعثّر القشتاليّين بالأندلس وصمود المرينيّين وعرقلتهم لأيّ توسّع أو الحدّ منه على الأقلّ.

ويظهر أنّ الهدف خاصّة بالنّسبة للقطلانيّين والأراغونيّين لم يعد الانتصار للصّليب وتحقيق نجاحات دينيّة وصلبيّة سريعة في بلاد الإسلام بل كسب مواقع اقتصاديّة وتجاريّة مفيدة ومساعدة على تحقيق الهيمنة المنشودة والتّنصير المأمول.

ولا يمكن فهم روح هذه العلائق السّياسيّة وهذه التّحرّكات المغربيّة الإسبانيّة بدون الإلمام بحقيقة هذه الأنشطة الاقتصاديّة والتّجاريّة السّائدة وأبعادها. ونكون قد أخطأنا الهدف إن تجاهلنا الواقع السّياسيّ بالمنطقة وما



يحفّه من تنافسات ورغبة جامحة في المزيد من التوسّع على حساب الآخر.

ولا ننسى أنّ السّيطرة على البحر الأبيض المتوسط بالنّسبة لأراغون والقطلانيّين تعني السّيطرة على الطّريق المؤدّية للشّرق وراثته الرّوحيّ والماديّ، لذلك كان القطلانيّون منذ القرن الثّالث عشر يتوجّهون إلى الإسكندريّة ومصر وقبرص والآستانة وبلاد الأناضول وحرص جاقمو الثّاني سنة 1315م وزواجه بأميرة قبرص "ماريا لوزانيان"<sup>(1)</sup>. ورغم أنّ الكنيسة حجّرت التّجارة مع الأتراك فكان ملك أراغون يجد التّعلّات للتعامل معهم<sup>(2)</sup> وتوجيه أقاربه للتّجارة مع تركيا وقسنطينة وأثينا وكلّ البلاد المجاورة. فيبدو المغرب مرحلة موصلة إلى المشرق، وأسراره وخبراته وتجارته تبدو متّمة للتّجارة الكبرى مع المشرق<sup>(3)</sup>. والواضح أنّه لم تكن هنالك موانع تمنع تواصل الحوضين للمتوسّط: الغربي والشرقي. وكان التّنافس في هذا

---

(1) A.C.A. R. 156. p<sup>o</sup>: 250.

(2) - دراسة نيكولو دولوار Nicolau d'olwer : التّوسّع القطلاني.

(3) - لأكور قيّات Lacour Gayet : تاريخ التّجارة ج 2. ص 250.

الميدان التجاريّ قوياً مثلما كان في الميدان السياسيّ لكنّ أراغون استطاعت تحقيق غرضها والسيطرة على البحار، وبالتالي على التجارة بكامل البحر الأبيض المتوسط بفضل هذه المكتسبات العديدة التي تحقّقت ببلاد المغرب وإفريقيّة والحوض الغربيّ عموماً للبحر الأبيض المتوسط.

فالهيمنة الأراغونية القطلانيّة بالبحر حقيقيّة، وإن ساعدت القوى الميريّة على الحدّ من طموحاتها ونهمها ورغبتها في المزيد من التوسّع. لكن لنا أن نؤكد أنّ النّجاح على الأرض كان مُنعِداً وأنّ استيلاءها على الأراضي الإفريقيّة المغربيّة لم يتحقّق، فحتّى جزر جربة وقرقنة التي كان احتلّها الملك القطلاني الصّقليّ "فريديرك الثاني" تمّ استرجاعها وطرد كلّ النصارى منها. كما أنّ السيطرة على مضيق طارق المنشودة دوماً والتي كانت محور السياسة الأراغونية لم تتمّ واحتلال المريّة المخطّط له دوماً لم يحصل. وهكذا يحقّ لنا أن نعتبر السياسة القطلانيّة الأراغونية التوسّعية فشلت فشلاً ذريعاً سواء في عهد جاقمو الثاني أو بترو الرابع. أمّا الإمبراليّة الاقتصاديّة الأراغونية فلقد تشكّلت وتجلّست بفضل هذا الوضع الذي ساهمت في خلقه مثل هذه العلاقات المغربيّة - القطلانيّة.

## ملاحظات ختامية

بعد هذه المتابعة لخصائص هذه العلاقات ومحاولة التّقصّي لمنعطقاتها وخصوصيّاتها واستعراض مراحل تطوّرها، نستطيع أن نستنتج الملاحظات النهائيّة التالية:

1 - لعبت المخطّطات الدينيّة والأبعاد الروحيّة دورا كبيرا في تشكيل هذه السّياسة وإقرار هذه العلاقات. وكان لبرشلونة ورجال أعمالها الدّور الأساسي في تنمية هذه العلاقات.

2 - إنّ مهادنة المرينيّين للقطلانيّين وأراغون ساعدت على تنمية القوّة المرينيّة وخدمة الأهداف التوسّعيّة للسلّاطين المرينيّين خاصّة بالأندلس وتلمسان.

3 - إنّ مناوئات غرناطة وتحالفاتها مع قشتالة أضرت بالدّولة المرينيّة وبمملكة بني الأحمر نفسها ولم تخدم المصالح الإسلاميّة وعجلت بتداعي مُلك بني الأحمر.

4 - إنّ الفتن الداخليّة المغربيّة بين الأمراء المرينيّين أضعفت الدّولة وأنهكتها وهيأتها كي تُصبح لقمة سائغة للقشتاليّين والملوك النّصارى بالأندلس بداية من المنتصف الثّاني للقرن الرّابع عشر ميلادي وخاصّة بعد هلاك السّلطان أبي فارس في العشريّة الثّامنة من ذلك القرن.

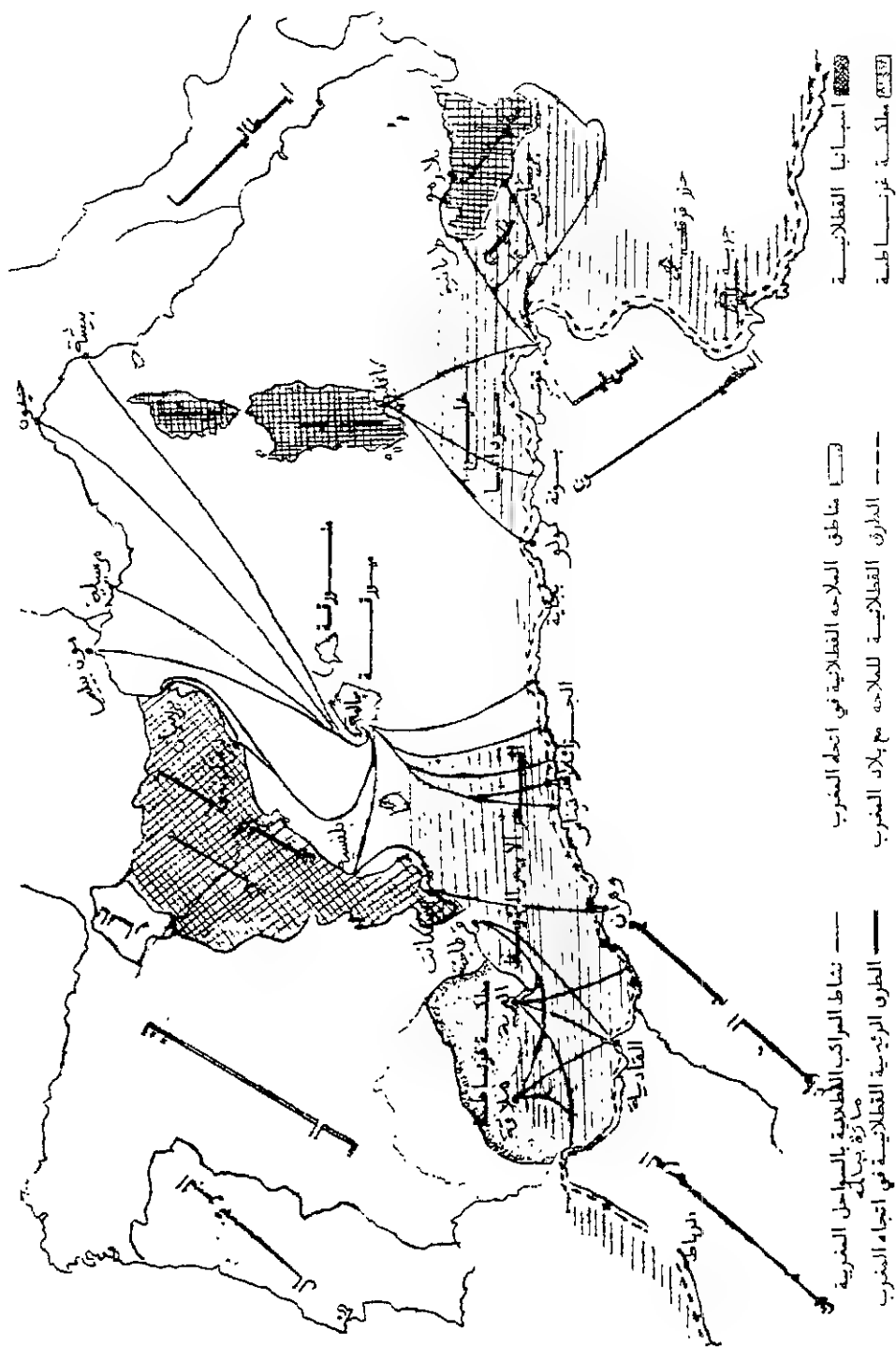
5 - إن هذه العلاقات القطلانيّة المرينيّة خلقت ولا شكّ جوّاً مناسباً لتنامي القوى المرينيّة وازدهار التجارة بالمغرب وكانت سبب فشل السياسة الأراغونيّة في الاستيلاء على تلمسان وإفريقيّة وعلى الحصول على مناطق نفوذ بها.

6 - فشلت الكنيسة في تحقيق أهدافها التنصيريّة بالدول المغاربيّة خاصّة بتلمسان وإفريقيّة وفي القضاء - مؤقتاً - على الإسلام والمسلمين بالأندلس.

7 - حملت هذه العلاقات القطلانيّة المغاربيّة والأراغونيّة - المرينيّة في طياتها الآمال المستقبلية للكنيسة وإسبانيا المسيحيّة وأروبا الصليبيّة، فكان لأسباب داخلية (الحروب الأهلية) وطبيعية انهيار الدولة المرينيّة. وكان العلامة عبد الرحمان بن خلدون لخصّها في عامل فتور العصبيّة بمرور الزمن وهرم الدول بعد نشأتها وفتوتها وشبابها وضعفها وانقراضها.

ولنا أخيراً أن نوّكد أنّ هذه السياسة الإمبراليّة القطلانيّة الأراغونيّة - الإستعماريّة بلغة اليوم - لم تنجح دينياً ولم تحقّق أغراض الكنيسة ولم توفّق في تنصير بلاد الإسلام، غير أنّها استطاعت زرع بذور الإمبراليّة العصريّة

ومهدت لاحتلال إسبانيا وأروبا إفريقيا وأمريكا الجنوبيّة  
وكثيرا من البلاد الإسلاميّة الإفريقيّة والآسيويّة في القرنين  
التّاسع عشر والعشرين. بل إنّ هذه السّياسة أخّرت واقعا  
لا يمكن لعاقل نكرانه يتمثّل في صلابة العقيدة الإسلاميّة  
ومناعة الإسلام وقدرته الطّبيعيّة على التّحدّي والمقاومة  
والثّبات.





**القسم الثاني**  
**الوثائق : رسائل وعقود**  
**تقديمها - تحليلها - التعليق عليها**



## المرينيون ومراسلاتهم مع ملك أراغون بإسبانيا القطلانية

### تمهيد

عرفت شبه الجزيرة المغربية في تاريخها العربي الإسلامي الوسيط دُولاً أصيلة الأرض المغربية وربية مناخها وطبيعتها وسليلة سكّانها الأصليين البرابرة كانت حامية عقيدتهم الإسلام وبانية حضارتهم وواضعة لبننتهم في صرح الحضارة الإنسانية. ولقد تعاقبت هذه الدّول على البلاد المغربية منذ الفتح الإسلامي والعصور الإسلامية الأولى بها فكانت دولة المرابطين والموحّدين بمراكش والحفصيّين بإفريقيّة وتونس والمرينيّين بفاس وتونس وتلمسان وغيرها من الدّول قبلها: الأغلبيّة بالقيروان والإدرسيّة بالمغرب وكلّها لعبت دوراً هاماً في تاريخها وكان لها دور أساسي في نحت حضارة الحوض البحر الأبيض المتوسط وساهمت في تشكيل طبيعته ومعالم حضارته وإرساء قواعد تعامل وتعاون

بين مختلف الدّول وبناء علاقات تعايش وتفاهم وتبادل تجاريّ وأحياناً علاقات تنافس وتصادم.

ونهتمّ في هذا البحث - بعد الدّراسة<sup>(1)</sup> التي قمنا بها حول الحفصيّين ثمّ بني عبد الواد وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانيّة - بالمرينيّين ودولتهم العتيّدة في الثّلاثين الأوّل والثّاني من القرن الرّابع عشر ميلاديّاً وعلائقهم بالقطلانيّين وإسبانيا المسيحيّة.

ونعتمد في هذه الدّراسة وثائق تاريخيّة أساسيّة وأصليّة احتفظ بها لنا الأرشيف الأراغونيّ ببرشلونة وهي رسائل وعقود صلح ومعاهدات، تشرح لنا طبيعة هذه العلاقات المرينيّة القطلانيّة وتكشف لنا عن الأجواء السّياسيّة السّائدة بينها وبين الدّول المجاورة الإسلاميّة والمسيحيّة: بني عبد الواد بتلمسان وبني الأحمر بغرناطة والنّصارى بقشتالة وأراغون. فرسمت لنا هذه الوثائق ملامح السّياسة التي اعتمدتها كلّ من الدّولتين القطلانيّة الأراغونيّة بأراغون

---

(1) - أنظر: الحفصيّون وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانيّة - عمر سعيّدان - وبنو عبد الواد بتلمسان وعلاقاتهم بإسبانيا القطلانيّة. المؤلّف نفسه. نشر مؤسّسة سعيّدان بسوسة. ط. 2002.

بإسبانيا والمرينية بالمغرب الأقصى وسمحت لنا بأن  
نستشف الدوافع والأبعاد للسياستين وأحيانا أسباب  
النجاح والفشل.

فهذه الرسائل والعقود التي بلغت خمسا وعشرين وثيقة  
مرقمة مرسمة من 77 إلى 112 بالأرشيف الأراغوني ببرشلونة  
تمثل المراسلة التي تمت بين الدولتين في هذه الفترة  
وتكشف لنا عن حقيقة العلاقة التي كانت قائمة ونوعيتها  
وتفضح الخلفية التي كانت تحركها والوجه الحقيقي  
لأصحابها الملوك والوزراء والسفراء والرسل.

فهي مادة خام هامة ثرية لا مندوحة للدارس والباحث  
عنها وهي حرية بإثراء مكتبتنا التاريخية وتشجيع  
المؤرخين المغاربة والباحثين بهذا الوطن الحبيب،  
المغرب العربي الكبير، بإعادة كتابة تاريخنا المغربي  
الوسيط بعد تفهم حقيقة واقع ماضينا المجيد والمزير  
وأسباب التراجع والانهازم والانكسار رغم فشل السياسة  
الامبرالية التوسعية لدول الأجوار بإسبانيا: أراغون وقشتالة  
ثم البرتغال.

١٥ ( ) - الوثيقة رقم 77 بالأرشيف الأراغوني

- التقديم

هذه رسالة من يوسف بن عبد الحق<sup>(١)</sup> بتلمسان إلى  
جاقدو الثاني ملك أراغون تخصّ السّفراء الذين أرسلهم  
جاقدو والمساعي الحسنة التي قاموا بها وذلك بتاريخ 15  
شعبان من سنة 703هـ الموافق لـ 24 مارس من سنة 1304م.

---

(١) - كان يوسف بن عبد الحقّ المؤسس الفعليّ للدولة المرينية قد حاصر  
تلمسان عاصمة بني عبد الواد الزّياتيين واستولى عليها وأقام بتلمسان  
الجديدة التي بناها خارج سور تلمسان وسماها المنصورة.

## - نصر الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ يُوسُفَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَأَعَزَّ  
نَصْرَهُ إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الشَّهِيرِ الْأَنْبَلِ  
الْأَحْفَلِ الْأَوْفَى الْكَرِّمِ الْمَشْكُورِ الْأَنْهَضِ الْأَنْجَدِ دُونَ  
جَاقُمِ سُلْطَانِ أَرْغُونَ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَنْظَارِ ابْنِ  
السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَشْهَرِ الْأَنْبَلِ الْأَحْفَلِ الْكَرِّمِ الْأَنْجَدِ  
الْحَسِيبِ دُونَ بَطْرُ وَصَلَ اللَّهُ فِيمَا يَرْضَى مِنَ الْأَفْعَالِ  
الْجَمِيلَةِ اهْتِمَامَهُ وَأَنْتَهَاضَهُ وَيَـ[سَّرَ] لَدَيْنَا بِحَسَبِ  
ذَلِكَ أَغْرَاضَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ عَلَى  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الْكَرَامِ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصَلَاةِ  
الدُّعَاءِ لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَرِيئِيَّةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِدَوَامِ النَّصْرِ  
الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا السَّعِيدَةِ بَتِلْمَسَانَ<sup>(١)</sup>  
الْجَدِيدَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ وَلَا نَاشَى بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَّا تَوَالِي  
السَّعْدِ الْمُسَاعِدِ وَقَهَرَ كُلَّ عَدُوٍّ وَمُعَانِدٍ. وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكُمْ  
وَيُجْرِي فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ بِمَنْهِ وَإِلَى هَذَا جَعَلَ  
اللَّهُ عَزَمَكُمْ فِيمَا يُوَافِقُ وَقَرَنَهُ بِالْاِعْتِنَاءِ الْمُطَابِقِ فَإِنَّا  
نُعَرِّفُكُمْ بِوُصُولِ كِتَابِكُمْ الْأَثِيرِ صُحْبَةَ كَاتِبِكُمْ وَخَدِيمِكُمْ  
غُرْسِيَسَ لَشَبِيْنٍ أَنْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَعَرَّفْنَا مِنْهُمَا مَا  
عِنْدَكُمْ مِنْ حُسْنِ الْمَجَامَلَةِ وَمَشْكُورِ الْمُسَاعَدَةِ وَالْمُوَاصَلَةِ  
وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَا يَتَسَنَّى بِهِ الْخَيْرُ مِنَ الْإِثْتِلَافِ  
بِمَشْكُورِ الْمَحَاوَلَةِ وَعِنْدَنَا لَكُمْ أَضْعَافُ ذَلِكُمْ فَثِقُوا بِهِ  
وَابْتَهِجُوا بِسَبَبِهِ وَذَكَرْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ إِنَّا نَصَدِّقُ كَاتِبَكُمْ  
الْمَذْكُورَ فِي كُلِّ مَا يُلْقِيهِ إِلَيْنَا عَنْكُمْ وَيَنْصُهُ عَلَيْنَا مِمَّا  
نَتَحَقَّقُهُ مِنْ لَدُنْكُمْ. وَقَدْ أَلْقَى لَنَا كُلُّ مَا أَلْقَيْتُمْ لَهُ عَلَى  
الْكَمَالِ وَالْتِمَامِ وَسَلَّكَ فِي ذَلِكَ مَسَلَّكَ النَّبِهَاءِ الْعُقَلَاءِ

(١) - كانت تلمسان تحت سلطة المرينيين في أيام السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية.

مِنَ الْخُدَامِ. وَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي تَوْجِيهِكُمْ مِثْلَ ذَلِكَ  
 الشَّخْصَ النَّبِيلَ الَّذِي سَعَى فِي كُلِّ عَمَلٍ مَرْضِيٍّ وَخَيْرٍ  
 جَزِيلٍ وَكُلِّ مَا أَلْقَى لَنَا شُكْرًا فِيهِ قَصْدَكُمْ وَعَلِمْنَا مِنْهُ  
 مَا عِنْدَكُمْ. وَوَصَلَ صُحْبَةَ الْجَمْعِ الَّذِي بَعَثْتُمْ وَأَوْلَيْنَاهُمْ  
 مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْاعْتِنَاءِ فَوْقَ مَا أَمَلْتُمْ وَقَصَدْتُمْ. وَمِنْهُ  
 تَتَعَرَّفُونَ شَرْحَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ. وَقَدْ أَلْقَيْنَا لَهُ  
 مَا يُلْقِيهِ إِلَـ[يْكُمْ مِنْ] <sup>(1)</sup> جُزْئِيَّاتِ الْأَحْوَالِ وَبَيَّنَّا لَهُ فِي  
 ذَلِكَ كُلِّ مَقَالٍ وَلَيْسَ إِلَّا مَا تَغْتَبِطُ بِسَـ[بِيهِ] <sup>(2)</sup>  
 وَتَشْكُرُونَ جَمِيلَ مَذْهَبِهِ وَقَدْ وَجَدَ هُنَا كَاتِبُكُمْ الْمَذْكُورُ  
 رُسُلَ صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ حَفِظَهُ اللَّهُ وَوَقَعَ الْكَلَامُ  
 مَحْضَرَهُمَا فِيمَا يُصْلِحُ الْأَحْوَالَ وَيُسْنِي لِلْجَمِيعِ الْخَيْرَ  
 الدَّائِمَ الْإِتِّصَالَ. وَكَانَ [الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنْ] <sup>(3)</sup> تَكُونَ

(1) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(2) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(3) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

الْهُدْنَةُ<sup>(١)</sup> بَيْنَكُمْ حَتَّى يَعُودَ مِنْ قِبَلِكُمْ [كَاتِبُكُمْ]<sup>(٢)</sup> وَيَقَعَ  
اجْتِمَاعُهُ هُنَا بَمَنْ يَصِلُ مِنْ غَرْنَاطَةِ..... الْأُمُورِ عَلَى  
أَوْثَقِ أَسَاسٍ وَيَتَسَنَّى الْخَيْرُ [بِمَا لَا]<sup>(٣)</sup> شَكٌّ فِيهِ وَلَا  
التَّبَاسَ. وَوَصَلَ إِلَيْنَا إِرْسَـ[الْ بَنِي] مَرِينَ الَّذِينَ  
هُنَالِكُمْ فِي بِلَادِكُمْ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ وَعَرَّفُونَا [بِمَا] صَدَرَ  
مِنْكُمْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي..... يُنَاسِبُ مَنْصِبَكُمْ.....  
الْكَبِيرَ وَمِثْلَ..... النَّصَارَى..... الْفِعَالِ..... إِذَا  
حَلُّوا..... وَيُبَادِرُ لِمَا يُكْمِلُ لَهُ لَدَيْ.....<sup>(٤)</sup> جَمِيعَ  
مُرَادِهِ وَشَكَرْنَا لَكُمْ.....<sup>(٥)</sup> ذَلِكُمْ مُتَّصِلٌ وَثَنَّاؤُنَا لَا  
يَنْفَصِلُ وَ.... وَقَعَ الْكَلَامُ مَعَ كَاتِبِكُمْ فِي مَسَائِلِهِمْ

(١) - مفاوضات تحوّل الهدنة بين غرناطة وأراغون ولقد تمت فعلا.

(٢) - تمت الزيادة ليستقيم التركيب والمعنى.

(٣) - تمت الزيادة ليستقيم التركيب والمعنى.

(٤) - فراغ في الأصل.

(٥) - فراغ في الأصل.



بَيْنَكُمْ وَأَعْمَالَهُ. وَلَكُمْ عِنْدَنَا مِنَ النَّظَرِ الْجَمِيلِ وَالْاِعْتِنَاءِ  
الْجَزِيلِ وَالتَّيْسِيرِ لِمُرَامِكُمْ لَدَيْنَا وَالتَّسْهِيلِ مَا يُقَرِّبُ  
لَكُمْ كُلَّ التَّامِيلِ وَيُعِينُكُمْ عَلَى جَمِيعِ مَنْ عَادَاكُمْ  
وَيُرِيكُمْ أَغْرَاضَكُمْ فِي مَنْ بَعَدَ عَنْكُمْ وَدَانَاكُمْ. فَكُونُوا  
بِذَلِكَ وَاثْقِينَ وَإِلَيْهِ رَاكِنِينَ وَعَلَيْهِ عَامِلِينَ.

وَقَدْ وَجَّهْنَا كِتَابَنَا هَذَا صُحْبَةَ الْخَدِيمِ الْأَجَدِّ  
الْأَنْجَدِ الْأَنْهَضِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ  
الـ... اباني وَالْخَدِيمِ الْأَجَدِّ الْأَنْهَضِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَحْفُوظٍ.  
وَأَمَرْنَاهُمَا أَنْ يُلْقِيَا <sup>(١)</sup> إِلَيْكُمْ مَا أَلْقَيْنَاهُ إِلَيْهِمَا  
فَلْتَصَدَّقُوهُمَا <sup>(٢)</sup> (Sic) فِي جَمِيعِ مَا يُلْقِيَانِهِ إِلَيْكُمْ  
وَيَعُودَانِ سَرِيعًا بِمَا تَوَدَّعُونَ<sup>(٣)</sup> إِيَّاهُمَا. وَاللَّهُ تَعَالَى  
يُيسِّرُ رُشْدَكُمْ وَيُسِّنِي قَصْدَكُمْ. وَإِذَا وَصَلَا مِنْ عِنْدِكُمْ  
بِحَدِيثِ الصُّلْحِ وَتَيَسَّرَتْ بِذَلِكَ أَسْبَابُ النُّجْحِ أَخَذْنَا

(١) - أَنْ يُلْقِيَا : (عوض) لَا يُلْقِيَانِ.

(٢) - فَلْتَصَدَّقُوهُمَا : (عوض) لَا فَلْتَصَدَّقَاهُمَا.

(٣) - بِمَا تَوَدَّعُونَهُ : (عوض) بِمَا تُودَّعُوهُ.

## - التحليل

وَجَّهَ السُّلْطَانُ يَوْسُفَ وَهُوَ بَتْلَمَسَانَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي سَمَّاها  
الْمَنْصُورَةَ وَبَنَاهَا خَارِجَ أَسْوَارِ مَدِينَةِ تَلْمَسَانَ الْعَتِيقَةَ عَاصِمَةَ  
مُلْكِ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ إِلَى مَلِكِ أَرَاغُونَ جَاقِمُو الثَّانِي لِإِشْعَارِهِ  
بِوُصُولِ كِتَابِهِ صَحْبَةَ كَاتِبِهِ الْخَاصِّ "غَرْسِيَسَ لَشْبِيَيْنَ" الَّذِي  
اجْتَهَدَ فِي تَبْلِيغِ السُّلْطَانِ مَشَاعِرَ الْوَدِّ وَالْاحْتِرَامِ الَّتِي عَبَّرَ  
عَنْهَا الْمَلِكُ وَامْتَدَحَ الرَّسُولَ بِمَا أَظْهَرَهُ مِنْ حِكْمَةٍ وَنَبَاهَةٍ  
وَحِرْصٍ لِدَعْمِ أَوَاصِرِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعَاوُنِ.

وَأَبْلَغَ السُّلْطَانُ مَلِكَ أَرَاغُونَ بِقُدُومِ الْوَفْدِ مِنْ خِدَامِهِ  
وَالْتَجَارَ الْقَطْلَانِيِّينَ وَحَسَنَ اسْتِقْبَالَهُ لَهُمْ وَالْاعْتِنَاءَ بِهِمْ بِمَا  
يَلِيْقُ بِمَكَانَةِ الْمَلِكِ.

وَأَشَارَ فِي آخِرِ الرِّسَالَةِ إِلَى الْمِهْمَةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي قَدِمَ مِنْ  
أَجْلِهَا الرَّسُولُ وَتَخَصَّصَ عِلَاقَاتِهِ مَعَ غَرْنَاطَةِ وَمَوْقِفِهَا وَلَا شَكَّ  
مِنَ الْأَجْوَارِ الْقَشْتَالِيِّينَ.

وَذَكَرَ السُّلْطَانُ أَنَّ رُسُلَ صَاحِبِ غَرْنَاطَةِ قَدْ وَصَلَتْ بَعْدَ

واستقبلهم بمحضر سفير ملك أراغون. وتحدّث مع الوفدين  
فيما يخصّهما ويُصلح العلاقة والأحوال بين البلدين ، وبشره  
بحصول الاتفاق بما يرضي كلّ الأطراف.

### - التعليق

تُبيّن هذه الرّسالة المكانة التي كانت للدّولة المرينيّة منذ  
تأسيسها لقوّتها واتّساع رُقْعَتِهَا والدّور الكبير المؤهّلة للقيام  
به. فجاقمو الثاني الملك الخبير بشؤون السّياسة والباني  
للقوّة القطلانيّة بإسبانيا والحوض الغربيّ للبحر الأبيض  
المتوسّط والمعتبر وقتئذٍ أعظم ملك مسيحيّ بالمنطقة إذ لم  
يكن له مثيل بالعالم المسيحيّ بادر باستعطاف السّلطان  
يوسف المؤسّس الفعليّ للدّولة المرينيّة وخطاب ودّه والسّعي  
لإقامة علاقات تعاون تجاريّ وتحالف سياسيّ معه ، بل  
تجاوز جاقمو هذه الخطوة وناشده بالتّدخل لدى صاحب  
غرناطة لإقامة علاقات مصالحة وتعاون معه لتأمين نفسه  
من أطماع ملك قشتالة الرّاغب في التّوسّع والاستيلاء على ما  
تبقّى من ممالك ملوك الطوائف الإسلاميّة بالأندلس.

واستطاع جاقمو بفضل تدخل السلطان يوسف تحقيق الهدنة مع بني الأحمر وصاحب غرناطة.

فالرسالة تؤكد لنا قيمة التحالفات السياسية بالمنطقة ودورها في الحد من طموحات الملوك الأجوار مسيحيين ومسلمين وتشير إلى طموح المرينيين غير المحدود الذي استطاع كل من السلطانين أبي سعيد وابنه أبي الحسن تجسيمه لاحقاً.

ونستطيع في الختام أن نقول بوثوقٍ إن دور الدولة المرينية الناشئة أساسي في المنطقة وهام وخطير في الجناح الغربي للبلاد الإسلامية وهو يضيء الدور الذي اضطلعت به سالفاتها الدولة الموحّدية.

(2°) . الوثيقة رقم 78 بالأرشيف

**- التقديم**

هذا كتابٌ من يوسف بن يعقوب بن عبد الحق إلى  
جاقدو الثاني ملك أراغون بتاريخ موفى ذي القعدة من سنة  
703هـ الموافق لـ 5 يولية من سنة 1304م حول احتلال سبتة  
وافتكاكها من صاحبها الخناق وموقف جاقدو الثاني من  
الصّٰلح مع غرناطة وقشتالة.

## - نصّ الرسالة -

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ يُوسُفَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ وَأَسْعَدَ  
أَصَالَهُ وَبُكَرَهُ إِلَى الْمَلِكِ الْأَصْدَقِ الْأَوْفَى الْأَشْهَرِ الْأَنْجَدِ  
دُونَ جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونَ أَلْهَمَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّشَادِ وَوَفَّقَهُ  
إِلَى السَّدَادِ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى  
وَصِلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ  
الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِصَرِّكَمُ اللَّهُ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُ  
الْأَحْوَالَ وَيُبْلِغُ الْأَمَالَ مِنْ حَضْرَتِنَا السَّعِيدَةِ بَتِلْمَسَانَ<sup>(١)</sup>

(١) - كان السلطان يوسف وقتئذ سلطان تلمسان وكان قد حاصرها وبقي  
محاصرا لها أيام يغمراسن الزيانى وبنى حولها تلمسان الجديدة  
حيث كان يُقيم جُنْدَه كما بعث بجيشه إلى سبته لافتكاكها من

الْجَدِيدَةَ كُلَّهَا اللَّهُ وَلَا جَدِيدَ بِيَمْنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا  
الْخَيْرُ الْأَتَمُّ وَالْيُسْرُ الْأَعْمُّ وَالطُّوْلُ الْجَزِيلُ الْهَامِي الدَّيْمُ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ وَأَجْرِي  
أُمُورَكُمْ عَلَى مَا يُوَافِقُ الْأَغْرَاضَ وَالْمُرَادَ وَسَنَى بِهِ الْخَيْرَ  
الَّذِي لَا يَزَالُ فِي اِزْدِيَادٍ.

فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ أَنَّهُ تَقَدَّمَ لَكُمْ الْكُتُبُ قَبْلَ هَذَا بِأَيَّامٍ  
قَلِيلٍ فِي شَأْنِ مَا كَتَبْتُمْ بِهِ مِنْ أَنَّكُمْ لَا تَكْمِلُونَ صَلَاحًا  
مَعَ صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ وَلَا مَعَ صَاحِبِ قَشْتَالَةَ إِلَّا بَعْدَ  
الْمُوَافَقَةِ مِنَّا عَلَى ذَلِكَ لِأَجْلِ مَا تَصَوَّرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنَ  
الْمُجَامَلَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَمَا عَلِمَ مِنْ ذَلِكَ  
عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْجُمْهُورِ. وَالْآنَ لَمَّا تَأَكَّدَ عِنْدَنَا مِنْ  
مُشَارَكَتِكُمْ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي يَتَسَنَّى لِلْجَمِيعِ بِهَا الْخَيْرُ  
فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالَ نَعْرِفُكُمْ بِأَنَّ الْخَنَاقَ صَاحِبَ  
سَبْتَةِ تَرْتَبَ لَنَا عِنْدَهُ مَائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ فِي

---

صاحبها الخنّاق الذي كان وعد بدفع إيتاء سنوي لم يُوف به وهو  
وال حليف لبني الأحمر بغرناطة.

هَذِهِ السِّنِينَ السَّالِفَةِ وَهِيَ الْوَاجِبَةُ عَلَيْهِ الْمُعْتَادَةُ فَلَمَّا  
 طَلَبْتُ مِنْهُ صَارَ يُعَامِلُنَا بِالتَّسْوِيفِ وَيَعْتَذِرُ بِأَعْذَارٍ لَا  
 تُقْبَلُ مِنْهُ تَنَاسِبُ حُمَقِهِ وَمَذْهَبُهُ السَّخِيفُ فَبَعَثْنَا مَنْ  
 مَحَلَّاتِنَا وَجُيُوشِنَا وَقَبَائِلَ بِلَادِنَا الْمُجَاوِرَةِ لِسَبْتَةِ مَنْ  
 يَحْصُرُهَا فِي الْبَرِّ أَشَدَّ الْحِصَارِ وَيُذِيقُ أَهْلَهَا النَّكَالَ  
 وَالْوَبَالَ فِي عُقْرِ الدَّارِ وَيَسْتَوْلِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ  
 الْمَوَاضِعِ وَيَقْطَعُ عَنْهَا جَمِيعَ الْمَرَافِقِ وَالْمَنَافِعِ حَتَّى  
 يُصِيرَهَا وَأَهْلَهَا عِبْرَةً لِلدَّانِي وَالْقَاصِي وَنَسْتَوْلِي عَلَيْهَا  
 بِحَوْلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فِيهَا مَانِعٌ وَلَا مُدَافِعٌ. وَرَأَيْنَا أَنْ  
 تَأْمُرُوا جُمْلَةً مِنْ أَجْفَانِكُمْ تَنْزِلُ عَلَيْهَا فِي الْبَحْرِ فَإِنَّهَا  
 مِنْ جِهَةِ الْمِينَةِ دُونَ سُورٍ لِيَكُونَ دُخُولُهَا هِينًا فِي  
 أَقْرَبِ أَمَدٍ. وَالْمِائَةُ أَلْفٍ الَّتِي عَلَيْهِمْ لَكُمْ فِيهَا - إِنْ  
 دَخَلْتَ بِالسَّيْفِ - خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَنَا خَمْسُونَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ. فَانْتُمْ أَوَّلُ [مَنْ] نَخْتَصُّهُ بِهَذِهِ الْمَنْفَعَةِ  
 الْكَبِيرَةِ لِأَجْلِ مَا ثَبَتَ بَيْنَنَا مِنْ حُسْنِ الْعَامَلَةِ وَجَمِيلِ  
 السَّيَرَةِ. وَالْقَصْدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فَتْحُهَا وَالِاسْتِيْلَاءُ



عَلَيْهَا مُعَجَّلًا فَإِنَّهَا إِذَا حُصِرَتْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ كَانَ  
 أَمْرُهَا قَرِيبًا مُسَهَّلًا. وَنُوجُهُ لِعُمْرَةِ أَجْفَانِكُمْ فِي الْبَرِّ مَا  
 يَقُومُ بِهِمْ مِنَ الزَّرْعِ لِلْعَوْلَةِ. وَإِذَا دَخَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
 فُكُلٌ مَا فِيهَا وَعِنْدَ أَهْلِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَكُمْ فِيهِ  
 أَوْفَرُ نَصِيبٍ. وَنَهْدُمُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا السُّورُ.  
 وَتَرْجِعُ أَجْفَانَكُمْ لِمَكَانِهَا، وَيَكُونُ لَنَا مِلْكُ سُورِهَا.  
 وَفَعَلَكُمْ فِي ذَلِكَ مَشْكُورٌ.

وَإِنْ أُعْطِيَ أَهْلُ سَبْتَةِ الْمَالِ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ الْبَلَدَ  
 فَلَكُمْ فِيهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَنَا سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.  
 وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ مَنْفَعَتُهَا لَكُمْ ظَاهِرَةٌ. وَهِيَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ  
 مَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ أَجْفَانِكُمْ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ أَلْقَيْنَا لِأَخِي الْقَائِدِ  
 الْأَنْجَدِ بَرْنَاطَ سَجِينٍ وَلِلْخَدِيمِ أَبِي الْعَبَّاسِ الطُّرْطُوشِيِّ  
 صِهْرَ ابْنِ الْكَمَادِ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَا يُلْقِيَانِهِ لَكُمْ  
 عَلَى التَّمَامِ. وَالْقَصْدُ فِي هَذَا أَنْ يَكُونَ تَوْجِيهُكُمْ

(١) - إقرار بالنفع الذي يجزّ قطع الأجفان.

لِلْأَجْفَانِ مُعْجَلًا قَبْلَ أَنْ يَبْرُدَ الْفَصْلُ وَيَنْقَطِعَ الْبَحْرُ.  
فَإِذَا بَرَدَ الْفَصْلُ فَلَا فَايِدَةَ لِتَوْجِيهِ الْأَجْفَانِ فَإِنَّ الْجَيْشَ  
فِي الْبَرِّ يَأْخُذُهَا. فَإِنْ عَزَمْتُمْ عَلَى هَذَا فَوَجَّهُوا الْأَجْفَانِ  
طَالَمَا هُوَ زَمَنُ عَوْمِهَا فِي الْبَحْرِ بَاقٍ. وَأَمَّا إِذَا انفَصَلَ  
زَمَنُ الْحَقِّ فَلَا تَطْلُبُوا مِنَّا التَّوْفِيقَ لَكُمْ بِمَا ذَكَرْنَا فِي  
كِتَابِنَا إِلَّا إِذَا جَدَدْتُمْ حَرَكَةً أُخْرَى فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ ،  
فَحِينَئِذٍ نَجَدُّ<sup>(١)</sup> مَعَكُمْ أَيْضًا مِنَ الرُّبُطِ إِنْ بَقِيَتْ سَبْتَةٌ  
لَمْ تُؤْخَذْ مِنَ الْبَرِّ. فَخَلِّصُوا هَذَا الْأَمْرَ لِجِهَةٍ. وَعَجَّلُوا  
الْجَوَابَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.  
وَاللَّهُ يُجْرِي الْأُمُورَ عَلَى وَفْقِ الْمُرَادِ بِمَنْهٖ.

وَكُتِبَ فِي عَقِبِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامَ ثَلَاثَةِ  
وَسَبْعِمِائَةٍ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

(١) - تأكيد للتّحالف الحاصل بين السّلطانين.

## - التحليل

إن هذه الرسالة هامة. فهي تشير إلى موقف جاقمو الثاني ملك أراغون من الصلح المقترح مع صاحب غرناطة وملك قشتالة. فهو يبلغ السلطان في كتاب رسمي سابق أنه لا يبرم هذا العقد إلا بعد موافقته ورضاه على مختلف بنوده. وهذا يؤكد عمق المودة التي أصبحت قائمة بين السلطانين والتحالف الذي توثق بينهما. وهو ما يضمن لسلطان فاس المريني تنفيذ مخططاته واستيلاءه على سبتة كما أخبر ملك أراغون في هذه الرسالة. فيقول في هذا الكتاب: "فِي شَأْنِ مَا كَتَبْتُمْ.... قَبْلَ هَذَا بِأَيَّامٍ قَلِيلٍ مِنْ أَنْكُمْ لَا تَكْمِلُونَ صَلَاحًا مَعَ صَاحِبِ غَرْنَاطَةِ وَلَا مَعَ صَاحِبِ قَشْتَالَةِ إِلَّا بَعْدَ الْمُوَافَقَةِ مِنَّا عَلَى ذَلِكَ لِأَجْلِ مَا تَصَوَّرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْمُجَامَلَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ"<sup>(1)</sup>.

ونرى السلطان لما تأكّد من صداقة ملك أراغون وقبوله

---

(1) - أنظر الوثيقة رقم 78 وموقف جاقمو الثاني من الصلح مع قشتالة وغرناطة.

مُساعدته بادر بإعلامه بعزمه على التوجّه إلى سبّته  
لاحتلالها لموقف صاحبها ابن الخنّاق من الاتفاق الذي  
كان تمّ معه بدفع إيتاء سنويّ ترتّب عنه مائة ألف دينار  
صارت في ذمّته لفائدة المرينيّين. ومن أجل ذلك طلب  
السّلطان في هذا الكتاب من جاقمو الثاني مساعدته لاحتلال  
سبّته بإرسال أسطول من الأجفان ينزل بسبّته بحرا إلى  
جانب الجيش الذي يرسله السّلطان براً ويَعِدّه بمقابل هامّ  
نصف المبلغ المطلوب أي خمسين ألف دينار ذهباً إن  
خاض الأسطول معركة مع سبّته وثلاثين ألف دينار  
فحسب إن تمّ الاحتلال بدون معارك ويعلن السّلطان أنّه  
يتحمّل عمارة الأجفان وتجهيزها لاسيّما بالزّرع والحبوب.  
فالسّلطان يوسف يعرض على حليفه صفقة تجارية تعود  
عليه بالنفع العميم والفائدة الكبرى كما ذكر له في هذه  
الرّسالة : "...وَالْمَايَةُ أَلْفُ الْتِي عَلَيْهِمْ لَكُمْ فِيهَا إِنَّ

دَخَلْتُ بِالسَّيْفِ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَنَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ  
فَأَنْتُمْ أَوَّلُ [مَنْ] <sup>(١)</sup> نَخْتَصُّ بِهِ هَذِهِ الْمَنْفَعَةَ الْكَبِيرَةَ لِأَجْلِ مَا  
ثَبَتَ بَيْنَنَا مِنْ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَجَمِيلِ السَّيْرِ. ويواصل  
السلطان ترغيب حليفه فيقول له: "فَكُلُّ مَا فِيهَا وَعِنْدَ أَهْلِهَا  
مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَكُمْ فِيهِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ. وَنَهْدُمُهَا حَتَّى لَا  
يَبْقَى فِيهَا إِلَّا السُّورُ وَتَرْجِعُ أَجْفَانُكُمْ لِمَكَانِهَا وَيَكُونُ لَنَا  
مَلِكُ سُورِهَا". فنرى السلطان يغريه لكن يشترط عليه أن لا  
يطالب بشيء آخر فالسور له — أي المدينة — تصبح ملكا  
للمرينيين. ونراه كيف تجاوز المشكل الذي قد يحدث، فقد  
يهدم كامل المدينة ولا يبقى منها إلا السور ويقوم بعدئذ  
بإعادة بنائها وإعمارها.

ويواصل الترغيب في الرسالة بقوله: "وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ  
مَنْفَعَتُهَا لَكُمْ ظَاهِرَةٌ وَهِيَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ  
أَجْفَانُكُمْ". فيريد إقناعه بأن دخل الأجفان من هذه العملية

(١) — تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

أحسن بكثير من أيّ عمليّة أخرى: المقصود بالطّبع الكراء أو القطع. ويبين السلطان أنّ توجيه الأجفان ينبغي أن يتمّ في أقرب وقت على كلّ قبل أن يبرد الفصل وينقطع البحر فبعد ذلك لا فائدة في الأجفان فتتمّ العمليّة عندئذ برّاً. وإن لم يتوفّق في السّيطرة عليها برّاً وتأخّر قدوم الأجفان يعيد الكرّ في الرّبيع. ويمكن لأراغون المشاركة في العمليّة بنفس الأسر والشروط.

فهذه الرّسالة تجسّم هذا التحالف الذي تمّ بين الحاكمين.

## - التعليق

نقف من خلال هذه الرّسالة على مطامح كلّ من السلطانين ومبادئهما السّياسيّة:

1 - يبدو ملك أراغون مشغولاً بالنّاحية الماديّة ولا يهتمّه إلاّ الحصول على الأموال والدّنانير الذهبيّة. وهذا التّوجّه أساسيّ في سياسته وعلاقاته بمختلف الدّول المغاربيّة:

إفريقية الحفصية وتلمسان الزيانية والمرينيين.

2 - أما السلطان المريني فهو مشغول أولاً بالتوسع والاستيلاء على ممالك أخرى مثل جاره المسيحي ملك قشتالة الذي يخطط دوما للاستيلاء على مدن ملوك الطوائف وما تبقى من الممالك الإسلامية بالأندلس.

3 - نلاحظ كيف يتعاون السلطان المريني مع منافسه ملك أراغون ومع ملك أجنبي للإحاطة بدويلة مسلمة على الساحل المغربي: هي سبتة.

4 - وأخيرا يتأكد لنا أن الناحية الدينية لدى المرينيين والممالك الإسلامية المجاورة لا تحتل أهمية كبرى في سياستهم؛ فالمهم هو التوسع الترابي والسيطرة على مدن وأراض أخرى والقضاء على الأعداء المنافسين من الممالك الإسلامية المجاورة وبشتى الطرق ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق والدين. وهو عمل في الحقيقة يضعف جانب هذه الدول ويسمح للعدو المتربص بالانقضاض عليهم في أي مناسبة سانحة.

### 3°) - الوثيقة رقم 79 بالأرشيف

#### - التقديم

هذا كتاب من يوسف بن يعقوب إلى جاقمو الثاني ملك  
أراغون حول المفاوضات الخاصة بالصّح بين أراغون  
وقشتالة والسّفير الذي أرسله لمناقشة الموضوع وذلك بتاريخ  
18 ذي القعدة من سنة 703هـ الموافق لـ 23 جوان من سنة  
1304هـ.



## نص الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ يُوسُفَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ  
بِمَعُونَتِهِ وَيُسِّرْهُ إِلَى الْمَلِكِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الْمَكْرَمِ الْأَشْهَرِ  
الْأَوْفَى الْأَحْفَلِ دُونَ جَاقُمٍ مَلِكِ أَرْغُونَ سَنَى اللَّهِ  
إِرْشَادَهُ وَشَكَرَ خُلُوصَهُ لِهَذَا الْجَانِبِ الْكَرِيمِ وَاعْتَقَادَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ  
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ  
الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ  
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصِلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ  
الْعَلِيَّةِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا السَّعِيدَةِ بَتِّلْمَسَانِ  
الْمُبَارَكَةِ الْجَدِيدَةِ كَلَاهَا اللَّهُ وَلَا نَاشِئَ بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَحَدِّهِ وَبَرَكَاتِهِ هَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ وَإِلَى اللَّهِ نَصْرُهُ وَعِزُّهُ  
إِلَّا الْخَيْرُ الْأَتَمُّ وَالْيُسْرُ الْأَعَمُّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ  
كَثِيرًا وَإِلَى هَذَا سَنَى اللَّهُ إِرْشَادَكُمْ فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ بِوُصُولِ

كَتَابِكُمْ الْأَثِيرَ تَعَرَّفْنَا مِنْهُ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْمُوَافَقَةِ فِي  
 جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْجَرِيِّ عَلَى الْمَذْهَبِ الْمَحْمُودِ الْمَشْكُورِ  
 وَالْبَقَاءِ عَلَى مَا يُثَبَّتُ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَتَسَنَّى  
 بِهَا الْخَيْرُ الشَّامِلُ الْمَوْفُورُ. وَذَكَرْتُمْ أَنَّكُمْ تَكَلَّمْتُمْ فِي  
 شَأْنِ صَلَاحِكُمْ مَعَ صَاحِبِ قَشْتَالَةَ وَصَاحِبِ غَرْنَاطَةَ  
 وَأَنَّ تَصْحِيحَ ذَلِكَ أَوْ تَمْحِيلَهُ يَظْهَرُ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ  
 أَشْهُرٍ كَمَا ذَكَرْتُمْ وَأَنَّ كَاتِبَكُمْ الَّذِي تَوَجَّهَ مِنْ هُنَا أَلْقَى  
 لَكُمْ جَمِيعَ مَا أَلْقَيْنَاهُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْكَمَالِ وَالْتِمَامِ  
 وَأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ. وَقَدْ تَقَرَّرَ مِنْ وَفَائِكُمْ لَدَيْنَا  
 مَا الشُّكْرُ بِسَبَبِهِ مَوْصُولٌ وَعَرَفْتُمْ أَنَّ صَلَاحَكُمْ مَعَ  
 صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُوَافَقَتِنَا. وَنَحْنُ نَعْرِفُكُمْ  
 أَنَّكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ الصُّلَحَ مَعَهُ فَنَحْنُ نَشْتَرِطُ لَكُمْ عَلَيْهِ مَا  
 يُوفِي بِهِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ مِمَّا يَكُونُ مَصْلَحَةً لِلْجَمِيعِ  
 وَسَبَبًا لِكُلِّ مَا يَثْبُتُ بِهِ التَّاصِيلُ فِي الْخَيْرِ وَالتَّفْرِيعِ.  
 وَقَدْ وَصَلَ إِلَى هُنَا مَنْ وَصَلَ مِنْ بَنِي مَرِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ  
 الَّذِينَ بِبِلَادِكُمْ وَأَثَنُوا عَلَيْكُمْ ثَنَاءً جَمِيلًا وَذَكَرُوا مَا

أُولَئِئِمُوهُم مِّنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي أُوجِبَتْ لَكُمْ مِنَّا رَعِيًّا  
 حَفِيلاً. وَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا أَوْلَادَهُمْ وَعِيَالَهُمْ بِغَرْنَاطَةٍ،  
 وَاقْتَضَى نَظَرُنَا أَن يَعُودُوا إِلَيْهَا لِيَجُوزُوا إِلَى هُنَا مِنْ  
 الْأَنْدَلُسِ بِأَوْلَادِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ  
 الَّتِي تَشْمَلُ جَمِيعَهُمْ. وَالْغَرَضُ أَن يَكُونَ انْفِصَالُهُمْ  
 عَنْكُمْ خَيْرَ الْانْفِصَالِ وَأَنْ تُولُوهُمْ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ  
 وَالتَّيْسِيرِ لِمَطَالِبِهِمْ مَا نَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِ [عَلَى] <sup>(١)</sup> كُلِّ حَالٍ  
 وَأَنْ تَبْعَثُوا إِلَى هُنَا مِنْ خَوَاصِّكُمْ مَنْ يَحْضُرُ لِكَلَامِنَا  
 مَعَ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ <sup>(٢)</sup> مَا بَيْنَنَا مِنْ  
 الْمُوَافَقَةِ وَالْمُجَامَلَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُسْنِي  
 إِرْشَادَكُمْ.

وَكُتِبَ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ  
 ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

(١) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(٢) - يَعلَنُ عَن رَغْبَتِهِ فِي إِشْهَارِ هَذَا التَّحَالِفِ الَّذِي لَمْ يَعدْ سَرِيًّا.

## - التحليل -

تعرّفنا هذه الرسالة التي وجهها السلطان يوسف بن يعقوب إلى جاقمو الثاني على موافقة هذا الأخير على عروضه في المراسلة السابقة ( وثيقة 78 ) الخاصة بمشاركته في غزو سبتة وموقفه من عقد الصلح المقترح إبرامه مع ملك قشتالة وصاحب غرناطة بعد اطلاع السلطان عليه والموافقة على كل بنوده.

ونفهم من خلال هذه الرسالة<sup>(1)</sup> أنّ جاقمو الثاني قام بعد بالتفاوض مع ملك قشتالة وصاحب غرناطة ابن الأحمر وأعلمهما أنّ العقد لا يمكن أن يبرم إلا بعد موافقة السلطان يوسف ولا يطبق إلا بعد انقضاء أربعة أشهر على إبرامه.

---

(1) - هذه الرسالة التي أرسلت من تلمسان الجديدة وتلمسان محاصرة أرسلت قبل الرسالة السالفة وثيقة 78 باثني عشر يوما حول موضوع محاصرة سبتة واحتلالها مع الاستعانة بأجفان ملك أراغون بحراً وصاحب سبتة حليف بني الأحمر. وكان السلطان يوسف طلب من ملك أراغون مساعدته بحرا على احتلال سبتة المطالبة للمرينيين بمائة ألف دينار.

فأثنى السلطان على ملك أراغون لهذا الموقف وشكره  
على حسن صنيعه مع المرينيين المتواجدين ببلده ورعايته  
لهم وعنايته بهم وأبلغه أنّ هؤلاء المرينيين يريدون التوجّه  
إلى غرناطة للرّجوع بعيالهم المتواجدين هنالك وبعد ذلك يتمّ  
الصّح بما يضمن مصلحة الجميع ، ويُعلمه أنّه إذا أراد  
الصّح مع صاحب غرناطة فإنّه يشترط بنفسه عليه الشّروط  
التي لا بدّ أن يُوفي بها على أحسن وجه بطريقة تخدم  
مصلحة الجميع. فنراه يذهب بعيدا في تدخّله لدى ملك  
أراغون ويقترح أن يتولّى بنفسه الاشتراط على صاحب  
غرناطة ووضع بنود الصّح. ويبدو بذلك جريئاً وواثقاً من  
نفسه إلى أبعد حدّ.

### - التعلّيق

إنّ هذه الوثيقة تؤكّد لنا التّحالف الذي تمّ بين الملكين  
والبلديين: ملك أراغون وسلطان فاس المريني. ونرى أنّ هذا  
التّحالف قام ضدّ بلدين جارين: بلد مسيحيّ قشتالة وبلد

مسلم مملكة غرناطة بالأندلس. ويتمّ هذا التحالف وتنتظم  
خيوطه وتنبني أسسه بمرأى ومسمع من الجميع فالسلطان  
يطلب من جاقمو الثاني ملك أراغون إرسال بعض ثقاته  
وسفرائه ليحضروا جلسات التفاوض مع ممثلي غرناطة  
والأندلسيين "حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ مَا بَيْنَهُمْ" من الموافقة  
والمجاملة<sup>(١)</sup>.

نستنتج أنّ التحالف غير قائم على المصلحة الدنيّة  
والعقائديّة بل على المصلحة الذاتيّة والشخصيّة فلم يقم  
جاقمو الثاني بنصرة جاره المسيحيّ ملك قشتالة ولم يندفع  
السلطان المرينيّ إلى نصره جاره المسلم ضدّ النصارى.  
فالعلاقات القائمة مصلحة ولا تعتبر دائماً الجانب  
العقائديّ وإن كان الأمر وقتياً وغير دائم.

---

(١) - أنظر الوثيقة رقم 78 وما يتبعها من تحليل: يقترح السلطان على  
ملك أراغون إرسال أسطول بحريّ يساعده على احتلال سبتة مقابل  
50 000 ديناراً ذهباً في صورة وقوع الحرب و30 000 ديناراً إذا تمّ  
الاحتلال سلماً.

## - التقديم

هذه رسالة بتاريخ 20 ذي القعدة من سنة 707هـ الموافق لـ 13 ماي من سنة 1308م من عبد الله عامر ابن الأمير أبي عامر بن أبي يعقوب بفاس إلى جاقمو الثاني ملك أراغون تتعلق بالسفير برنات ساقى والمفاوضات مع ملك أراغون عن طريق رئيس الحرس المسيحي بالبلاط المريني: برنات سجين.

## - نصّ الرسالة

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَامِرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ الْأَمِيرِ أَبِي  
عَامِرِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَعْقُوبَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَهُ  
بِمَعُونَتِهِ وَيُسْرِهِ إِلَى سُلْطَانِ أَرْغُونِ وَبِلَنْسِيَّةِ الْأَجَلِ  
الْأَنْجَدِ الْمُبْجَلِ الْأَرَشَدِ الْأَرْفَعِ الْأَوْفَى الْأَضْحَمِ جَاقُمُ  
أَتَاكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ تَوْفِيقُهُ وَإِرْشَادُهُ وَجَعَلَ عَلَى تَقْوَاهُ  
الَّتِي تَعْبُدُ بِهَا الْخَلْقُ اعْتِمَادَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ الْمُحْتَبَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الْهُدَى وَالِدُعَاءِ  
لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ الْعَالِيَةِ الْعَامِرِيَّةِ السُّمِّيَّةِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ  
وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ تَقَدُّمًا فِي الْعَمَلِ الْمَحْظِيِّ  
بِالسَّعَادَةِ وَتَرَمُّمًا فِي مَنْ فَازَ بِالْحُسْنَى فِي سَابِقِ



الْإِرَادَةِ مِنْ حَضَرْتَنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى  
 عَنِ الْخَيْرِ الْأَتَمِّ وَالْيُسْرِ الْأَعَمِّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 كَثِيرًا. وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ إِرْشَادَكُمْ وَأَجْزَلَ مِنْ خَيْرِهِ  
 مُسْتَفَادَكُمْ فَإِنَّهُ وَصَلَنَا كِتَابَكُمْ فَتَلَقَيْنَاهُ بِالْقَبُولِ وَقَابَلْنَاهُ  
 بِالْإِعْتِنَاءِ الْمَوْصُولِ. طَلَبْتُمْ أَنْ نُوجِّهَ لَكُمْ خَدِيمَنَا الْقَائِدَ  
 الْأَجَدَّ بَرْنَاطَ سَجِين<sup>(١)</sup> إِلَى هُنَالِكُمْ وَرَغِبْتُمْ مِنَّا أَشَدَّ  
 الرِّغْبَةِ فِي ذَلِكَ لِيَقَعَ اجْتِمَاعُكُمْ بِهِ فِيَمَا يَفْتَحُ بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ أَبْوَابَ الْمُرَاسَلَةِ وَيُوكِّدَ أَسْبَابَ الْمُواصَلَةِ. وَقَدْ  
 بَعَثْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَمَا طَلَبْتُمْ وَوَجَّهْنَاهُ رَسُولًا نَحْوَكُمْ حَسْبَمَا  
 أَرَدْتُمْ وَأَصْحَبْنَاهُ ثِقَتَنَا الشَّيْخَ الْأَجَلَ الْأَنْصَحَ أَبَا  
 الْعَبَّاسِ ابْنَ الْكَمَادِ التُّرْجُمَانَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى  
 فَصَدَّقُوهُمَا فِيَمَا تَوَجَّهَّا بِهِ عَنَّا مِمَّا أَلْقَيْنَاهُ لَهُمَا فِي  
 شَأْنِ الْعِمَارَةِ فِي الْبَحْرِ وَخُذُوا مَعَهُمَا فِي ذَلِكَ أَخْذًا  
 يَقْضِي لِرَغَائِبِكُمْ كُلِّهَا لَدَيْنَا بِالْيُسْرِ. وَكَمِّلُوا مَا تَوَجَّهَّا

(١) - برناط سجين: قائد الحرس المسيحي ببلاط السلطان وجيشه. يكلف  
 بمهمة الوساطة والتفاوض.

لَكُمْ بِهِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَاعْمَلُوا فِي ذَلِكُمْ عَمَلًا يَعُودُ عَلَى  
 بِلَادِكُمْ مِنْ بِلَادِنَا بِأَجْمَلِ الْعَوَايِدِ وَاعْلَمُوا أَنَّ لَدَيْنَا مِنْ  
 رَعِيكُمْ وَكَرِيمٍ.... كَمَا سَلَكْنَا فِي الْح... الْمُرَاشِدِ  
 [وَأَشَرْتُمْ] <sup>(1)</sup> فِي كِتَابِكُمْ إِلَى أَنْ [يَبْقَى] هُنَا عَلَى  
 جَمَاعَةِ الْقَائِدِ بَرْنَاطُ سَجِينِ رَسُولِكُمْ بِيرِ شَمَا [نَيْسُ] <sup>(2)</sup>  
 إِلَى أَنْ يَعُودَ بَرْنَاطُ سَجِينِ مِنْ قِبَلِكُمْ. وَقَدْ عَمَلْنَا  
 بِحَسَبِ إِشَارَتِكُمْ فِي إِقَامَةِ بِيرِ شَمَانَيْسُ عَلَى الْجَمَاعَةِ  
 تَتَمِيمًا لِمَطْلَبِكُمْ وَوُقُوفًا مَعَ أَرْبِكُمْ فَاعْلَمُوا وَاللَّهُ يَصِلُ  
 إِرْشَادِكُمْ وَيُؤَالِي إِسْعَادَكُمْ بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَا  
 مَعْبُودَ إِلَّا إِيَّاهُ.

وَكُتِبَ فِي الْمَوْفَى عَشْرِينَ لَشَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ الْمُبَارَكِ  
 عَامَ سَبْعَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ.  
 وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

(1) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(2) - تَمَّتِ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

## - التحليل

بعث السلطان عبد الله عامر<sup>(1)</sup> ابن الأمير أبي عامر ابن السلطان أبي يعقوب هذه الرسالة إلى جاقمو الثاني المتحالف مع المرينيين وخاصة مع السلطان الأسبق العظيم يوسف باني الدولة المرينية والباسط نفوذها على معظم بلاد المغرب وسبّعة وجبل طارق والمهدّد لأجواره المسيحيين والمسلمين.

فنرى في هذا الكتاب اعتمادا على التحالف القديم السلطان يستجيب لطلب جاقمو ملك أراغون ويوجّه له قائد حرسه المسيحي برنات سجين مثلما اقترح كسفير ورسول بمعيّة ترجمانه أبي العباس ابن الكماد ليجتمع به الملك ويعطيه ولا شكّ تعليماته وتوصياته.

---

(1) - عند وفاة السلطان يوسف باني مدينة المنصورة حول تلمسان خلفه السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف وثار عليه الأمير يوسف بن محمّد بن أبي عبّاد بن عبد الحق وآل الحكم لمّا هلك أبو ثابت عامر إلى السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف.

أما المهمة الرسمية والظاهرة حسب الرسالة فتتمثل في النظر في كيفية العمارة في البحر وكراء المراكب فملك أراغون في حاجة للمال ولكراء مراكبه.

ويقوم السلطان المريني في الآخر بإعلام ملك أراغون بأنه نزل عند رغبته وعين القائد بير شمانيس على رأس الحرس المسيحي العامل بقصر السلطان وذلك عوضاً عن القائد برنات سجين الذي تحول في مهمة لبرشلونة باقتراح من جاقمو الثاني.

ونرى ملك أراغون يتصرف حسبما ورد في هذه الرسالة وكأنه السلطان وهذا الأخير يبدو ضعيفاً لا يملك إلا الإذعان والاستجابة !!

### - التعليق

نلاحظ موقف هذا السلطان الضعيف لأنه مهدد من بقية الأمراء المرينيين المنافسين له والساعين للاستيلاء على الحكم... فهو لا يملك إلا الاستجابة والإذعان ليرضى ملك

أراغون. أمّا السّلطان يعقوب يوسف فرأيناه في الرّسائل  
السّابقة الأمر النّاهي والمقرّر للسياسة وللشّروط التي اعتمدها  
عقد الصّلح مع غرناطة وقشتالة.

فتلك حال السّياسة تتلوّن بلون أصحابها وتتشكّل  
حسب شكل أبطالها: مواقف ضعف مع الضّعفاء ومواقف  
قوّة مع الأقوياء مثل السّلطان يوسف كما مرّ.

إنّ هذه الوثيقة وسابقتها صورة لوضع الدّولة المرينيّة  
وسياستها ومواقفها مع أجوارها المسلمين والمسيحيين  
خاصّة بالمنطقة الإيبيريّة المغاربيّة.

## - التقديم

هذه الرسالة غير مؤرخة إذ أن تاريخها في الوثيقة الأصلية بالأرشيف غير واضح ولا يقرأ سواء بالعربية أو القطلانية. وهي موجهة من السلطان عبد الله سليمان ابن الأمير أبي عامر بن السلطان أبي يعقوب إلى جاقمو الثاني ملك أراغون. فتكون الرسالة أرسلت بين سنتي 708هـ و709هـ المدة التي تمت فيها مبايعته. ونعلم أنه في 24 ربيع الثاني من سنة 709هـ الموافق لواحد أكتوبر من سنة 1309م راسل جاقمو الثاني في موضوع الأجفان والحرب مع بني الأحمر وتصرّف رسوله "جُزِبَتْ" في البحر ومخالفته أوامر السلطان. ومن المرجح أن تكون وُجّهت الرسالة في ربيع الأوّل من سنة 709هـ قبل رسالة الوثيقة 82 في 24 ربيع الثاني سنة 709هـ.

## ـ نصّ الرسالة

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي  
يَعْقُوبَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ  
أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَوَالَى يُمْنَهُ وَظَفَرَهُ نَتَطَلَّقُ بِهِ.... ثِقَّةَ  
الْمَلِكِ الْأَجَلِّ الْأَضْحَمِ الْمُكَرَّمِ دُونَ جَاقُمٍ مَلِكِ أَرْغُونَ  
يَسْرَهُ اللَّهُ لِلرَّشَادِ وَهَدَاهُ لِلْخَيْرِ الْمُسْتَفَادِ عَلَى أَخَذِ  
الثَّلَاثِ الَّذِي كُنَّا أَمَرْنَا لَهُ بِهِ.... وَالنَّصَارَى  
الْقِطْلَانِيَّيْنَ.... مِنْ مَرَاسِي بِلَادِنَا مَهْرَهَا اللَّهُ سَبْتَةً  
وغيرها إطلافاً تاماً أصلاً عاماً وَلَا [سَبِيلَ] <sup>(1)</sup> مُتَّفَقٌ لَهُ  
فِي ذَلِكَ بَوَجهٍ وَلَا عَلَى حَال.... فِيهِ بِالتَّيْسِيرِ التَّامِّ  
وَالْاهْتِبَالِ. فَقَدْ [أَمَرْنَا لَهُ أَخْذَ ذَلِكَ] <sup>(2)</sup> إِبَاحَةً.... بَيْنَنَا  
وَبَيْنَهُ مِنَ الْعَهْدِ الْمَشْكُورِ وَالْوَدِّ الْمَأْثُورِ مُعْتَنَى بِهِ فِي  
ذَلِكَ [الاعْتِنَاءِ الْعِلْمِ] <sup>(3)</sup> مُعَامَلاً بِالْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ وَمُوفَى لَهُ

(1) - تَمَّتْ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(2) - تَمَّتْ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

(3) - تَمَّتْ الزِّيَادَةُ لِيَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ وَالْمَعْنَى.

فِيهِ مَا يَجِبُ مِنَ اللَّحْظِ وَالْاهْتِمَامِ عَمَّا .... عِنْدَنَا  
مِنْ .... الْخَطِيرِ مِنَ الْإِخْتِبَاءِ .... فَلْيَعْمَلْ<sup>(1)</sup> ....

وَكُتِبَ فِي الْعَاشِرِ لِشَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ ....  
وَسَبْعِ .... يَتَوَلَّى أَخْذَ الثُّلُثِ الْمَذْكُورِ مِنْ كُلِّ<sup>(2)</sup> .... مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى الْقَطْلَانِيِّينَ وَالْيَهُودِ وَسَوَاءَ  
كَانَ .... [مِنْ] [مِنْ] يُوْرَقَةُ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ بِلَادِهِ  
الْمَذْكُورَةِ ....<sup>(3)</sup>

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

---

(1) - فراغ في النصّ الأصلي.

(2) - فراغ في النصّ الأصلي.

(3) - فراغ في النصّ الأصلي.



## - التحليل

ففي هذه الرسالة يشير السلطان إلى موافقته على العمل بمقترح جاقمو الثاني المتمثل في تمكينه من ثلث الإتاوة المستخلصة من التجار القطلانيّين في كلّ مراسي السلطنة بما في ذلك سبتة. وهذا القرار يحقق لأراغون كسبًا كبيرًا لم يستطع تحقيقه في أيّ مناسبة ومع أيّ دولة مغربيّة. فللملك الثلث في كلّ ما يدفعه التجار القطلانيّون المسيحيّون والمسلمون واليهود على السواء سواء كانوا من أراغون أو ميورقة.

فالسلطان يحقق لنفسه الأمن بالمال وبالتنازل عن حقوقه والبعض من سيادته. ويبدو الأمر غريبًا !! ولنا أن نتساءل عن سبب هذا التنازل ؟

## - التعليق

تؤكد هذه الرسالة ضعف هذا السلطان أبي عبد الله سليمان ومحاولته اشتراء تحالف ملك أراغون بالتنازل عن

مداخيل ديوانته في مراسي بلاده. وهو ما سعى إليه دوما جاقمو الثاني في إفريقيّة مع الحفصيّين وبتلمسان مع بني عبد الواد. وأكثر ما استطاع أن يحصل عليه نصف العشر مع بعض السّلاطين. فالسلطان أبو بكر الحفصيّ مثلاً سلطان تونس وبجاية رفض أن يكون هذا الإيتاء سنوياً بل مبلغاً يدفعه مرّة واحدة من مداخيل التّجار القطلانيّين أصيلي بلاد أراغون، ورفض التّوقيع مقابل كراء الأجنان على عقد الصّح مع جاقمو الثاني لهذا السّبب.

وأخيراً توضّح لنا الرّسالة الهدف الأساسيّ لخطّة أراغون وجاقمو الثاني المتمثّل في الحصول دوما على المزيد من المال والتّغلغل في شؤون الدّولة عن طريق الدّيوانة والإيتاء القمريقيّ واعتماد التّجارة عوض الحرب لتحقيق أهدافه وأغراضه.

## - التقديم

هذا كتاب من سليمان بن أبي عامر بن أبي يعقوب  
بفاس إلى جاقمو الثاني بتاريخ 24 ربيع الثاني لسنة 709هـ  
المواقف لفتاح أكتوبر من سنة 1309م المتعلق بمهمة رسول  
أراغون "جُزْبَرْت" والأجفان القادمة معه.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ الْأَمِيرِ أَبِي  
عَامِرِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَعْقُوبَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَوَالِي يُمْنَهُ  
وَوَظْفَرُهُ. إِلَى الْمَلِكِ الْأَجَلِّ الْأَعَزِّ الْمُكَرَّمِ الْأَصْدَقِ الْأَوْفَى  
الْأَضْحَمِ الْأَسْنَى الْأَكْمَلَ دُونَ جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونَ وَمَا  
إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ النَّصْرَانِيَّةِ أَلْهَمَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّشَادِ وَوَفَّقَهُ  
إِلَى السَّدَادِ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَغْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصِلَةِ  
الدُّعَاءِ لِهَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.  
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ نَصْرَكُمْ اللَّهُ بِالتَّوْفِيقِ وَقَادَكُمْ إِلَى  
أَنْهَجِ الطَّرِيقِ مِنْ حَضْرَتِنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلَا  
جَدِيدَ بَيْمَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ هَذِهِ الْإِيَالَةِ السَّعِيدَةِ  
الْمُبَارَكَةِ خَلَدَ اللَّهُ ذِكْرَهَا وَوَالِي يُمْنَهَا وَنَصْرَهَا إِلَّا

الْخَيْرُ الْأَتَمُّ وَالْيُسْرُ الْأَعْمُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا  
وَالِي هَذَا هَذَا اللَّهُ لِكُلِّ عَمَلٍ مَشْكُورٍ وَيَسَّرَكُمْ لِكُلِّ  
فِعْلٍ مَأْثُورٍ.

فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ بِمَا نُوجِبُهُ لِحَاثِبِكُمْ مِنَ الْإِثَارِ وَنُكْمِلُهُ  
لِمَحَلِّكُمْ مِنَ الْأَعْتِنَاءِ الدَّائِمِ الْإِسْتِمْرَارِ. وَلَكُمْ لَدَيْنَا مِنْ  
تَيْسِيرِ الْمَقَاصِدِ وَتَسْهِيلِ الْأَوْطَارِ عَمَلًا بِمَا يُقَوِّمُ أَسْبَابَ  
الْإِعْتِقَادِ وَيُؤَكِّدُ وَجُوهَ الْحُبِّ وَالْوَدَادِ.

وَبِحَسَبِ ذَلِكَ نَعْرِفُكُمْ بِأَنَّهُ كَانَ وَصَلَ إِلَيْنَا رِسْلُكُمْ  
جُزْبَرْتُ. وَقَرَّرَ مِنْ وِدِّكُمْ وَمَرْضَى قَصْدِكُمْ مَا أَوْجَبَ  
لَكُمْ زِيَادَةَ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ وَضَاعَفْنَا لَكُمْ بِحَسَبِهِ جَمِيلَ  
الْإِحْتِفَاءِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ التَّتَمُّ بِأَوْطَارِنَا وَلَدَيْكُمْ  
مِنَ الْجَرِيِّ عَلَى وَفْقِ مُرَادِنَا وَاخْتِيَارِنَا. وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا  
يَلِيقُ بِمَنْصِبِكُمْ وَلَا يَنْكَرُ عَلَى مَشْكُورٍ حُبُّكُمْ. وَقَدْ كُنَّا  
رَبَطْنَا مَعَ رِسْلِكُمُ الْمَذْكُورِ كُلِّ مَا يَجِبُ رِبْطُهُ وَيَحِقُّ  
الْقِرَامُهُ وَشَرْطُهُ. وَقَرَّرْنَا أَنَّ تِلْكَ الْأَجْفَانَ الَّتِي وَرَدَ بِهَا  
مِنْ جِهَتِكُمْ لَمْ يَصِلْ بِهَا إِلَّا بِرِسْمِ خِدْمَتِنَا وَلَمْ يَتَصَرَّفْ

إِلَّا فِيمَا يَعُودُ بِوَقْفٍ غَرَضِنَا وَأُمْنِيَّتِنَا كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَيْنَا  
 وَشَرَحَهُ لَدَيْنَا. فَأَسْعَفْنَا مَطْلَبُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا  
 أَرَادَ مِنْ تَرْكِ الثُّلُثِ لِتُجَارِكُمْ فِي جَمِيعِ مَا لَنَا مِنَ  
 الْبِلَادِ وَفِي إِعْطَاءِ الزَّرْعِ الَّذِي طَلَبَ مِنَّا وَأَمَّلَ أَنْ يَصْدُرَ  
 بِهِ عَنَّا عَلَى جِهَةِ الْإِهْتِبَالِ بِكُمْ وَالْإِكْرَامِ وَصَرَفِ اللَّحْظِ  
 لَكُمْ وَالْإِهْتِمَامِ. فَإِذَا هُوَ اشْتَغَلَ بِمَا يَعْنِيهِ وَمَا لَهُ الْفَائِدَةُ  
 فِيهِ مِنْ حَصْرِ بِلَادِ ابْنِ الْأَحْمَرِ وَشَنِّْ الْغَارَةِ عَلَيْهَا بِكُلِّ  
 الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ. وَارْتَكَبَ النَّقِيضَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَصَارَ  
 يُخَالِفُ مَا كُنَّا نَأْمُرُهُ بِهِ مِنْ الْأَعْمَالِ مِنْ كَوْنِهِ نَزَلَ  
 عَلَى الْجَزِيرَةِ وَهَلَكَ مَا لَهَا عِنْدَنَا مِنَ الْحُرْمَةِ الْخَطِيرَةِ.  
 وَكُنَّا أَمْرَنَاهُ أَنْ يُقْلَعَ عَنْهَا وَلَا يَتَعَرَّضَ لِانْتِجَاعِ شَيْءٍ  
 مِمَّا هُوَ مِنْهَا فَلَمْ يَمْتَثِلْ لَنَا فِي ذَلِكَ أَمْرًا وَلَا كَمُلَ لَنَا  
 فِي احْتِرَامِهَا قَصْدًا وَلَا وَطْرًا. وَتَعَلَّمُونَ أَنَّ الْجَزِيرَةَ  
 الْمَذْكُورَةَ مِمَّنْ تُوفِّيَ فِيهَا جَدُّنَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَهَا إِلَى  
 الْآنَ قَبْرُهُ وَلَهَا عَلَى مَنْ سِوَى ذَلِكَ شُفُوفٌ لَا يَجْهَلُ  
 قَدْرَهُ وَلَا يَخْفَى عَنْكُمْ مَا فِي هَذَا مِمَّا لَمْ يَسْلُكْ فِيهِ

طَرِيقَ الْمُجَامَلَةِ وَلَا حُسْنَ الْمَحَاوَلَةِ. وَقَدْ كَانَ تَسَوَّرَ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ ابْنِ الْأَحْمَرِ شَيْنَانُ كَمَا عَلِمْتُمْ وَكَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ  
أَنْ يَتَسَوَّرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ. وَإِذَا هُوَ قَدْ بَعَثَ  
الصَّالِحِينَ وَالْمُرَابِطِينَ وَأَهْلَ الدِّينِ لِطَلْبِ الْمَصَالِحَةِ  
وَعَقْدِ أَسْبَابِ الْمَوَاصِلَةِ وَالْمَصَافِحَةِ. فَلَمْ يُمْكِنَّا إِلَّا أَنْ  
أَسْعَفْنَا فِي ذَلِكَ مَطْلَبَهُ وَكَمَّلْنَا فِيهِ قَصْدَهُ وَمَأْرَبَهُ تَوْفِيًّا  
لِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ الْإِسْلَامِ وَيَلْزَمُ مِنْ تَتْمِيمِ وَاجِبِهِ عَلَى  
الدَّوَامِ. كَمَا أَنَّهُ لَوْ وَقَعَ بَيْنَكُمْ أَنْتُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ  
شَيْنَانُ وَدَخَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُزِيلُ ذَلِكَ لَا أَرَلْتُمُوهُ  
فِي أَقْرَبِ أَوَانٍ وَأَجَبْتُمْ لَهُ كُلَّ الْإِجَابَةِ وَأَنْبَتُمْ لَهُ أَمَّ  
إِنَابَةٍ. وَلَمْ نَصُدِّكُمْ عَنْهُ وَلَمْ نَمْنَعْكُمْ مِنْهُ.

ثُمَّ إِنَّ رُسُلَكُمْ جُزِبَتْ الْمَذْكُورَ بَعَثَ لَنَا رُسُلًا مِنْ  
قَبْلِهِ بِرَسْمِ طَلَبِ تَرْكِ الثُّلُثِ الْمَذْكُورِ وَالزَّرْعِ الَّذِي كُنَّا  
أَمَرْنَا لَهُ بِهِ. فَعَجَبْنَا مِنْ طَلَبِهِ لِهَذَا الشَّانِ وَهُوَ قَدْ ضَرَّرَ  
مِنْهُ مَا بَيْنَنَا لَكُمْ كُلِّ الْبَيَانِ. فَأَعْرَضْنَا فِي ذَلِكَ عَنْ  
مَطْلَبِهِ وَلَمْ نُسْعِفْهُ فِي مَأْرَبِهِ. فَإِنَّهُ لَوْ كَمَلَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ

الْإِشْرَاطُ وَنَزَلَ الْحَدَّ فِيمَا رَبَطْنَا مَعَهُ كُلَّ الْإِرْتِبَاطِ لَمَّا  
 صَدَرَ لَهُ مِنَّا تَعَسُّفٌ وَلَا بَدَأَ (Sic) لَهُ مِنْهُ فِي كُلِّ وَجْهِ  
 فِيهِ تَوَقُّفٌ وَإِنْ كَانَ وَهَذَا قَدْ اتَّفَقَ شَأْنُهُ وَصَحَّ دَلِيلُهُ  
 وَبُرْهَانُهُ فَوَدْنَا لَكُمْ لَمْ يَتَغَيَّرَ وَمُورِدُ حُبِّنَا فِيكُمْ لَمْ يَتَكَدَّرَ  
 بَلْ الْإِعْتِقَادُ بَاقِيًّا عَلَى مَا تَعْهَدُونَ وَالْإِعْتِنَاءُ بِكُمْ كَمَا  
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَتَجَارِكُمْ لَمْ يَزَالُوا فِي بِلَادِنَا مُكْرَمِينَ  
 مَبْرُورِينَ عَلَى عَوَايِدِهِمْ مُعَامِلِينَ بِالرَّعْيِ التَّامِّ فِي  
 جَمِيعِ مَصَادِرِهِمْ وَمَوَارِدِهِمْ لَا تُخْرَقُ لَهُمْ عَادَةٌ وَلَا تُزَادُ  
 عَلَيْهِمْ زِيَادَةٌ اِعْتِنَاءً بِجَانِبِكُمْ وَتَتِمِيمًا لِأَغْرَاضِكُمْ  
 وَمَذَاهِبِكُمْ فَثَقُّوا بِذَلِكَ وَاتَّفِقُوا عَلَى مَا عِنْدَنَا مِنْ حِفْظِ  
 عَهْدِكُمْ هُنَالِكُمْ. وَاللَّهُ يُلْهِمُكُمْ لِمَا يُسْنِي مُرَادَكُمْ  
 وَيُمِضِي سَدَادَكُمْ وَرَشَادَكُمْ.

وَكُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ  
 تِسْعَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.



## - التحليل

يَقوم السُّلطان سليمان بن أبي عامر في القسم الأوّل من الرّسالة بتأكيد روابط الصّداقة والمودّة التي تربطه بملك أراغون وحرصه على إرضائه وتلبية رغباته ثمّ يخبره بوصول رسوله "جُزبرت" وبحسن استقباله له وباتّفاقه معه على ما يحقّ من الخدمة والشّروط وعلى الطّريقة التي ينبغي أن يتمّ بها استعمال الأجفان واستغلالها في البحر لصالح السُّلطان المرينيّ. ويبيّن له أنّه مكّنه من أجل ذلك ممّا أراد: الزّرع والحبوب لتزويد الأجفان وترك الثّلث ممّا يعود للدّولة المرينيّة من التّجّار القطلانيّين إكراما لملك أراغون واحتفاءً به.

غير أنّ هذا الرّسول لم يحترم الاتّفاق ولم يقدّم بواجبه وبما هو مطلوب منه بل على العكس اشتغل بما يعنيه ويعود عليه بالنّفع الشّخصيّ مخالفا أوامر السُّلطان والأعمال الموكولة له. فبادر بمحاصرة بلاد ابن الأحمر وشنّ

الغارات عليها وارتكب نقيض المطلوب. فنزل بالجزيرة<sup>(1)</sup> وهتك ما لها من حرمة عند السلطان. ونهاه السلطان عن ذلك فلم يمتثل. ويذكره بأهميّة الجزيرة وحرمتها الكبيرة عنده لأنّه كان دفن بها جدّه السلطان يعقوب وعُقدت بينه وبين صاحبها ابن الأحمر مصالحة ومصافحة بعد الاختلاف الذي كان بينهما، وكان ذلك بتدخل من رجال الدّين والمرابطين والصّالحين رعاية لحقّ الإسلام وواجبه على الدّوام.

ويتعرّض السلطان في القسم الأخير من الرّسالة إلى موقف "جزبرت" الغريب فلقد بعث رُسلًا للسلطان يعلمونه بقرار "جزبرت" بترك الثّلاث المطلوب من مداخيل الدّيوانة والزّرع المقدّم للأجفان وكأنّه يبحث عن حجّة يُعلّل بها غاراته وتبرّر سلوكه لدى ملكه جاقمو الثاني. لكنّ السلطان بيّن أنّه تفتّن للأمر ورفض طلبه وواصل رعايته للتّجار

---

(1) - Algeziras الجزيرة على ساحل الأندلس تابعة لغرناطة وقتئذ.

القطلايين وحسن معاملتهم تقديرا للملك وحفظا للعهد.

### - التعليق

تؤكد هذه الرسالة ما كنا استنتجناه في وثائق سابقة من أنّ هذه العهود لا تحترم غالبا وأنّ المعاهدات المبرمة لا تدوم إلى أمدّها المعقود ويتمّ تجاوزها إن اقتضت مصلحة أحد الأطراف ذلك: السلطان والملك والقراصنة أنفسهم. ونلاحظ أنّه كثيرا ما يقوم القطّاع بالقرصنة بموافقة السلطان أو الملك إن كان الطّرف الآخر خاصّة في حالة ضعف. فسُلوک هذا الرّسول والقرصان في آن واحد "جزبرت" يشرح الوضع ويشير إلى حقيقة السّياسة التي ينتهجها جاقمو الثاني في علاقاته مع المرينيّين ولا سيّما السّلاطين الضّعفاء من بينهم.

## - التقديم

هذا كتاب من علي<sup>(1)</sup> بن أبي سعيد بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى جاقمو الثاني بتاريخ 5 ربيع الأول من سنة 723 هـ الموافق لـ 14 مارس من سنة 1323 م يردّ فيه على طلب ملك أراغون من السلطان بمده بمائة فارس نصرانيّ لغزو سردانية.

---

(1) - كان السلطان عليّ ثار علي والده السلطان أبي سعيد وكان أصغر من أخيه أبي الحسن وكان أبوه يحبّه كثيراً وكلفه بمهمات عديدة وعيّنه على تلمسان وقائد الجند بها فحاول أن يستبدّ عليّ بكلّ الأمر ويعجلّ بافتكاك كلّ النفوذ بتحريض من الوشاة والمتأمرين ، حين علم بمرض والده وبإمكانية تعيينه لأبي الحسن ولياً لعهدّه وهو فعلا ما تمّ بعد المواجهة وانتصار جيوش أبي سعيد.

## نص الرسالة

مِنَ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ  
ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ ابْنَ عَبْدِ  
الْحَقِّ أَيَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَعَضَّدَهُ  
وَيُسِّرُهُ إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الشَّهِيرِ الْأَضْحَمِ  
الْأَفْخَمِ الصَّادِقِ الْوَفِيِّ دُونَ جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونِ  
وَبَرْجُلُونَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِغَةَ وَقُمُطِ بَرْجُلُونَةَ. وَفَقَّهُ اللَّهُ  
وَأَرْشَدَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ  
وَأَصْحَابِهِ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصَلَةِ  
الدُّعَاءِ لِحَضْرَةِ مَوْلَانَا أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِدَوَامِ النَّصْرِ  
الْأَعَزِّ وَاطْرَادِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ مَوْلَانَا نَصْرَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلَا نَاشِيَ بِفَضْلِ اللَّهِ

وَحَدَهُ وَبَرَكَهَ مَوْلَانَا وَالِىَ اللّٰهُ تَعَالٰى نَصْرَهُ وَعَضَدَهُ اِلَّا  
 خَيْرَاتٌ تَنْسَكِبُ كَالْمَطَرِ وَتَنْسَحِبُ عَلَى الْبَشَرِ وَتَقْضِي  
 بِعَادَةِ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَسَعَادَةِ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُبَيِّرُ كُلَّ اَمَلٍ وَوَطْرَ.

وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَكُمْ اللّٰهُ تَعَالٰى فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ بِوُصُولِ  
 كِتَابِكُمْ. وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنْ طَلَبِكُمْ مِنَّا  
 التَّوَسُّطَ عِنْدَ مَوْلَانَا أَيْدَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى فِي أَنْ يُعِينَكُمْ  
 بِمُيَاةِ فَارِسٍ مِنَ النَّصَارَى بِرِسْمِ الْحَرَكَةِ مَعَكُمْ إِلَى  
 جَزِيرَةِ سَرْدَانِيَّةَ.

وَنَحْنُ نَعْرِفُكُمْ أَنَّهُ لَوْ طَلَبْتُمْ الْإِعَانَةَ بِجَمِيعِ مَنْ بَنِي  
 مَرِينَ أَعَزَّهُمُ اللّٰهُ تَعَالٰى وَوَفَّرَهُمْ لَأَمْدَدْنَاكُمْ بِذَلِكَ  
 وَيَسِّرْنَا فِيهِ جُمْلَةَ آمَالِكُمْ كَمَا تَقَدَّمَتْ بِذَلِكَ عَوَايِدُ  
 أَسْلَافِنَا الْكِرَامِ مَعَ الْمُلُوكِ أَمْثَالِكُمْ مِثْلَمَا فَعَلَ مَعَ مَلِكِ  
 قَشْتَالَةَ دُونِ شَانْجَهَ حِينَ احْتَاجَ إِلَى إِعَانَتِنَا إِيَّاهُ. وَأَمَّا  
 النَّصَارَى الَّذِينَ طَلَبْتُمْ فَلَا يُمَكِّنُ تَوْجِيهِهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ تَجْرُ  
 بِهِ عَادَةٌ وَلَمْ يُمَكِّنْ فِي ذَلِكَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمُعْتَادِ وَلَا

الْعُدُولُ عَنْهُ لَا فِي الإِصْدَارِ وَلَا فِي الإِيرَادِ فَاعْلَمُوا  
ذَلِكَ وَتَيَقَّنُوهُ هُنَالِكُمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُرْشِدُكُمْ.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ  
الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ الَّذِي مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ  
عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ وَيُؤْمِنُهُ بِمِنْهُ لَا رَبَّ  
سِوَاهُ وَلَا مَعْبُودَ إِلَّا إِيَّاهُ.  
صَحَّ ذَلِكَ.

## - التحليل

يطلب جاقمو الثاني من الأمير عليّ وهو بفاس أن يتوسّط لدى السّلطان والده أبي سعيد كي يمده بمائة فارس من الفرسان النّصارى الذين هم عنده ليستعين بهم على غزو جزيرة سردانية. فيجيبه الأمير عليّ بأنّه يمكن مساعدته بما يريد من الفرسان المرينيّين مثلما كان فعل السّلطان مع ملك قشتالة دون شانجو حين طلب الإعانة. أمّا النّصارى فيتعذّر توجيههم لأنّه لم تجرِ به العادة ولا يمكن الاستغناء عنهم.

## - التعليق

نرى من خلال هذه الرّسالة كيف كان ملوك النّصارى أنفسهم يلتجئون إلى المسلمين وخاصّة للمرينيّين لطلب مساعدتهم. ولقد شاركت فعلا فيالق مرينيّة في بعض حروب ملوك النّصارى مثلما حدث في مرّتين متتاليتين مع ملك قشتالة دون شانجه حين ثار عليه ابنه. أمّا ملك أراغون فهو يتوخّى المخادعة ويطلب فرسانا



نصارى وخاصة أن هؤلاء كانوا أسرى واحتجزوا في مختلف عمليات القطع والإغارة. وهي طريقة لبقة لاسترجاع هؤلاء الأسرى، ولا سيّما أنه كان توجه مرّات عديدة بطلب تحريرهم، كما فعل ذلك مع سلاطين تلمسان<sup>(1)</sup> فرفضوا الطلب لحاجاتهم لهم لإعمار البلاد وتنميتها.

فملك أراغون حاول الحصول على مائة فارس نصرانيّ بمناسبة غزوه لجزيرة سرّدانية إمّا لتحريرهم ثمّ رفض إعادتهم أو لتكوينهم حتّى يمثّلوا نواة له في الجيش المرينيّ أو الحرس السلّطانيّ. ولو كان غرضه مساعدة جيشه بسرّدانية لطلب فيلقا مرينيّاً مثل دون شانجه الذي كان حقاً مهدّداً وساهم المرينيّون في إنقاذه وإعادته إلى عرشه.

فسياسة جاقمو الثاني مع المرينيّين وسائر الدّول المغاربيّة وإن كانت مرنة وحذرة ومسالمة في غالب الأيّان لم تكن صريحة وجليّة المرامي والأهداف بل كانت ملتوية وسمومها مدسوسة.

---

(1) - أنظر علاقة إسبانيا القطلانيّة بتلمسان لعمر سعيّدان ودراسة شارل إيماويل دوفرك: انظر المراجع.

(8°) - الوثيقة رقم 83 مكرّر بالأرشيف

- التقديم

هذا كتاب من عثمان<sup>(1)</sup> بن أبي يوسف يعقوب بن عبد  
الحق بفاس إلى جاقمو الثاني تتعلّق بنفس الموضوع الوارد في  
الرّسالة السّابقة رقم 83 بتاريخ 5 ربيع الأوّل من سنة 723هـ  
الموافق لـ 14 مارس من سنة 1323م.

---

(1) - هو السلطان أبو سعيد.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَعْقُوبَ بْنِ  
عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِهِ وَأَمَدَهُ بِمَعُونَتِهِ  
وَعَضْدِهِ وَيُسْرِهِ إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الشَّهِيرِ  
الْأَضْحَمِ الْأَفْخَمِ الصَّادِقِ الْوَفِيِّ دُونَ جَاقُمِهِ سُلْطَانَ  
أَرْغُونَ وَبَرْجُلُونَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَقُرْصِنَةَ وَقُمُطِ بَرْجُلُونَةَ  
وَفَقَهُ اللَّهَ وَأَرْشَدَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ  
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ  
الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ  
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصَلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ  
الْعَلِيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ السَّنِيَّةِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا  
اللَّهُ تَعَالَى وَلَا نَاشَى بِفَضْلِ اللَّهِ وَحَدِّهِ وَبَرَكَاتِهِ هَذَا الْمَقَامِ  
الْكَرِيمِ وَالِىَّ اللَّهُ نَصْرَهُ وَعَضْدَهُ إِلَّا الْخَيْرُ الْأَتَمُّ وَالْيُسْرُ  
الْأَعْمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا أَثِيرًا وَإِلَى هَذَا

وَفَقَّكُمْ اللَّهُ وَأَرْشَدَكُمْ. فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ بِأَنَّهُ وَصَلْنَا كِتَابَكُمْ  
وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا تَضَمَّنَهُ مِمَّا طَلَبْتُمُوهُ مِنْ أَنْ  
نُعِينَكُمْ مِنْ هُنَا بِمَآيَةِ فَارِسٍ مِنَ النَّصَارَى بِرَسْمِ الْحَرَكَةِ  
مَعَكُمْ إِلَى جَزِيرَةِ سَرْدَانِيَّةَ. وَنَحْنُ نَعْرِفُكُمْ بِأَنَّهُ لَوْ  
طَلَبْتُمْ الْإِعَانَةَ بِجَمِيعِ مَنْ بَنِي مَرِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ وَوَقَّرَهُمْ  
لَأَمَدَدْنَاكُمْ بِذَلِكَ وَيَسِّرْنَا فِيهِ جُمْلَةَ آمَالِكُمْ. كَمَا تَقَدَّمْتُ  
بِذَلِكَ عَوَايِدُنَا مَعَ الْمُلُوكِ أَمْثَالِكُمْ وَمِثْلَمَا فَعَلْنَا مَعَ مَلِكِ  
قَشْتَالَةَ دُونَ شَانِجُهُ حِينَ احْتَجَّ إِلَى إِعَانَتِنَا إِيَّاهُ. وَأَمَّا  
النَّصَارَى الْمَذْكُورُونَ الَّذِينَ طَلَبْتُمْ فَلَا يُمَكِّنُ تَوْجِيهِهُمْ  
لِأَنَّهُ لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةً وَلَمْ يُمَكِّنْ فِي ذَلِكَ الْخُرُوجَ عَنِ  
الْمُعْتَادِ وَلَا الْعُدُولُ عَنْهُ فِي حَالِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ.  
فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَتَيَقَّنُوهُ هُنَالِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ  
سُبْحَانَهُ يُوفِّقُكُمْ وَيُرْشِدُكُمْ.

وَكُتِبَ فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ  
مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ  
وَبَرَكَتَهُ وَيُمْنَهُ. لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ.  
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمَوْرُخِ بِهِ.

## - التحليل -

تحمل هذه الرسالة نفس التاريخ الذي تحمله الرسالة رقم 83. وهي تتناول نفس الموضوع وتعيد نفس اللفظ تقريباً مع اختلاف بسيط في الكلمات والعبارات المؤيدة لنفس المعنى وهي تخلص المائة فارس النصراني الذين طلبهم جاقمو الثاني لإعانتته في حربه بسردانية. فرفض السلطان المريني الطلب معبراً عن استعداده لمدّه بما يريد من الجنود المرينيين مثلما كان فعل مع دون جانشه ملك قشتالة. أمّا في خصوص الفرسان النصارى فقد ذكر بأنّ هذا الأمر مرفوض وغير معمول به ولم يتعود أسلافه القيام به.

## - التعليق -

يحمل هذا الكتاب التاريخ نفسه الذي تحمله رسالة الأمير علي بن أبي سعيد 5 ربيع الأول سنة 723هـ الموافق لـ 14 مارس 1323م. لكنّ مرسلها هذه المرة السلطان نفسه رافضاً الطلب ومعللاً الرّفص بأنّ البادرة لم يقم بها الأسلاف ويستحيل تجاوز التقاليد المعمول بها بدون تعرية الأسباب الحقيقية الخفية المتصلة بأغراض جاقمو الثاني السريّة.

- التقديم

هذا كتاب من عثمان<sup>(١)</sup> بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بفاس إلى جاقمو الثاني بتاريخ 21 من جمادى الثانية لسنة 723هـ الموافق لـ 27 جوان لسنة 1323م يُعلم فيها ملك أراغون بوصول رسوله واستماعه إليه.

---

(١) - هو السلطان أبو سعيد.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ وَعَضُدِهِ وَيُسْرِهِ إِلَى السُّلْطَانِ  
الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الْأَصْعَدِ <sup>(1)</sup> الْأَرْقَى الْمُكْرَمِ الْأَظْهَرِ الْأَشْهَرِ  
الْأَضْحَمِ الْأَحْفَلِ دُونَ جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونَ وَبَرْجُلُونَةَ  
وَسَرْدَانِيَةَ. سَنَى اللَّهُ إِسْعَادَهُ وَشَكَرَ خُلُوصَهُ لِهَذَا  
الْجَانِبِ الْكَرِيمِ وَوَدَادَهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ  
وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصِلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ الْعَلِيَّةِ  
الْعُثْمَانِيَّةِ السَّنِيَّةِ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا

---

(1) - الأسعد لا الأصعد.

اللَّهُ تَعَالَى وَلَا نَاشِئَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَحُدِّهِ وَبَرَكَهَ هَذَا الْأَمْرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ وَالَى اللَّهُ نَصْرَهُ وَعِزُّهُ إِلَّا الْخَيْرُ الْأَتَمُّ  
وَالْيُسْرُ الْأَعْمُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا أَثِيرًا  
وَالَى هَذَا سَنَى اللَّهُ إِسْعَادَكُمْ. فَإِنَّهُ وَصَلْنَا كِتَابَكُمْ  
صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ أَرْمُونَ قَرْبِيرَةَ فَوْقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا  
لَدَيْهِ وَأَلْقَى إِلَيْنَا الرِّسْلُ الْمَذْكُورُ مَا أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِ وَأَوْدَعْتُمْ  
لَدَيْهِ وَحَمَلْنَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى التَّصَدِيقِ كَمَا ذَكَرْتُمْ  
عَنْهُ. وَقَدْ تَلَقَّى مِنَّا مَا أَلْقَيْنَاهُ إِلَيْهِ مِمَّا يُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ  
بِالْمُشَافَهَةِ وَهُوَ الْمُصَدِّقُ لَدَيْكُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ  
جُمَادَى الثَّانِيَةِ الَّذِي مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ  
وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ خَيْرَهُ بِمَنْهِ وَفَضْلِهِ وَجُودِهِ. لَا  
رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.



## - التحليل -

تتّصف هذه الرّسالة بالغموض المقصود. فلم يشأ السّلطان أن يفصح عن مهمّة رسول جاقمو الثّاني أرمون قريبرة الذي سلّمه كتاب جاقمو وأبلغه رسالته الشّفويّة فوعاها وتفهمها وردّ عليها مشافهة وتلقّى منه الرّسول ما يُلقيه إلى الملك شفاهياً وهو محلّ ثقته والمصدّق لديه.

## - التعليق -

فنتساءل عن حقيقة هذه المهمّة وخفاياها وعلاقتها بالوضع السّياسيّ بالمنطقة: مصالحة المرينيّين مع قشتالة وبني الأحمر من جهة والوضع الدّاخلي المرينيّ المتوتر: فتن السّلاطين الأمراء المتكالبين على الحكم بفاس فظهور بني عبد الواد من جديد بتلمسان وتهديدهم للمرينيّين خاصّة السّلطان أبي تاشفين بن يغمراسن صاحب تلمسان وصديق ملك أراغون والقطلانيّين عموماً لدور رئيس حرسه المسيحيّ القطلانيّ وأمه النّصرانيّة ذات الأصل القطلانيّ. فلقد أعانه رئيس حرسه على قتل والده والتّخلّص منه<sup>(1)</sup>.

(1) - ابن خلدون: التّاريخ. الجزء السّادس. دوفرك: دراسته. فصل تلمسان.

## 10°) - الوثيقة رقم 84 مكرّر بالأرشفة

### - التقديم

هذا كتاب بتاريخ 19 ذي القعدة من سنة 703هـ الموافق لـ 14 جوان سنة 1304م. لم يُذكر فيها اسم الباعث ولا اسم المرسل إليه الكتاب. ويبدو أنّ سُلطانَ فاس المرينيّ أبو يوسف يعقوب وجّهه إلى ملك أراغون جاقمو الثاني لإعلامه بجواز الجيوش المرينية والمساعدات المطلوبة.

## نص الرسالة

وَصَلَ اللَّهُ مُجَامَلَتَكُمْ. كُنَّا أَرَدْنَا أَنْ يَجُوزَ بَنُو مَرِينِ  
الَّذِينَ عِنْدَكُمْ مِنْ قَرْتَجَانَةَ إِلَى هُنَا ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ ذَلِكَ  
[Roto] لِأَجْلِ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ مَشَقَّةِ الْبَحْرِ وَلِأَجْلِ  
الْأَجْفَانِ فَإِنَّا قَلْنَا رَبَّمَا تَكُونُ غَيْرَ مُتَيَسِّرَةٍ عِنْدَهُ  
فَأَمَرْنَاهُمْ بِالْجَوَازِ مِنَ الْجَزِيرَةِ لِأَجْلِ عِيَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ،  
فَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ. وَمَتَى كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ قَشْتَالَةَ  
نِفَاقٌ فَيَجُوزُ إِلَيْكُمْ مِنْ هُنَا مِنْ جِيُوشِنَا أَلْفُ فَارِسٍ أَوْ  
أَلْفَانِ مَتَى احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهِمْ فَذَلِكَ عِنْدَنَا مُتَيَسِّرٌ لِأَجْلِ مَا  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْمَجَامَلَةِ وَالْمَحَاسَنَةِ فَتَقُوا بِذَلِكَ  
وَأَبْسَطُوا بِهِ أَمْلَكُمْ فَإِنَّا نُوفِي بِهِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
يَجْعَلُ الْخَيْرَ شَامِلًا بِمَنْهِ وَإِسْعَادِهِ عَلَيْكُمْ.

كُتِبَ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ لَشَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ عَامِ  
ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ. أَدَامَ اللَّهُ مُوَافَقَتَكُمْ عَلَى مَا يُرْضِي.  
ذَكَرَ بَنُو مَرِينِ الْوَاصِلِينَ إِلَى هُنَا أَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِنْهُمْ

أَرْبَعَ رَهَائِنَ فِي الْحِصْنِ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَقَدْ انْفَصَلُوا الْآنَ  
كَمَا عَرَّفْنَاكُمْ. فَاقْبِضُوا حِصْنَكُمْ وَرُدُّوا لَهُمُ الرِّهَائِينَ.  
وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ مَشْكُورُونَ. وَالشَّانُ عَلَيْكُمْ بِهِ جَمِيلٌ  
بِحَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

## - التحليل

هذه الرسالة بالوثيقة 84 مكرّر أرسلت بتاريخ 14 جوان سنة 1304م بعد 80 يوما من رسالة 24 مارس سنة 1304م بالوثيقة رقم 77 التي وجهها السلطان يوسف بن عبد الحق وهو محاصر لتلمسان، من تلمسان الجديدة، حول التعاون بين البلدين والتّحالف المنشود الذي تحقّق، كما وضّحته لنا الوثيقة رقم 79 أي الرسالة إلى جاقمو الثاني بتاريخ 23 جوان سنة 1304م الموافق لـ 18 ذي القعدة سنة 703هـ.

فلقد وجّه هذه الرسالة السلطان يوسف بن عبد الحقّ فعلا وهو يعلمه بعُدوله عن جواز المرينيّين من مرسى<sup>(1)</sup> قرطاجنة بالسّاحل الإسبانيّ إلى المغرب وقراره بالجواز من الجزيرة بالسّاحل الأندلسيّ القريبة من المغرب حتّى لا يحتاجوا إلى أجفان ويتحمّل عيالهم كبير مشقّة ويعلمه أنّه على استعداد لمساعدته بألف أو ألفي فارس مرينيّ في حربة

---

(1) - هذا المرسى أصبح تابعا لأراغون.

مع قشتالة إن كان في حاجة إلى ذلك ، للتّحالف القائم  
بينهما ولما بينهما من صداقة ومجاملة.

وفي الآخر يطلب السلطان من جاقمو الثاني تسريح  
الرّهائن الأربعة الذين كان أخذهم من الحصن الذي هم  
فيه . إذا أنفصل المرينيّون عن الحصن . وعليه برد الرّهائن  
وتسلّم حصنه .

### - التعليق

تشير هذه الرسالة إلى نوع من التّعاون الذي كان قائما  
بين أراغون والمرينيّين . فملك أراغون يعمل على مساعدتهم  
في جوازهم وتنقلهم ببلاد الأندلس سواء لمحاربة القشتاليّين  
أو لمساعدة مُسلمي الأندلس وبني الأحمر أو لغزو ما تبقى  
من رواسب ملوك الطوائف ومواجهة ملوك غرناطة بني  
الأحمر المهديّين من حين لآخر للمرينيّين والمتعاونين أحيانا  
مع القشتاليّين .

وتبدو الدّولة المرينيّة مع السلطان يوسف في أوج قوتها

وهي في بدايتها، فهي لا تتردد في توجيه فيالق هامة من المرينيين: ألفي فارس وأكثر للأندلس وقشتالة.

ونستنتج أخيرا أنّ الثقة بين القوتين: المرينية والأراغونية معدومة رغم التحالف بين البلدين، فنرى كيف عمد ملك أراغون إلى أخذ رهائن أربعة حين قام بتمكين الجنود المرينيين من أحد الحصون ببلاده: فالتحالف هشّ والتخطيط الاستراتيجي للانقضاء والتراجع قائم دوماً.

- التقديم

هذه رسالة من السلطان عثمان<sup>(1)</sup> ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى دون ألفونس ابن جاقمو الثاني ملك أراغون بتاريخ 21 جمادى الثانية من سنة 723هـ الموافق لـ 27 جوان من سنة 1323م.

---

(1) - هو السلطان أبو سعيد والد السلطان أبي الحسن.



## - نصر الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِنَصْرِهِ وَأَمَدَهُ بِمَعُونَتِهِ وَعَظَدَهُ وَيَسِّرَهُ إِلَى الْأَفَانَتِ<sup>(1)</sup>  
الْأَجَلَ الْأَسْنَى الْمَكْرَمَ الْأَمْجَدِ الْأَصْعَدِ الْفُونِشَ بْنَ  
السُّلْطَانَ الْأَجَلَ الْأَسْنَى الْأَمْجَدِ الْمَكْرَمَ الْأَظْهَرَ الْأَشْهَرَ  
الْأَفْخَمَ الْأَضْحَمَ دُونَ جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونَ وَبَرْجُلُونَةَ  
وَسَرْدَانِيَّةَ. سَنَى اللَّهُ إِسْعَادَهُ وَشَكَرَ خُلُوصَهُ لِهَذَا  
الْجَانِبِ الْكَرِيمِ وَوِدَادَهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ (Sic) الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ  
الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَعْلَامَ  
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصِلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ  
الْعَلِيَّةِ السَّنِيَّةِ السَّعِيدَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِدَوَامِ النَّصْرِ الْأَعَزِّ  
وَاطْرَادِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى.

(1) - أفانت : L'Infant.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا  
 اللَّهُ تَعَالَى وَلَا نَاشِئَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَحَدِّهِ وَبَرَكَهَ هَذَا الْأَمْرِ  
 الْعَلِيِّ وَالِىَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَعِزُّهُ إِلَّا الْخَيْرُ الْهَامِي  
 الرُّبَابَ وَالْيُسْرُ الْمُقْتَبِلُ الشَّبَابُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ  
 كَثِيرًا أَثِيرًا. وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ إِسْعَادَكُمْ. فَإِنَّا  
 نَعْرِفُكُمْ بِوُصُولِ كِتَابِكُمْ صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ الرَّمُونِ قَرْبِيرَةَ.  
 وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا تَضَمَّنَهُ. وَأَلْقَى إِلَيْنَا رَسُولُكُمْ  
 الْمَذْكُورُ مَا أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِ وَأَحْلَيْتُمْ فِي تَبْلِيغِهِ عَلَيْهِ.  
 وَحَمَلْنَاهُ فِي ذَلِكَ عَلَى التَّصَدِيقِ كَمَا ذَكَرْتُمْ عَنْهُ. وَقَدْ  
 تَلَقَى مِنَّا مَا يُلْقِيهِ إِلَيْكُمْ بِالْمُشَافَهَةِ. وَهُوَ الْمُصَدِّقُ فِيمَا  
 يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ وَيَنْصُهُ عَلَيْكُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ.

وَكُتِبَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى  
 الثَّانِيَةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ عَرَفَ اللَّهُ  
 تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ. لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ  
 إِلَّا خَيْرُهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.

## - التحليل

إن هذه الرسالة تعيد الوثيقة رقم 84 الموجهة إلى دون ألفونس ابن ملك أراغون جاقمو الثاني. وتتناول نفس الموضوع بالألفاظ عينها مع اختلاف بسيط وتغيير لبعض الكلمات بأخرى لها نفس المدلول.

يقوم السلطان عثمان بإعلام ألفونس بوصول كتابه صحبة الرسول "الرّمون قربة" وتحمله الردّ شفاهياً لصدقه وأمانته.

ومن التعابير التي تمّ تغييرها قوله :

- "إِلَّا الْخَيْرُ الْهَامِي الرُّبَابَ وَالْيُسْرُ الْمُقْتَبَلُ الشَّبَابُ" عوض "إِلَّا الْخَيْرُ الْأَتَمُّ وَالْيُسْرُ الْأَعْمُ".

- "وَعَلِمْنَا مَا لَدَيْهِ" عوض "وَعَلِمْنَا مَا تَصَمَّنَهُ".

- "مَا أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِ وَأَوْدَعْتُمْ لَدَيْهِ" عوضها بقوله "مَا أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِ وَأَحْلَلْتُمْ فِي تَبْلِيغِهِ عَلَيْهِ".

- "وَهُوَ الْمُصَدِّقُ لَدَيْكُمْ" عوض "وَهُوَ الْمُصَدِّقُ فِيْمَا يَنْقُلُهُ  
إِلَيْكُمْ وَيَنْصُهُ عَلَيْكُمْ".

### - التعليق

نتساءل هل أن هذه الرسالة كتبت حقاً بصيغتين  
وبطريقتين وأرسلت مرتين فاحتفظ لنا الأرشيف بالرسالتين  
أم أن التغيير تم عند الترجمة واحتفظ لنا التاج بترجمتين  
مختلفتين للنص الأصلي الذي كان باللغة القطلانيّة. ذلك  
أن النصّ القطلانيّ واحد.

- التّقديم

هذا كتاب من عثمان<sup>(1)</sup> بن أبي يوسف يعقوب بفاس  
إلى جاقمو الثاني بتاريخ 22 رجب الأوّل من سنة 724هـ  
الموافق لـ 16 يونيو من سنة 1324م. يردّ فيه على رسالة  
ملك أراغون الخاصّة بطلب سراح الفارس ديمُنْجُوَال  
النّصرانيّ.

---

<sup>(1)</sup> - عثمان بن أبي يوسف يعقوب هو السّلطان الملقّب بأبي سعيد والد  
السّلطان أبي الحسن صهر السّلطان الحفصيّ أبي بكر والفتح  
لتلمسان وإفريقيّة. ولقد كان ثار على أبي سعيد ابنه أبو عليّ وليّ  
عهده فخلعه وعيّن ابنه أبا الحسن وليّاً للعهد. وتوفي السّلطان أبو  
سعيد سنة 731هـ.

## - نصّ الرسالة -

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
أَبِي يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِهِ  
وَأَمَدَهُ بِمَعُونَتِهِ وَيُسِّرْهُ إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الْأَحَبِّ  
الْأَوْصَلَ الشَّهِيرِ الْأَضْحَمِ الْأَفْخَمِ الصَّادِقِ الْوَفِيِّ دُونَ  
جَاقُمِهِ مَلِكِ أَرْغُونَ وَبَرْشَلُونَةَ وَسَرْدَانِيَّةَ وَقَرْصِغَةَ وَقُمُطَ  
بَرْجَلُونَةَ. سَنَى اللَّهُ إِسْعَادَهُ وَالْهَمَّهُ تَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَنَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ  
أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ دِينِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصَلَةِ الدُّعَاءِ  
لِهَذِهِ الْإِيَالَةِ الْعَلِيَّةِ السَّنِيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ السَّعِيدَةِ بِدَوَامِ  
النَّصْرِ وَالْعِزِّ وَاطِّرَادِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا بِمَدِينَةِ فَاسَ حَرَسَهَا  
اللَّهُ تَعَالَى وَلَا نَاشِئُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَحَدَّهُ وَبَرَكَاتِهِ هَذَا الْأَمْرُ  
الْعَلِيِّ وَالِىَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ وَعَضْدَهُ إِلَّا الْخَيْرَاتُ الْهَامِيَّةُ  
السَّحَائِبِ وَالصَّنَائِعُ الْمُؤَذِّنَةُ بِبُلُوغِ الْأَمَلِ وَتَيْسِيرِ

الرَّغَائِبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا.

وَالِىَ هَذَا أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ وَسَنَى إِسْعَادَكُمْ فَإِنَّهُ وَصَلَنَا  
كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا لَدَيْهِ مِنْ حُبِّكُمْ فِي  
هَذَا الْجَانِبِ الْكَرِيمِ وَأَنْطَوَيْنَاكُمْ لَهُ عَلَى الْخُلُوصِ  
الصَّحِيحِ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ. وَقَدْ شَكَرْنَا ذَلِكَ وَعَلِمْنَا  
أَنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِأَمْثَالِكُمْ. وَتَعَرَّفْنَا مَا رَغَبْتُمْ فِيهِ مِنْ سَرَاحِ  
الْفَارِسِ دِمَنْجُوَالَ النُّصْرَانِي إِلَى بِلَادِ النُّصَارَى. وَقَدْ  
أَسْعَفْنَا رَغَبَتَكُمْ فِي شَأْنِهِ. وَعَمِلْنَا عَلَى اخْتِيَارِكُمْ فِي  
صَرْفِهِ عِنْدَ وُرُودِ كِتَابِكُمْ عَلَيْنَا وَإِتْيَانِهِ اعْتِنَاءً بِتَيْسِيرِ  
أَمَلِكُمْ وَمَطْلَبِكُمْ وَتَسْهِيلِ غَرَضِكُمْ وَأَرْبِكُمْ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تَعَالَى. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُلْهِمُكُمُ التَّوْفِيقَ وَيُرْشِدُكُمْ إِلَى  
أَنْهَجِ طَرِيقِهِ.

وَكُتِبَ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ  
الْمُبَارَكِ الَّذِي مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ عَرَفَ  
اللَّهُ خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنْهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ الْجَمِّ وَطُولِهِ. لَا  
رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.

## - التحليل

كان جاقمو الثاني ملك أراغون وحليف السلطان أبو يوسف يعقوب أرسل كتابا للسلطان أبي سعيد يطلب فيه منه سراح الفارس دمنجوال النصراني فبادر أبو سعيد بردّ الجواب وأعلمه في هذا الكتاب باستجابته لطلبه وتحقيقه لرغبته وتسريحه لهذا الفارس احتراما للملك وتقديرا وتأكيذا لإخلاصه للعهد وحرصه على مواصلة التعاون والتّصافي مثلما كان الأمر في القديم ويتواصل في الحديث.

## - التعليق

تؤكد هذه الرّسالة جوّ الوفاق والوئام القائم بين البلدين منذ عهد السلطان يوسف بن عبد الحقّ والد أبي سعيد والذي كان ملك أراغون والقشتاليّون أنفسهم يسعون إلى إرضائه وبناء حلف معه.

فكانت العلاقة القطلانيّة المرينيّة ودّيّة تحالفية تخدم



مصالح الجهتين ضدّ بني عبد الواد بتلمسان وبني الأحمر  
أحياناً المتحالفين مع القشتاليين ضدّ المرينيين وأراغون.  
ونلاحظ أنّ القطع مهدّد دوماً لعقود الصّح المبرمة  
وللتّحالفات القائمة ويعمد إليه القراصنة حتّى في فترات  
الصّح المبرمة.

## - التقديم

هذا كتاب من علي<sup>(1)</sup> بن سعيد بن أبي يوسف من المغرب الأقصى بتاريخ 29 رجب من سنة 751هـ الموافق لـ 14 سبتمبر من سنة 1350م إلى بترو الرابع ملك أراغون يخصّ القرقورة التي تمّ خطفها وأُسر من بها من المسلمين ونقض عهد الصّح المبرم بين البلدين.

---

(1) - علي بن سعيد : هو السلطان أبو الحسن علي بن السلطان عثمان أبي سعيد ولقد توفي سنة 752هـ وخلفه أبو عنان فارس وكان ثار عليه وهو بتونس وحاربه في مراكش فخرج منها أبو الحسن والتحق بهنتاتة ومرض هنالك وعفا على ابنه أبي عنان. وتوفي بهنتاتة فحمله ابنه أبو عنان ودفنه بفاس. وكان أبو عنان استقل بها منذ سنة 749هـ.

## - نصّ الرسالة -

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ<sup>(1)</sup> أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي  
يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ سُلْطَانَ فَاسَ وَمَرَاكُشَ  
وَسِجْلَمَاسَةَ وَذِرْعَةَ وَسَلَا وَمِكْنَاسَةَ وَتَازِي وَطَنْجَةَ  
وَسَبْتَةَ وَجَبَلِ الْفَتْحِ وَرَنْدَةَ وَمِرْبَالَهَ وَبِلَادِ الرِّيفِ  
وَالْجَزَائِرِ وَالْمَدْيَنَةِ وَمِلْيَانَةَ وَبَرْشَكَ بِمَا قَلَدَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ إِلَى السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ الْخَطِيرِ  
الْأَضْحَمِ الْأَوْفَى بَيْتَرَا سُلْطَانَ أَرغُونَ وَبَلَنْسِيَّةَ وَمِيُورْقَةَ  
وَسَرْدَانِيَّةَ وَقَرْشَغَةَ وَقُمْتِ بَرْشَلُونَةَ وَرُشِيُونَ وَسَرْدَانِيَّةَ  
ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ الْخَطِيرِ الْأَضْحَمِ الْأَوْفَى  
أَلْفَنْشٍ<sup>(2)</sup> وَفَقَّهُهُ اللَّهُ وَأَرْشَدَهُ. سَلَامٌ يُرَاجِعُ سَلَامَكَ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا

---

(1) - عبد الله عليّ بن أبي سعيد هو السلطان أبو الحسن المتوفى سنة 752 هـ الموافق لسنة 1352 م.

(2) - ألفونسو ملك أراغون الذي خلف أباه جاقمو الثاني.

وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى وَالرَّضَى  
عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةَ دِينِ الرُّشْدِ  
وَالهُدَى وَصِلَةِ الدُّعَاءِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ الْمَنْصُورِ  
الْعَلَوِيِّ بِدَوَامِ النَّصْرِ الْأَعَزِّ وَاتِّصَالِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكَ مِنْ مَنَزِلِنَا الْأَسْعَدِ بِظَاهِرِ مِلْيَانَةٍ  
أَمَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَلَا جَدِيدَ إِلَّا الصَّنْعُ الْجَمِيلُ وَالْمَنْ  
الْجَزِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ. وَوَفَاؤُكَ عِنْدَنَا مُقَابِلُ  
بِمِثْلِهِ وَعَهْدُكَ فِي الْمَصَالِحَةِ لَدَيْنَا مُتَّصِلٌ إِلَى أَمَدِهِ  
وَمَحَلِّهِ.

وَالِى هَذَا وَصَلَ كِتَابُكَ. عَرَفْتَ بِوُصُولِ كِتَابِنَا إِلَيْكَ  
فِي شَأْنِ الْقَرْقُورَةِ الَّتِي أَخَذَ فِيهَا خُدَامُنَا وَمَنْ كَانَ  
مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. نَطْلُبُكَ فِيهِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْكَ فِي  
دِينِكَ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَى انْقِضَاءِ  
أَمَدِهِ وَأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَدَوِيَّ وَمَسْعُودَ  
الْتُرْجُمَانَ أَوْصَلَاهُ إِلَيْكَ وَأَلْقَيَا لَكَ مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمَا مِنْ

الْكَلَامَ. وَذَكَرْتَ أَنَّكَ لَمَّا وَجَدْتَ كِتَابَنَا بِغَيْرِ طَابِعٍ  
 شَمِعَ وَقَعَ عِنْدَكَ فِيهِ ارْتِيَابٌ فَتَوَقَّفْتَ فِي أَمْرِ الْقَرْقُورَةِ  
 وَبَعَثْتَ إِلَى وَالِيكَ بِمِيُورَقَةٍ بِأَنْ يُوقِفَ جَمِيعَ مَا كَانَ  
 فِيهَا مِنَ الْوَسْقِ حَتَّى تَتَحَقَّقَ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي وَصَلَكَ  
 هُوَ كِتَابُنَا. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَلَامَةَ الَّتِي نُوقِعُ فِي آخِرِ كِتَابِنَا  
 بِخَطِّ يَدِنَا هِيَ عَلَامَةُ الصَّحَّةِ عَلَى مَا كَتَبْنَاهُ فَوْقَهَا  
 وَأَمَّا طَابِعُ الشَّمْعِ فَلَا عِبْرَةَ بِهِ وَإِنَّمَا عُمِلَ حِيَاظَةً عَلَى  
 الْكِتَابِ أَنْ لَا يُفَكَّ فَيُقْرَأَ وَقَدْ ذَكَرْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
 وَمَسْعُودُ الْمَذْكُورَانِ أَنَّكَ لَمَّا فَكَّكَتِ الْكِتَابَ وَرَأَيْتَ  
 الْعَلَامَةَ فِي آخِرِهِ عَقَلْتَهَا وَقُلْتَ هَذِهِ عَلَامَةُ السُّلْطَانِ.  
 وَالشَّهَادَةُ عَلَى الْخُطُوطِ تَقْطَعُ بِهَا الْحَقُوقُ. ثُمَّ وَقَفَ  
 مَعَكَ الْوَهْمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَكَرْتَ فِي كِتَابِكَ أَنَّكَ إِذَا أَثْبَتَ  
 عِنْدَكَ أَنَّ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُنَا تَعْمَلُ الْوَاجِبَ فِي هَذَا  
 وَفِي غَيْرِهِ لِأَجْلِ الصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَمَا يَعْمَلُ  
 السُّلَاطِينُ لِلْسُّلَاطِينِ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ مِنَ الْوَفَاءِ هُوَ  
 الَّذِي يَلِيْقُ بِسُلْطَانٍ كَبِيرٍ مِثْلَكَ. وَيَصِلُكَ كِتَابُنَا هَذَا إِنْ

شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْكِيدًا لِلأَوَّلِ، فَأَوْفِهِ بِالْعَهْدِ وَمُرْ بَرْدٌ  
جَمِيعٍ مَا أُخِذَ فِيهَا وَمَنْ أُخِذَ. كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ  
وَفَائِكَ. وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ الْمُلُكُ رَحِمٌ فَيَجِبُ عَلَى  
الْمُلُوكِ الْمُرَاعَاةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَقَدْ كَانَ سُلْطَانُ قَشْتَالَةَ  
حِينَ كَايْنَةِ الْقَيَّرَوَانِ<sup>(١)</sup> انْتَعَرَ إِلَيْنَا وَلَوْ وَجَدَ السَّبِيلَ  
لِمُصَارَحَتِنَا لَفَعَلَ، وَبَعَثَ أَجْفَانَهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ لِتَعْرِفَ  
أَخْبَارَنَا. وَوَصَلْنَا مِنْهَا إِثْنَانِ إِلَى الْجَزَائِرِ فِيهَا إِرْسَالُهُ  
بِكِتَابِهِ إِلَيْنَا يُقَرِّرُ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَفَاءِ الْعَهْدِ. فَأَجَبْنَاهُ  
نَشْكُرُ وَفَاءَهُ. وَحِينَ وَصَلَهُ جَوَابُنَا أَرَادَ أَنْ يَقْلَعَ عَنْ  
جَبَلِ الْفَتْحِ وَفَاءً بِالْعَهْدِ فَعَاجَلَتْهُ الْوَفَاةُ. وَلَمَّا وَصَلَتْهَا  
الْقَرْقُورَةُ الَّتِي حَمَلَتْ أَثْقَلْنَا مِنْ تُونِسَ وَحَوَايَجْنَا أَمَرَ  
بِتَفْرِيعِ جَمِيعِ مَا فِيهَا بِالْجَزِيرَةِ وَجَعَلَهُ تَحْتَ أَقْفَالٍ

(١) - كايينة القيروان: يشير إلى محنته بالقيروان حين كان بإفريقية وثورة  
العرب وأنصار السلطان أبي الفضل بن السلطان أبي بكر الحفصي  
عليه واحتمائه بسوسة ثم رجوعه إلى المغرب ومنع الحفصيين ببجاية  
الماء عنه فغرق سفنه بالبحر ونجاته من كل ذلك فبعث سلطان  
قشتالة يواسيه ويعرب عن استعداده لنجدته.

وَأَمْنَاءَ بِالشَّهَادَةِ حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَيْنَا. وَقَبْلَ ذَلِكَ وَجَّهَ إِلَيْنَا  
وَلَدَنَا وَأَخَوَاتِهِ عَلَى أَتَمِّ التَّكْرِيمِ وَالْحِفْظِ. وَلَمْ نَطْلُبْهُ  
بِذَلِكَ. بَلْ نَزَعُ بِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُلُوكُ لِلْمُلُوكِ. وَهَكَذَا  
تُعَرَفُ أَحْوَالُ الْمُلُوكِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي بِلَادِنَا السَّاحِلِيَّةِ مِنْ تَجَارِ النَّصَارَى  
الْقَطْلَانِيِّينَ مَنْ يَفِي فِي الْمُكَافَاةِ بِأَضْعَافِ تِلْكَ الْقَرَقُورَةِ  
وَلَكِنَّا وَقَفْنَا عَنْهُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَفَاءً بَعَهْدِ الصُّلْحِ. وَأَعَدْنَا  
كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكَ إِبْلَاغًا فِي الْإِعْذَارِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الْحُجَّةُ  
وَلَا يَبْقَى لَوْمٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَلَدَنَا الْأَسْعَدَ النَّاصِرَ أَسْعَدَهُ اللَّهُ قَدْ أَخَذَ  
الْمِدْيَةَ عُنُودًا بِالسَّيْفِ. وَكَانَ بِهَا نَحْوُ أَلْفٍ مِنْ أَشَقِيَاءِ  
بَنِي عَبْدِ الْوَادِي فَأَخَذُوا بِخِيْلِهِمْ وَتَدْرِيْعِهِمْ وَمَا كَانَ  
عِنْدَهُمْ وَصَارُوا فِي حُكْمِ الثَّقَافِ. وَلَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ أَمْرِ  
الْمِدْيَةِ تَوَجَّهَ بِالْجَيْشِ الْمُبَارَكِ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ فَأَخَذَ  
مِلْيَانَةً بَعْدَ أَنْ هَرَبَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَشَقِيَاءِ

مَغْرَاوَةً حِينَ تَحَقَّقُوا خُرُوجَنَا فِي حَرَكَتِنَا الْمُبَارَكَةِ مِنْ  
الْجَزَائِرِ. وَكَانَ سَفَرُنَا مِنْهَا بِالْجَيْشِ الْمُبَارَكِ وَقَبَائِلِ  
سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَأَشْيَاخِ بَنِي مُلْكٍ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي  
وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ التَّارِيخِ بِأَتَمِّ الْعَزْمِ. وَلَحِقْنَا بِوَلَدِنَا  
وَجِيُوشِنَا الْمُبَارَكَةِ بِظَاهِرِ مَلْيَانَةِ بَعْدَ أَخْذِهِ لَهَا بِيَوْمَيْنِ.  
وَفِي غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَرْحَلُ وَنُوَالِي الرَّحِيلَ  
بِالْعَزْمِ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ كُلَّ مُعَانِدٍ مُنَافِقٍ حَيْثُ كَانَ،  
وَنَسْتَرْجِعَ بِلَادَنَا الشَّرْقِيَّةَ وَالْغَرْبِيَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.  
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكَ.

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ  
رَجَبِ الْفَرْدِ الْمُبَارَكِ مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ  
عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الْكُتُبَ الَّتِي نَكْتُبُهَا  
لِمَحَلٍّ وَلَدِنَا السُّلْطَانِ الْأَصْلِ أَبِي الْحَجَّاجِ صَاحِبِ  
غَرْنَاطَةِ هِيَ دُونَ طَابَعٍ لِأَنَّ عَلَامَتَنَا بِخَطِّنَا هِيَ الْأَصْلُ.



فَاعْلَمُوا ذَلِكُمْ. وَاعْمَلُوا فِي الْوَفَاءِ بَرْدَ جَمِيعٍ مَا أَخَذَ فِي  
الْقَرْقُورَةِ مَا يَلِيْقُ بِالْوَفَاءِ وَالصَّدَقِ. وَعِنْدَ كَتَبِ هَذَا  
الْكِتَابِ وَصَلَ الْخَبْرُ بِأَخْذِ شَرْسَالٍ وَثِقَافٍ جَمِيعٍ مَنْ  
كَانَ بِهَا مِنْ حِصَّةِ الشَّقِيِّ الْمَغْرَاوِيِّ وَدُخُولَهَا فِي  
طَاعَتِنَا. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنْتَ وَجَمِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ مَا فَعَلْنَا  
مَعَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ حِينَ أَخَذَ تِلْمَسَانَ مِنْ حَقْنِ دِمَائِهِمْ  
وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ فَهُمْ عُتَقَاءُ سَيُوفِنَا وَلَمْ يُرَاعُوا ذَلِكَ  
وَخَانُوا وَجَحَدُوا النِّعْمَةَ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِغَدَرِهِمْ وَبِأَخْذِهِمْ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُلِّ غَادِرٍ.  
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ بِحَوْلِ اللَّهِ  
وَقُوَّتِهِ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.

## - التحليل

• وجّه السلطان أبو الحسن المريني هذه الرسالة إلى الملك ألفونس الذي خلف أباه جاقمو الثاني يعلمه فيها بوصول كتابه الذي عرفه فيه باتصاله برسالته الخاصة بالقرقورة المرينية المختطفة بمن فيها من رعايا السلطان وأهله من المسلمين ويطالبه فيها باحترام الصلح المعقود والوفاء للعقود واحترام الأمد المحدود وعدم التّنكّر للعهود كما تقرّه ديانتته والدين الإسلاميّ الحنيف.

وذكر السلطان عليّ أبو الحسن الملك ألفونس بأنّه كان أرسل الكتاب مع مبعوثيه عبد الرّحمان بن محمّد العدوي ومسعود التّرجمان اللّذين شرحا له الأمر وألقيا عليه ما كان حملهما إيّاه في موضوع الكتاب الذي زعم ألفونس أنّه غير مختوم بخاتم السلطان ولا يحمل طابعه وعلامته. فأكد له السلطان أنّ الكتاب كتابه والخطّ المذيل به خطّه وأنّ لا قيمة لطابع الشّمع الذي يمنع الكتاب من الفكّ دون السّ بضمنونه. وبيّن له تناقضه إذ كان ذكر أنّه عقّل علامته

حين فكّ الكتاب وأدرك أنّه صادر عن السّلطان ولم يرجع حمولة القرقورة بل احتفظ بها حتّى يتحقّق من الأمر ويتيقّن من أنّ الكتاب هو كتاب السّلطان لذلك ذكر له أنّه لم يعمل الواجب وأنّه على استعداد لاحترام الصّح والقيام بما ينبغي أن يقوم به الملوك مع الملوك وفاء بالعهد واحتراما له.

وحثّه على المبادرة برّد جميع ما أخذ والإيفاء حقّا بالعهد والتّصرّف تصرّف ملك قشتالة معه في محنته بالقيروان حين بادر بإرسال أجفانه إلى مرسى الجزائر للتّعرّف على أخباره ومساعدته. وكان ملك قشتالة عبّر عن استعداده وفاء للعهد بإخلاء جبل الفتح الذي كان افتكّه من ابنه أبي عنان حين ثار على أبيه السّلطان أبي الحسن وأمر بإفراغ قرقورة السّلطان حين وصلت من تونس حاملة أدبашه وحوائجهم بمرسى الجزيرة وحافظ عليها غير أنّ المنية عاجلته فلم يسلمّ جبل طارق للسّلطان. وكان سلوكه سلوك ملوك بحقّ يتّصف بالنّبل والشّهامة وينمّ عن

الإخلاص للعهد والوفاء للصّح.

وبعد هذا العتاب بيّن أبو الحسن أنه أعاد الكرّة إبلاغا  
في الإعذار وحتى ترتفع الحجّة ولا يبقى نوم.

وفي الآخر قام بإعلامه باستيلاء ابنه النّاصر على المدينة  
ومليانة حربا من بني عبد الواد بمساعدة قبائل سليم ورياح  
وأشياخ بني ملك يوم الثّاني والعشرين من شهر رجب سنة  
751هـ الموافق لسنة 1350م.

وأنهى السّultan عليّ أبو الحسن بلهجة فيها توعّد  
ووعيد غير مباشر مع إعلامه بوصول خبر افتكاك شرسال  
والقضاء على من بها من بني عبد الواد وتأكيد عزمه على  
تأديب كلّ جاحد وغادر واسترجاع كلّ ما اغتصب "وفي غد  
إن شاء الله تعالى نرحل ونوالي الرّحيل بالعزم حتّى يأخذ  
الله كلّ معاند منافق حيث كان إن شاء الله تعالى".

وختم الرّسالة بعد التذكير بأنّ السّultan أبا الحجّاج  
محلّ ابنه وفي مقام له اتّصل بكتاب له غير مختوم ومطبوع

بالشّمع علامته خطّ السّلطان فتعرّف عليه وتحقّق من  
مصدره طالبا من الملك أن يكون وفيّا ويردّ ما في القرقورة.  
فللغادر يومه وماله ما فعله تعالى ببني عبد الواد الجاحدين  
الغادرين فكذلك يفعل الله بكلّ غادر و"سيعلم الذين ظلموا  
أيّ منقلب ينقلبون بحول الله وقوّته".

### - التعليق

الرّسالة هامّة تنمّ عن شخصيّة السّلطان عليّ أبي  
الحسن وسطوته وعظمته وبالتالي مكانته ودروه. لذلك كان  
في موقف قوّة حادّ اللّهجة قويّ العبارة متوخّيا التّأنيب  
والتّعنيف والتّهديد، وإن كان بأسلوب صريح غير مباشر.

والرّسالة تشير إلى حقيقة العلاقة القطلانيّة المرينيّة وإن  
ميّز التحالف غالبا علاقات البلدين فأبعاد السّياستين  
مختلفة الأهداف متباينة فملك أراغون متربّص ومنتظر دوما  
الفرصة السّانحة للانقضاض والارتداد فنراه اغتتم فرصة  
الحروب الأهليّة الدّاخلية التي قامت بين السّلطان وابنه

الملك أبي عنان وأذن بالقطع واحتجاز الجفن المريني ولم  
يعمد إلى التعبير عن تعاطفه مع السلطان في محنته ويبادر  
ببجده مثلهما فعل عدوه ومنافسه ملك قشتالة ألفونس.  
فكان الإسبانيون والقطانيون خصوصا يخطبون ودّ المرينيين  
ويحاولون التعاطف والتّحالف معهم في فترات قوتهم  
وسطوتهم.

فالرسالة صورة لحقيقة العلاقة الإسبانية المرينية  
بتموجاتها وتقلباتها.

## 14°) - الوثيقة رقم 100 بالأرشيف

### - التقديم

هذه رسالة من عبد الرحمان بن أبي الحسن [أبي عنان]<sup>(1)</sup> (729هـ - 759هـ) سلطان المغرب إلى بترو الرابع ملك أراغون تتعلق بالأسرى المسيحيين والتجار الراغبين في العمل بالمغرب وذلك بتاريخ 21 من شهر ذي الحجة سنة 755هـ الموافق لـ 18 ديسمبر من سنة 1354م.

---

(1) - ولي أبو عنان عبد الرحمان فارس رسمياً الأمر بعد أبيه سنة 752هـ الموافق لسنة 1352م وتوفي شاباً يوم 28 من ذي الحجة سنة 759هـ وسنه ثلاثون سنة. وكان عينه أبوه على تلمسان وسجلماسة فعمد إلى الثورة واغتصاب الملك حين كان أبوه بتونس ومريض في طريقه إلى المغرب. ودارت بينه وبين أبي الحسن أبيه حروب قرب مراكش وسجلماسة. ثم عفا عنه والده وعينه ولياً للعهد. ولما توفي أبو الحسن بهنتاته خارج مراكش دفنه بفاس حاضرة ملكه سنة 752هـ. وبايعه بنو مرين رسمياً سلطاناً بعد أبيه فسلك سياسة حازمة. وكان شجاعاً مقداماً وأديباً عالماً وشاعراً رقيقاً.

## ـ نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي  
الْحَسَنِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي عَلِيِّ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا  
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ  
وَأَعَزَّ نَصْرَهُ وَيُسْنِي إِلَيْهِ الْفَتْحَ الْمُبِينَ وَيَسْرَهُ إِلَى مَرٍّ  
دَلَائِلَ وَدَّهِ مَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ. وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لَدَيْهِ  
مَوْجُودَةٌ وَأَضْدَادُهَا فِيهِ مَعْدُومَةٌ. السُّلْطَانُ الْحَافِلُ  
الْأَظْهَرُ الْبَاسِلُ الْهَمَامُ الْأَمْضَى الْكَبِيرُ الْأَسْمَى الْأَصِيلُ  
الْأَوْفَى الْمَثِيلُ الْأَرْقَى صَاحِبُ أَرْغُونَ وَبَرْشُلُونَةَ وَبَلَنْسِيَّةَ  
وَسَرْقَسَا وَشَاطِبَا وَمَيُورَقَا وَمَنُورَقَا وَبَرْبَرْيَانَ وَرُشُلَ  
وَبِيرِلَانَ وَطَرْغُونَةَ وَطَرْطُوشَةَ وَمَرِيْلَةَ وَشَحِيْتَوَا وَفَيْرَبِيرَا



وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاقِلِ، السُّلْطَانِ الْجَلِيلِ  
 بَدَرُوا أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يُجْرِي فِي الْفَضَائِلِ عَلَى  
 مِنْهَاجِهِ وَيَهْتَدِي فِي الْوَفَاءِ بِسِرَاجِهِ سَلَامٌ كَرِيمٌ طَيِّبٌ  
 بَرٌّ عَمِيمٌ يَسْتَمُدُّ نُورَ الصَّبَاحِ، تَأَلَّقَ بِشْرُهُ وَتَتَهَادَى  
 نَسِيمَاتُ الرِّيحِ طَيِّبَ نَشْرِهِ. وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى  
 وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى الْآيَةِ الَّتِي تَوَالَتْ دِرَاكًا  
 وَنِعْمَايِهِ الَّتِي انْتَضَمَتْ لَدَيْنَا أَسْلَاكًا جَاعِلَ اتِّفَاقِ  
 الْأَهْوَاءِ وَإِمْحَاطِ الْوُدَادِ لِأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَلَكَاتِ.  
 وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى سَائِرِ  
 الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْمَاحِينَ بِصُبْحِ هِدَايَتِهِمْ دِيَاغِيًا لِلشُّكِّ  
 وَأَحْلَاكَ وَالرِّضَاءِ عَنْ آلِهِمْ وَأَصْحَابِهِم الَّذِينَ كَانُوا  
 لِأُمَّتِهِمْ نُجُومًا حَلَوْا مِنَ الْحَقِّ أَفْلَاكَ فَاصْبَحُوا غُيُوثًا  
 إِنْ أَبَدَهُ السَّمَاءُ إِمْسَاكَ وَلُيُوثًا إِنْ أَثَرَهُ الْحَرْبُ عِرَاكَ.  
 وَسَلَّمٌ كَثِيرًا.

فَإِنَّا كَتَبْنَا لَكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ مَا  
يَحْسِبُ الْآمَالُ الْقَاصِيَةَ وَيَسْتَنْزِلُ الْمَارِبَ الْمُتَعَاصِيَةَ مِنْ  
مَنْزِلِنَا الْأَسْعَدِ يَمْنَهُ اللَّهُ بظَاهِرِ الْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ فَتَحَهَا  
اللَّهُ تَعَالَى وَالنَّصْرُ خَافَقَةُ أَعْلَامِهِ وَالتَّائِيْدُ يُؤَكِّدُ عَقْدَهُ  
وَإِبْرَامَهُ. وَقَدْ انْتَضَمَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي سِلْكِ طَاعَتِنَا  
جَمِيعُ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ وَصِرْنَا وَابْنُ عَمَّنَا السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ  
الْأَمْجَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup> يَدًا وَاحِدَةً وَآرَاؤُنَا وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ شَامِلَةٌ وَعَزَايِمُنَا عَلَى الْعَدُوِّ<sup>(٢)</sup> مُتَوَالِيَةٌ. وَقَدْ  
اضْطَرَّرْنَاهُ إِلَى الْإِنْجَحَارِ وَأَذَقْنَاهُ أَلِيمَ النَّكَالِ وَالْحِصَارِ.  
وَعَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَصِلُكُمْ أَخْذُهُ وَالْأَسْتِيْلَاءُ عَلَيْهِ  
بِفَضْلِ اللَّهِ وَحَوْلِهِ.

وَعِنْدَنَا مِنْ وَدِّكُمْ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِجَمَالِكُمْ عُقُودًا لَا

(١) - أبو العباس أحمد: يبدو أن الأمير بن السلطان الحفصي أبي بكر،  
سلطان بلاد الجريد وجنوب إفريقية الذي تصالح مع أبي عنان بعد  
ثورته إثر مغادرة أبي الحسن إفريقية وتونس.

(٢) - العدو: بنو عبد الواد.

يَعْرِفُ الْإِنْصَامَ عُرَاهَا وَقَضَايَا يُؤَكِّدُ أَوَّلَهَا أَخْرَاهَا  
وَسَرَايَا وَدَادٍ يُحَمَّدُ عِنْدَ صُبْحِ الْاِخْتِبَارِ سَرَاهَا. وَإِلَى  
هَذَا أَكَّدَ اللَّهُ مَحَبَّتَكُمْ وَأَثْبَتَ مَدَى الْأَيَّامِ مَبَرَّتَكُمْ.

فَإِنَّا وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابُكُمْ الْمَبْرُورُ وَخِطَابُكُمْ الْمَأْثُورُ  
صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ جَلِيَّامَ مَرِينَرَ أَرْشَدَهُ اللَّهُ فَتَعَرَّفْنَا مِنْهُ  
وَدَّكُمْ وَحُسْنَ عَهْدِكُمْ. وَحَضَرَ لَدَيْنَا (Sic) رَسُولُكُمْ  
مَحْضَرَ الْبِرِّ الْوَاجِبِ لِمَنْ يَصِلُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَقَرَّرَ  
مَا لِمَقَامِكُمْ مِنْ جَمِيلِ الْمَذَاهِبِ وَغَرَضَ مَا يَلْتَمِسُ مِنَ  
الْمَارِبِ وَالْقَى مَا أَشْرْتُمْ مِنْ حَسَمِ مَوَادِّ الْإِعْرَاضِ وَيُسِرُّ  
مَسَالِكِ الْإِغْتِرَاضِ لِتُجَارِ النَّصَارَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ كَتَبْنَا لَكُمْ  
وَأَوْفَيْنَا الْآنَ بِالْإِحَالَةِ. وَمَا ذَكَرْتُمْ عَنِ الْمَأْخُودِينَ فَقَدْ  
حَضَرَ لَدَيْنَا مِنْهُمْ عَشْرُونَ رَجُلًا وَهَآ هُمْ يَصِلُوا لِبَابِكُمْ  
وَمَنْ يَحْضُرُ مِنْ أ[م]ـ[ثَالِهِمْ] <sup>(1)</sup> نُلْحِقُوهُ إِلَى حَضْرَتِكُمْ  
وَلَوْ دَعَتْنَا إِلَيْهِمْ حَاجَةً اسْتَكْثَارٍ وَطَلَبُ اعْتِدَادٍ عَلَى

(1) - زيادة ما بين معقنين لاستقامة المعنى.

الْعَدُوَّ وَاسْتَظْهَرُ لَمْ نُؤْثِرِ الْقَلِيلَ عَلَى الْكَثِيرِ وَلَا  
 أَرْجَحْنَا التَّافَةَ عَنِ الْخَطِيرِ، إِذْ مَقَامُكُمْ عِنْدَنَا مَقَامُ  
 تَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرٍ مَا نَعْتَدُ مِنْ صِدْقِكُمْ وَوَفَايَكُمْ. وَقَدْ حَقَّقَ  
 عِنْدَنَا رَسُولُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُقَرِّبُ لَكُمْ أَنْبَاءَهُ وَيَمَهِّدُ  
 بِسَاحَتِكُمْ بِنَاءَهُ. فَقَدْ آلَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ إِلَى مَا يُرْضِيكُمْ  
 مِنْ جَمِيلِ الْغَرَضِ وَمُشَاكَلَةِ الْقَصْدِ الْمُفْتَرَضِ فَلْتَأْمُرُوا  
 مَنْ بِبِلَادِكُمْ وَنَوَاحِيكُمْ مِنْ تُجَّارِ النَّصَارَى أَنْ يَصِلُوا  
 إِلَى بِلَادِنَا لِتِجَارَتِهِمْ وَعَلَى عَوَايِدِهِمْ مِنَ الْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ  
 وَالرَّغْمِ وَالْاحْتِرَامِ.

وَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَى رَسُولِكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا وَسَعَتُهُ مِنْهُ  
 الثُّبَانُ وَبَيَانُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ بَعْضُ مَا فِي الْجِنَانِ. وَمِثْلُكُمْ  
 مَنْ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِمُقْتَضَى الْخِلَالِ الْحِسَانِ وَالْمَكَارِمِ  
 الْوَاشِحَةِ الْبَيَانِ. وَغَرَضُنَا مِنْكُمْ أَنْ تَجْلُوا لَنَا وَجَهَ كُلِّ  
 مُشْكِلٍ مَهْمًا عَرَضَ وَتَعَرَّضُوا عَلَيْنَا كُلِّ شَكٍّ مَهْمًا  
 عَرَضَ لِنَبْسُطَ لَكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا يُوَافِقُ مِنْكُمْ الْغَرَضَ

بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ وَيَحْرُسُ  
مَجْدَكُمْ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ لَشَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ  
عَامَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ  
وَبَرَكَتَهُ بِمَنَّهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.

## ـ التحليل

كان السلطان أبو عنان بن أبي الحسن (729هـ - 759هـ) السلطان الفعليّ بعد موت أبيه أبي الحسن والحاكم الكامل للمغربين الأقصى والأوسط. فلقد استطاع أن يبسط نفوذه على البلاد الشرقيّة والاستيلاء على تلمسان التي استرجعها بنو عبد الواد عند محنة أبيه أبي الحسن أثناء عودته من تونس، بل توجه كذلك إلى إفريقيّة لاحتلالها، وفتح تونس من جديد مثلما كان الأمر مع أبيه، فاستولى على بجاية وطررد صهر أبيه أبا الفضل بن أبي بكر الحفصي. وتقدّم إلى تونس ففتح معظم المناطق. ولم يدخل تونس. وقفل راجعا إلى المغرب للفتن الداخليّة التي ظهرت.

فكان طموحه كبيرا واندفاعه قويّا وتحركه متواصلا فنراه في هذه الرّسالة يبلغ جاقمو الثاني ملك أراغون بدخول كامل البلاد في طاعته وباستيلائه على تلمسان واتّفاقه مع ابن عمّه أبي العباس واستتباب الأمر نهائيا له.

وبعد إبلاغه ملك أراغون انتصاراته وعزمه على مواصلة التقدّم ودحر الأعداء، أعلم أبو عنان بترو الرابع بوصول كتابه إليه صحبة رسوله "جليّام مرينر" الذي أبلغه ما يكتنه من ودٍّ له وما يرغب فيه من تصفية الأجواء وتيسير الأحوال للتّجار والمسافرين لتعاطي تجارتهم. وكان بترو الرابع طلب من أبي عنان تسريح التّجار النّصارى المحجوزين فأعلمه السّلطان في هذا الكتاب بسراح عشرين منهم وتوجيههم إلى أراغون وأنّه حريص على إرسال أثاثهم حال وصوله. وعلى كلّ فهو قد عمل على إرضائه تقديرا واحتراما لكانته. وحمل رسوله رسالة تُحقّق للملك كلّ أغراضه ورغباته في هذه القضية.

ورجاءه في الآخر إرسال تجّاره النّصارى لبلاد المغرب للقيام بتجارتهم على عوائدهم في أمن واطمئنان وإعلامه بأيّ مشكل يحدث أو معضلة تعرض حتّى يقوم بنفسه بحلّها بما يدخل على الملك الغبطة والرّضا.

### - التعليق

نستنتج من هذه الرّسالة أمرين هامّين:

1 - المناخ السّياسيّ القائم بين المرينيّين والقطلانّيّين :  
يعتمد التفاهم والتّوافق والاسترضاء المتبادل. فلقد حرص  
على تحقيق هذا التّحالف مع المرينيّين جاقمو الثّاني مع  
السّلطان القويّ والبناني للدولة المرينيّة الممتدّة الأطراف  
السّلطان يوسف يعقوب. وواصل سياسته كلّ من أبي سعيد  
وابنه أبي الحسن وحفيده أبي عنان. فالدّولة المرينيّة كانت  
آنذاك في عنفوان شبابها وشوكتها قويّة مهابة.

2 - أهميّة التّجارة في سياسة بترو الرّابع مثلما كانت  
عليه مع جدّه جاقمو الثّاني ملك أراغون وحرصه على  
تواصلها في كنف السّلم والأمن. فعن طريقها كان يبني قوّته  
وسطوته ويخطّط سياسته.

وأخيرا نقف من خلال هذه الرّسالة على طموح  
المرينيّين وسلاطينهم العظماء. فكانوا دوما متوجّهين نحو  
المغرب الأوسط وإفريقيّة، وشمالا نحو السّواحل الأندلسيّة  
والأندلس عموما. وكانوا عمليّا الحاميين للإسلام والمسلمين  
بهذه الرّبوع.



- التقديم

هذا كتابٌ من فارس<sup>(1)</sup> بن أبي الحسن بفاس إلى بترُو  
الرَّابع ملك أراغون يعلن فيه عن إرساله سفيراً لمناقشة  
الصِّلح ويؤكد له مساندته له فيما يخصّ علاقاته مع ملك  
قشتالة وذلك بتاريخ 28 ذي القعدة لسنة 750هـ الموافق لـ  
27 من ديسمبر سنة 1349م.

---

(1) - هو أبو عنان فارس تولّى الأمر بعد وفاة أبيه أبي الحسن أواخر سنة  
1352م.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ فَارِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ  
أَيَّدَ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهُمْ وَأَسْعَدَ عَصَرَهُمْ وَأَزْمَانَهُمْ وَعَمَّرَ  
بِالْبَشَائِرِ وَالْخَيْرِ الْهَابِرِ أَوْطَانَهُمْ بِمَنْهِ. إِلَى السُّلْطَانِ  
الْكَبِيرِ فِي مِلَّتِهِ الْمُعَظَّمِ فِي أَتْبَاعِهِ وَحِلَّتِهِ بِطُرُو صَاحِبِ  
أَرْغُونَ وَبَلَنْسِيَّةَ وَمِيُورَقَةَ وَسَرْدَانِيَّةَ وَبَرْجُلُونَةَ<sup>(1)</sup> وَصِقْلِيَّةَ  
وَصَلَّ اللَّهُ تَعَالَى إِرْشَادَهُ وَيَسِّرْ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْهُدْنَةِ  
مُرَادَهُ بِمَنْهِ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِيِّ الْحَمْدِ وَأَهْلِهِ وَكَافِي  
مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ أَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ وَرُسُلِهِ الْمُبْعُوثِ

(1) - برجلونة : هي برشلونة.

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَالرَّضَى  
عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُرْشِدِينَ بِهِ فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ  
الْفَائِزِينَ... التَّقْدِيمَ وَفَضْلِهِ، وَالِدُعَاءَ لِهَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ  
الْفَارِسِيِّ الْمُتَوَكِّلِي بِنَصْرِ يُرْهِبُ الزَّمَانَ حَدُّ نَصْلِهِ وَعِزُّ  
يَرْتَعُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ فِي كَنْفِ ظِلِّهِ.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ رَأْيًا فِي  
صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ سَدِيدًا وَفِعْلًا فِي تَهْدِيَةِ الْمِلَّتَيْنِ  
حَمِيدًا مِنْ حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ فَاسِ الْبَيْضَاءِ حَرَسَهَا اللَّهُ  
تَعَالَى وَعِنَايَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ تُبْدِي  
أَوَّجَهُ الْعَجَائِبِ وَبَرَكَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ تَهْدِي ضُرُوبَ  
الرَّغَائِبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى كَثِيرًا.

وَالِي هَذَا فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَابِنَا الْعَلِيِّ أَسْمَاهُ اللَّهُ  
تَعَالَى التَّاجِرُ الْمَرْعِيُّ مُجِيلُ الْقَطْلَانِي مِنْ جِهَةِ ثِقَتِكُمْ

الْأَنْجِدَ جَيْلَ الْبَيْرُطِ<sup>(١)</sup> مِنْ مَيُورَقَةَ بِكِتَابٍ مِنْ جَيْلِ  
 الْمَذْكُورِ يَذْكُرُ أَنَّ مُجِيلاً تَحَدَّثَ مَعَهُ فِي أَمْرِ الصُّلْحِ بَيْنَ  
 النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ وَيَقْرُرُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي ذَلِكَ  
 لِمَا فِيهِ مِنَ الْعِمَارَةِ وَالتَّهْدِيدِ. وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ الْأَخْذُ فِي  
 ذَلِكَ مَعَكُمْ إِلَّا بِكِتَابٍ مِنَّا إِلَيْهِ وَإِشَارَةٍ مِنْ جَنَابِنَا الْعَلِيِّ  
 دَالَّةٍ عَلَيْهِ لِيَتَّخِذَ بِذَلِكَ عِنْدَكُمْ سَبِيلاً وَيُقِيمَ مِنْهُ عَلَى  
 هَذَا الْمَقْصَدِ دَلِيلاً. فَاسْعَفْنَا مَطْلَبَهُ فِي الْكُتُبِ بِمَا ذَكَرَ  
 وَسَارَعْنَا إِلَى ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَالْيُسْرِ  
 الْمُنْتَشِرِ. وَكَتَبْنَا إِلَيْهِ لِيَأْخُذَ فِي ذَلِكَ مَعَكُمْ وَيُطَالِعَ بِمَا  
 عِنْدَهُ فِيهِ حَضَرَتَكُمْ. وَخَاطَبْنَاكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ  
 إِعْلَامًا بِذَلِكَ وَتَعْرِيفًا بِمَا فِي هَذَا الْمَسْلَكِ مِنْ بَسْطِ  
 الْأَمَانِ وَتَيْسِيرِ الْمِرَافِقِ هُنَا وَهُنَا لِك. وَقَدْ تَعَرَّفْنَا مَا كَانَ  
 مِنْ أَمْرِكُمْ مَعَ صَاحِبِ قَشْتَالَةَ وَتَحَقَّقْنَا أَقْوَالَهُ فِي مَا

(١) - جيل برنات: السِّفِير الذي أرسله بترو لمناقشة موضوع الصُّلْحِ  
 وشروطه مع السُّلْطَانِ فَارِسٍ وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي الْوُثِيْقَةِ الْمَوَالِيَةِ رَقْم 102  
 .Giles Albert

بَيْنَكُمْ وَأَعْمَالَهُ. وَلَكُمْ عِنْدَنَا مِنَ النَّظَرِ الْجَمِيلِ وَالْاِعْتِنَاءِ  
الْجَزِيلِ وَالْتَّيْسِيرِ لِمَرَامِكُمْ لَدَيْنَا وَالتَّسْهِيلِ مَا يُقَرِّبُ  
لَكُمْ كُلَّ التَّامِيلِ وَيُعِينُكُمْ عَلَى جَمِيعِ مَنْ عَادَاكُمْ  
وَيُرِيكُمْ أَغْرَاضَكُمْ فِي مَنْ بَعْدَ عَنْكُمْ وَدَانَاكُمْ. فَكُونُوا  
بِذَلِكَ وَاثْقِينَ وَإِلَيْهِ رَاكِنِينَ وَعَلَيْهِ عَامِلِينَ.

وَقَدْ وَجَّهْنَا كِتَابَنَا هَذَا صُحْبَةَ الْخَدِيمِ الْأَجَدِّ  
الْأَنْجَدِ الْأَنْهَضِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ  
ال... اباني وَالْخَدِيمِ الْأَجَدِّ الْأَنْهَضِ إِبْرَاهِمَ بْنِ مَحْفُوظٍ.  
وَأَمَرْنَاهُمَا أَنْ يُلْقِيَا <sup>(1)</sup> إِلَيْكُمْ مَا أَلْقَيْنَاهُ إِلَيْهِمَا  
فَلْتَصَدَّقُوهُمَا <sup>(2)</sup> (Sic) فِي جَمِيعِ مَا يُلْقِيَانِهِ إِلَيْكُمْ  
وَيَعُودَانِ سَرِيعًا بِمَا تُودِعُونَهُ <sup>(3)</sup> إِيَّاهُمَا. وَاللَّهُ تَعَالَى  
يُسِّرُ رُشْدَكُمْ وَيُسِّنِي قَصْدَكُمْ. وَإِذَا وَصَلَا مِنْ عِنْدِكُمْ  
بِحَدِيثِ الصُّلْحِ وَتَيْسَّرَتْ بِذَلِكَ أَسْبَابُ النُّجْحِ أَخَذْنَا

(1) - أَنْ يُلْقِيَا : (عوض) لَا يُلْقِيَانِ.

(2) - فَلْتَصَدَّقُوهُمَا : (عوض) لَا فَلْتَصَدَّقَاهُمَا.

(3) - بِمَا تُودِعُونَهُ : (عوض) بِمَا تُودِعُوهُ.

فِي عَقْدِهِ وَإِبْرَامِهِ وَإِكْمَالِهِ عَلَى أَتَمِّ أَحْكَامِهِ، إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وُكْتُبَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِذِي [الـ] قَعْدَةِ عَامِ  
خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

وُكْتُبَ فِي التَّارِيخِ.

## - التحليل

كان بترو الرابع ملك أراغون بادر بمكاتبة السلطان فارس عند تولّيه الأمر بعد موت أخيه وإطلاعه على علاقته بملك قشتالة وبجوّ العداء القائم بينهما، وبمطالبتة بمواصلة العمل بالحلف المبرم بين الدولتين منذ السلطان يوسف بن عبد الحق وبدعم الصداقة والتعاون القائم بينهما.

فقام السلطان فارس برّد الجواب وبتأكيد دعمه لبترو الرابع ومساندته لموقفه وإعانتته على أعدائه فيقول: "ولكم عندنا من النّظر الجميل والاعتناء الجزيل والتّيسير لمرامكم لدينا ... ويعينكم على جميع من عاداكم ويريكم أغراضكم في من بُعد عنكم وداناًكم. فكونوا بذلك واثقين وإليه راكنين وعليه عاملين".

وكان في أوّل الكتاب أعلمه بوصول مبعوث ميورقي هو مُجيل القطلاني من قبل السّفير جيل البيرط Giles Albert صديق بترو بكتاب من جيل نفسه يرغب فيه عقد صلح

بين النصارى والمسلمين لتوفير مناخ من الأمن والسلم يزيل جو العمارة والتهديد السائد والذي يُعيقُ التنقل والاتجار. وكان "جيل" بيّن في رسالته أنّه لا يستطيع التحدّث مع ملك أراغون في هذا الموضوع إلّا بعد حصوله على كتاب من السلطان يدعم هذا المسعى. فبادر السلطان بإرسال مبعوثين من ثقافته هما: منصور بن عليّ بن سليمان اليباني وإبراهيم بن محفوظ ليتحدّثا مع الملك في موضوع هذا الصّح ويعقدا معه أسباب إبرامه وإكماله على أتمّ أحكامه وذلك سنة 750هـ بعد أشهر من تولّي فارس الأمر بفاس.

### - التعليق

إنّ هذا الكتاب هو بمثابة تجديد للحلف القائم بين الدولتين ضدّ القشتاليين وتواصل لعقود الصّح المبرمة مع السلطان أبي عنان بن أبي الحسن. وإنّ كان الجو بين الملكين في آخر أيام أبي عنان بدأ يكفهر كما كانت أشارت إليه الوثيقة السّابقة رقم 100 والوثيقة رقم 199 التي اشتكى فيها أبو عنان من نقض الصّح والإقدام على أسر المسلمين.



## - التقديم

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فَارِس<sup>(1)</sup> بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ  
بِفَاسٍ إِلَى بَتْرُو الرَّابِعِ مَلِكِ أَرَاغُونِ يَعْلَمُهُ فِيهِ بَوْصُولُ رَسُولِهِ  
"جِيلُ الْبَارْت" Gil Albert وَمَعَهُ رِسَالَتُهُ حَوْلَ مَوْضُوعِ الصَّلْحِ  
بِتَارِيخِ 11 رَبِيعِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ 751 هـ الْمَوْافِقِ لـ 18 جَوَانِ  
مِنْ سَنَةِ 1350 م.

---

<sup>(1)</sup> - هُوَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ فَارِس.

## - نصّ الرسالة

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ فَارِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ أَمِيرِ  
 الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدٍ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
 سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ. أَيَّدَ  
 اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ وَأَسْعَدَ زَمَانَهُ الْكَرِيمَ وَعَصْرَهُ. إِلَى  
 السُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ فِي مِلَّتِهِ الْكَبِيرِ فِي أَشْيَاعِهِ وَحِلَّتِهِ  
 بَطْرُو صَاحِبِ أَرْغُونٍ وَبَلَنْسِيَّةٍ وَمِيُورْقَةِ وَسَرْدَانِيَّةٍ  
 وَسَرَقُسْطَةِ وَجُورْسِيَّةٍ وَقُمْطِي بَرَشْلُونَةِ (Sic) وَسَرْدَانَةِ.  
 وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُشْدَهُ وَسَنَى فِي مُوَلَاةٍ<sup>(1)</sup> هَذَا الْمَقَامِ  
 الْعَلِيِّ أَمَلُهُ وَقَصْدُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
 وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ تَتَرَأً<sup>(2)</sup>

(1) - مُوَلَاةٌ: (عوض) لا مولاة.

(2) - تَتَرَأً: تتواصل.

وَتَتَوَالَى وَصَلَةُ الدُّعَاءِ لِهَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ السُّلْطَانِيِّ  
 الْفَارِسِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ بِالنَّصْرِ الَّذِي يَتَّصِلُ اتِّصَالًا. فَإِنَّا  
 كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ الْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ<sup>(1)</sup>  
 حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى. وَبَرَكَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
 تُسَهِّلُ الصَّعَابَ وَتَقْضِي لَنَا بِبُلُوغِ الْأَوْطَارِ وَالْآرَابِ.  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا. وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ  
 تَعَالَى لَكُمْ عَمَلًا مَبْرُورًا وَسَعْيًا مَشْكُورًا.

فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ عَلَى يَدَي رَسُولِكُمُ الزَّعِيمِ جِيلِ  
 الْبَرْطِ. وَقَدْ أَلْقَى إِلَيْنَا مَا أَلْقَيْتُمْ لَهُ. وَتَلَقَّيْنَاهُ مِنْهُ  
 بِالسُّرُورِ وَالرَّعْيِ الْمَوْفُورِ. وَقَدْ أَمَرْنَا بِعَقْدِ الصُّلْحِ وَكَتَبِ  
 الْعُقُودِ بِذَلِكَ عَلَى أَوْثَقِ الْعُهُودِ وَأَوْضَحِ الْمَسَالِكِ. وَطَلَبَ  
 مِنَّا رَسُولُكُمْ الْمَذْكُورُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ وَيُنْصَ جَمِيعَ مَا  
 أَلْقَيْنَاهُ إِلَيْهِ عَلَيْكُمْ وَيَنْعَقِدَ الصُّلْحُ الْمَذْكُورُ عَلَى الْكَمَالِ  
 وَالتَّمَامِ وَالْعُهُودِ الثَّابِتَةِ الْأَحْكَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) - المدينة البيضاء : فاس الجديدة.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا عِنَايَةً كَامِلَةً وَحِفَايَةً شَامِلَةً  
فَتَقُوا بِذَلِكَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرْشِدُكُمْ وَيُسْنِي فِي مُوَالَاةِ  
هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ قَصْدَكُمْ. وَالسَّلَامُ يَخُصُّكُمْ كَثِيرًا.

وَكُتِبَ فِي الْأَحَدِ يَوْمَ الْحَادِي عَشَرَ لِشَهْرِ رَبِيعِ  
الثَّانِي مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ  
تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ. لَا رَبَّ غَيْرُهُ.  
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

## - التحليل -

وجّه السلطان المرينيّ فارس بن أبي الحسن لبترو الرابع ملك أراغون هذا الكتاب بعد وصول رسوله وسفيره "جيل البّارت" وأطلّعه على الرّسالة التي حملها معه من بترو الرابع واستماعه لما ألقاه له باسم الملك حول موضوع الصّح وبنوده. فعبر السلطان فارس عن موافقته على مقترح الملك وعلى عقد الصّح مع إبرام العهود الثّابتة الأحكام، وأمر بكتابة العقود، وسمح للسّفير المذكور بالتّوجّه إلى ملكه لإمضاء العقد وإبلاغه ما ألقاه إليه الملك من مسائل تؤكّد عناية السلطان الكاملة باقتراحات الملك وحفاوته بكلّ ما يصدر عنه لمكانته عنده وعلوّ قدره وهمّته لديه.

## - التعليق -

تبدو من خلال هذه الرّسالة العلاقة بين الملكين طيّبة والمشاعر حميمة والثّقة متبادلة. ففارس الذي خلف أخاه أبا عنان بن أبي الحسن لا يزال في حاجة لتوطيد ملكه

وتثببت عرشه وتأمين حدود بلاده وحصونها من القشتاليين  
والأندلسيين شمالا ومن بني عبد الواد شرقا وجنوبا، فقد  
سار على نهج أجداده وأسلافه وعمل على توفير الأمن من  
جهة القطلانيّين ومواصلة التحالف معهم والتعاون مع بترو  
الرابع وعقد صلح معه يضمن للطرفين السلم وحريّة التنقل  
برا وبحرا والكسب والاتجار.

وبادر كلّ منهما بإمضاء عقد الصلح كما تعرّفنا بذلك  
كلّ من الوثيقتين المواليّتين 103 و104. وإن كان احترام  
العقد غير مضمون فمختلف الأطراف تعتمد إلى التعامل  
بالعهود المبرمة بما يخدم مصلحتها فلا تتردّد عن القطع  
وحجز المراكب وأسر التجار. فالريّح - تجارة أو قرصنة -  
هو سيّد الموقف.

**- التقديم**

هذا كتابٌ من فارس<sup>(1)</sup> بن أبي الحسن بفاس إلى بترو  
الرابع يردّ فيها على طلبات بترو الخاصة بالقراصنة وذلك  
بتاريخ 28 رجب من سنة 752هـ الموافق لـ 20 سبتمبر من  
سنة 1351م.

---

<sup>(1)</sup> - هو السلطان أبو عنان فارس بن السلطان أبي الحسن المتوفّي سنة  
1352م.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ فَارِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى رَبِّ  
الْعَالَمِينَ (Sic) ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ. أَعْلَى  
اللَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُ وَأَعَزَّ نَصْرُهُ. إِلَى السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ فِي  
قَوْمِهِ الْمُعَظَّمِ فِي مِلَّتِهِ صَاحِبِ أَرْغُون. وَصَلَّ اللَّهُ تَعَالَى  
رُشْدَهُ وَسَنَى فِي مُوَالَاةِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ أَمَلَهُ وَقَصْدَهُ.  
سَلَامٌ يُرَاجِعُ سَلَامَكَ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَالرُّضَى عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَعْلَامِ  
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ دِينِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَالِدُعَاءِ لِهَذَا الْأَمْرِ  
الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ الْكَرِيمِ الْفَارِسِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ  
وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكَ مِنْ حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِفَاسَ حَرَسَهَا



اللَّهُ تَعَالَى. وَصُنْعُ اللَّهِ جَمِيلٌ وَفَضْلُهُ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ  
خَيْرٍ كَفِيلٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّهُ وَصَلَ كِتَابُكَ وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا مَا  
لَدَيْهِ. ذَكَرْتَ أَنَّ أَهْلَ مَيُورَقَةَ تَشْكُو لَكَ بِقَضِيَّةِ  
الشَّيْطَانِيِّ<sup>(١)</sup> وَذَكَرْتَ عَمَّا يَلْزُمُكَ مِنَ النَّظَرِ فِي مَصَالِحِ  
رَعَايَاكَ.

وَأَعْلَمَ - وَفَقَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ كَمَا يَلْزُمُكَ النَّظَرُ فِي  
مَصَالِحِ رَعَايَاكَ فَكَذَلِكَ يَلْزُمُنَا نَحْنُ أَنْ نَنْظُرَ فِي صَلَاحِ  
رَعَايَانَا بِأَحْسَنِ النَّظَرِ. وَقَدْ كَثُرَتْ الشُّكَايَاتُ<sup>(٢)</sup> بِمَقَامِنَا  
الْكَرِيمِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَيْتَامِ وَالنِّسَاءِ  
بِقَضِيَّةِ نَاسِهِمُ الَّذِينَ بِبِلَادِكَ أَسْرَى. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ  
أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ تَسَبَّبَ فِي إِفْسَادِ الصُّلْحِ الْعِقَابُ  
فَالصُّلْحُ ثَابِتٌ بَاقٍ عَلَى عَقْدِهِ وَصَحِيحٌ عَهْدُهُ. وَلَوْ كَانَ

---

(١) - الشَّيْطَانِيُّ : مركب بحريّ سريع.

(٢) - الشُّكَايَاتُ : (عوض) الشيكات.

الْعِقَابُ يَجِبُ عَلَى مَنْ أَفْسَدَ الصُّلْحَ لَعَاقِبَتَ خُدَامَكَ  
 الَّذِينَ أَخَذُوا الشَّيَاطِي بِمَقْرَبَةٍ مِنْ جَبَلِ الْفَتْحِ <sup>(1)</sup>  
 حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَتُجَارَكَ الَّذِينَ تَعَدَّوْا عَلَى أَخْذِ  
 الْقَرْقُورَةِ <sup>(2)</sup>. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ التُّجَّارَ يَتَوَجَّهُونَ  
 عَلَى حُكْمِ الْأَمَانِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَذَلِكَ صَحِيحٌ.  
 وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ الْخَطِيبِ مَا تَعَرَّضَ لِلشَّيْطَانِي الْمَذْكُورِ إِلَّا  
 بَعْدَ أَنْ أَشْهَرَ التُّجَّارُ الَّذِينَ كَانُوا بِهِ السَّلَاحَ وَأَظْهَرُوا  
 الْقِتَالَ. وَقَدْ وَصَلْنَا بِذَلِكَ عَقْدُ مَشْهُودٍ. وَمَا حَبَسَ  
 الشَّيْطَانِي الْمَذْكُورَ إِلَّا لَمَّا تَحَقَّقْنَا مِنْ أَنَّهُ لِلتُّجَّارِ الَّذِينَ  
 أَخَذُوا لَنَا الْقَرْقُورَةَ. وَقَدْ كَانَ سَبَبُ حَبْسِ الشَّيْطَانِي  
 الْمَذْكُورِ وَإِنْ أَنْكَرَ التُّجَّارُ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الْقَرْقُورَةَ الْمَذْكُورَةَ  
 فَجِيلٌ بَرَطَ الْمَذْكُورُ كَانَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ. وَإِلَّا فَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا أَنَّ جِيلَ بَرَطَ الْمَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَخَذَهَا. هَذَا هُوَ  
 الظَّاهِرُ إِنْ أَنْكَرَ التُّجَّارُ أَخْذَهَا. وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَا كَانَ

(1) - جبل الفتح : جبل طارق.

(2) - القرقورة : مركب بحري : Сагаса.

بِالشَّيْطَانِي الْمَذْكُورِ هُوَ مَحْفُوظٌ بَاقٍ عِنْدَنَا فَأَمْرٌ<sup>(1)</sup> (Sic)  
تُجَارِكُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا كَانَ فِي الْقَرْقُورَةِ. وَنَصْرِفُ  
عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا كَانَ بِالشَّيْطَانِي الْمَذْكُورِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا بَاقٍ عَلَى صَحِيحِ عَقْدِهِ  
وَرَسْمِهِ. وَكَذَلِكَ التُّجَارُ فِي حُكْمِ الْأَمَانِ وَالْأَطْمِئْنَانِ. لَا  
يَعْرِضُهُمْ أَحَدٌ وَلَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِمْ بِمَكْرُوهِ. فَأَعْلَمُ ذَلِكَ.  
وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ. وَكُتِبَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِرَجَبِ عَامِ  
اِثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

---

(1) - فَأَمْرٌ: (عوض) فامر.

## - التحليل

تَهْمُ هذه الرِّسالة مسائل القطع والقرصنة التي كانت تَحْدُثُ من حين لآخر بين البلدين رغم انعقاد الصِّلح بينهما وما تخلفه من ويلاتٍ ونكباتٍ وتجَرَّه من مصائب لبعض الرِّعايا. فكان بترو الرابع بعث برسالة للسُّلطان فارس يشتكي فيها من تعرُّض قرصان مرينيٍّ هو ابن الخطيب لشيطي<sup>(1)</sup> ميورقيٍّ وحبسه والسَّطو عليه بما فيه. وطالب الملك بتسريح هذا الشَّيْطي وبَيِّن أنَّه يقوم بواجبه نحو رعاياه ويتولَّى الدِّفاع عنهم وهذا من حقه.

وقد كان ردُّ السُّلطان أبي عنان فارس في هذا الكتاب مُفْهِمًا عَنيفًا يَنْمُّ عن اعتذار وثقة في النَّفس وإصرار على الدِّفاع عن أهله ورعاياه كما يحقُّ لملكٍ أراغون الدِّفاع عن رعاياه والبادئ أَظْلَم. فحبس هذا المَرْكب حدث فعلا ولا ينكره السُّلطان بل يُوَكِّد أنَّه تمَّ كردِّ فعل على استيلاء

---

(1) - الشَّيْطي: مركب بحريٍّ سريع.

التَّجَارِ القِطْلَانِيَّيْنِ بِمُضِيقِ طَارِقٍ عَلَى الْقَرْقُورَةِ<sup>(١)</sup> الْمَرِينِيَّةِ.  
وَيَبَيِّنُ لَهُ أَنَّ التَّجَارَ الَّذِينَ كَانُوا بِالشَّيْطِي كَانُوا أَشْهُرُوا  
السَّلَاحِ وَكَانُوا هُمْ أَنْفُسُهُمُ الَّذِينَ بَادَرُوا بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى  
الْقَرْقُورَةِ حَسَبَ مَا ذَكَرَهُ التَّاجِرُ "جِيلُ بَرط". فَلَقَدْ ادَّعَى  
هَذَا الْآخِرُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَةٌ لِإِجْبَارِهِمْ عَلَى إِرْجَاعِ  
الْمَرْكَبِ الْمُخْتَلَفِ. وَلَا حَظَّ أَنَّ التَّجَارَ أَنْكَرُوا الْأَمْرَ مِمَّا يُشِيرُ  
إِلَى أَنَّ جِيلَ بَرط هُوَ صَاحِبُ الْفَعْلَةِ وَالْمُحْتَفِظُ بِالْقَرْقُورَةِ أَمَّا  
الشَّيْطِي بِمَا فِيهِ فَبَاقٍ مُحْفُوظٌ عِنْدَ الْمَرِينِيِّيْنَ.

وَيَطَالِبُ السُّلْطَانُ فِي الْآخِرِ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُأْذِنَ لِتَجَارِهِ  
بِتَسْرِيحِ الْمَرْكَبِ الْمَرِينِيِّ "الْقَرْقُورَةِ" وَإِرْجَاعِ كُلِّ مَا فِيهَا  
حَتَّى يُمْكِنَ لَهُ الْإِذْنُ بِإِرْجَاعِ الشَّيْطِي الْمَذْكُورِ وَجَمِيعِ مَا  
كَانَ بِهِ. وَلَا سَيِّمًا أَنَّ الْعَهْدَ مَا زَالَ قَائِمًا آنَذَاكَ وَرَسْمَ الْعَقْدِ  
صَحِيحًا وَمُعْمُولًا بِهِ حَتَّى يَكُونَ التَّجَارُ فِي حُكْمِ الْأَمَانِ  
وَالْإِطْمِئْنَانِ لَا يَصْلُهُمْ أَدَى أَوْ مَكْرُوهٌ.

---

(١) - الْقَرْقُورَةُ: مَرْكَبٌ بَحْرِيّ Carraca

## - التعليق

إنّ هذا الكتاب يفضح حقيقة العلاقة القائمة بين القطلانيّين والمرينيّين ويؤكد عدم استجابة القراصنة والتجّار القراصنة لبنود العقود وشروط الصّح وعدم احترامهم لها. ويكشف أنّ القطع كان غالباً يتمّ بموافقة السّلطة نفسها وكتعبير عن موقف ما أو كردّ فعل على ما كان حدث من أعمال معادية. فالقطع كان وسيلة من وسائل الضّغط والمشغبة والحرب غير المباشرة وغير العلنية. وكان التجّار من كلاًّ البلدين دوماً ضحيّة هذه السّياسة.

ونلاحظ في الختام صلابة موقف السّلطان فارس وشدّته وجرأته ومعاملته ملكاً أراغون معاملة النّدّ للنّدّ ومن موقف قوّة لا ضعف وهو من كبار السّلاطين المرينيّين وعظمائهم.

- التقديم

إنّها رسالة من فارس بن أبي الحسن<sup>(1)</sup> من فاس إلى  
بترو الرابع يعلمه فيها بموافقته على عقد الصّح مع مملكة  
أراغون وإمضائه له والعمل بكلّ بنوده. وُجّهت بتاريخ 7  
شوال من سنة 751هـ الموافق لـ 8 ديسمبر من سنة 1350م.

---

(1) - هو السلطان أبو عنان فارس. وقد وافق على عقد صلح وحلف مع  
بترو الرابع.

## - نصّ الرسالة

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ فَارِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ أَمِيرِ  
 الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدٍ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
 سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ. أَيَّدَ  
 اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ وَأَسْعَدَ زَمَانَهُ الْكَرِيمَ وَعَصْرَهُ. إِلَى  
 السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ فِي أَهْلِ مِلَّتِهِ الْمُعَظَّمِ فِي أَشْيَاعِهِ وَحُلَّتِهِ  
 دُونَ بَطْرِهِ صَاحِبِ أَرْغُونٍ وَبِلَنْسِيَّةٍ وَمَيُورَقَةٍ وَسَرْدَانِيَّةٍ.  
 وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُشْدَهُ وَبَلَّغَهُ فِي مُوَالَاةِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ  
 أَمَلَهُ وَقَصْدَهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
 وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ تَتْرَأَ وَتَتَوَالَى وَالِدُعَاءِ لِهَذَا  
 الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ الْكَرِيمِ بِالنَّصْرِ الَّذِي يَتَصَّلُ إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ اتِّصَالًا.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ — كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عَمَلًا



مَبْرُورًا وَسَعْيًا مَرْضِيًّا مَشْكُورًا - مِنْ حَضَرَتِنَا الْعَلِيَّةِ  
بِفَاسِ الْمَحْرُوسَةِ. وَصَنَعَ اللَّهُ جَمِيلٌ وَفَضْلُهُ سُبْحَانَهُ  
بِكُلِّ خَيْرٍ كَفِيلٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ وَصَلْنَا كِتَابَكُمْ صُحْبَةَ رَسُولِكُمْ ثِقَتِكُمْ إِفْرَنْسِيْسَ  
بَرْتِيلَ أَرْشَدَهُ اللَّهُ. وَقَرَأْنَاهُ. وَعَلِمْنَا مَا لَدَيْهِ. كَتَبْتُمْ بِأَمْرِ  
الصُّلْحِ الْمُبَارَكِ عَلَى بِلَادِنَا الْمَحْرُوسَةِ بَرًّا وَبَحْرًا وَبَعَثْتُمْ  
بِذَلِكَ عَهْدًا بِطَابِعِكُمْ وَخَطَّكُمْ وَقَدْ أَمْضَيْنَا هَذَا الصُّلْحَ  
الْمَذْكُورَ وَأَبْرَمْنَا أَحْكَامَهُ وَكَتَبْنَا بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِنَا  
الْمَحْرُوسَةِ وَأَشْعَنَّا<sup>(١)</sup> خَبْرَهُ فِي نَوَاحِيهَا لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ  
مَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْ هُنَالِكُمْ مِنَ النَّصَارَى فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ.  
وَيَتَرَدَّدُونَ عَلَى حُكْمِ الْأَمْرِ وَالْأَمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ بِوَجْهِهِ وَلَا عَلَى حَالٍ.

وَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَنَا هَذَا بِتَمَامِ هَذَا الصُّلْحِ الْمَذْكُورِ  
وَأَمْضَائِهِ عَلَى الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ. فَأَعْلَمْنَاكُمْ بِذَلِكَ. وَاللَّهُ

---

(١) - أَشْعَنَّا [من أَشَاعَ الخبر] (عوض): أَشْعَيْنَا.

سُبْحَانَهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ.  
وَكُتِبَ فِي السَّابِعِ لِشَوَّالَ مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ  
وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَفْنَا اللَّهَ تَعَالَى خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ. لَا رَبَّ  
غَيْرُهُ وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ.  
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

## - التحليل

أرسل هذا الكتاب السلطان فارس بن أبي الحسن من فاس إلى بترو الرابع ملك أراغون يؤكد له فيه وصول سفيره افرنسيس برتيل وإطلاعه على بُنود الصلح وشروطه وما يوفره من أمن برًا وبحرًا وعلى العهد المختوم بطابع الملك وخطّه، وَيَعْلَمُهُ بموافقته على الصلح المذكور وإمضائه عليه وإرساله إلى سائر أنحاء البلاد مُشيعا خبره على النصارى والمسلمين وما يوفره من أمانٍ ويضمنه من سلام للجميع.

وكان هذا الصلح امتدادا للصلح الذي كان بين بترو والسلطان أبي عنان بن أبي الحسن والتحالف المبرم بين الطرفين في هذه الفترة الزمانية التي اشتدّ فيها التنافس بين أراغون وقشتالة وضغط القشتاليين على المرينيين ولا سيّما على أحلافهم بني الأحمر بغرناطة.

## - التعليق

يبدو من خلال هذا الكتاب الجوّ طيّباً بين المرينيّين والقطلائيّين والتّحالف الذي تمّ بين الدّولتين منذ عهد السّلطان يوسف المرينيّ الذي كان أوقف زحف القشتاليّين وتهديدهم لمسلمي الأندلس وغرناطة لا يزال متواصلاً. فما زالت الدّولة المرينيّة وقتئذٍ منيعّة قويّة وحامية للأندلس والإسلام بإسبانيا. فهي مع أبي الحسن وابنه أبي عنان فارس في عنفوان شبابها وأوج قوّتها.

**- التقديم**

هذا كتاب من السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن  
من فاس إلى بترو الرابع يُخبره فيه بتوجيه رسول إليه  
يتفاوض معه في موضوع المركب المحتجز ويؤكد احترامه  
الكلّي لعقد الصّح المبرم في رمضان من سنة 751هـ وذلك  
بتاريخ 3 شعبان من سنة 752هـ الموافق لـ 25 سبتمبر من  
سنة 1351م.

## - نصر الرسالة

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ فَارِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ. أَعْلَى  
اللَّهُ تَعَالَى أَوَامِرُهُ وَخَلَدَ آثَارُهُ الْكَرِيمَةَ وَمَآثِرُهُ.

إِلَى السُّلْطَانِ فِي قَوْمِهِ الْمُعَظَّمِ فِي أَشْيَاعِهِ الْأَوْفَى  
بَطْرُهُ صَاحِبِ أَرْغُون. وَصَلَ اللَّهُ رُشْدَهُ وَسَنَى فِي  
مُؤَالَاةِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ أَمَلَهُ وَقَصْدَهُ. سَلَامٌ يُرَاجِعُ  
سَلَامَكَ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَالرِّضَى عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَعْلَامِ  
الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ دِينِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى، وَالِدُعَاءِ لِهَذَا الْمَقَامِ  
الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ الْكَرِيمِ الْمُتَوَكِّلِيِّ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ  
الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِمَدِينَةِ فَاسِ  
الْمَحْرُوسَةِ. وَلَا جَدِيدَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِ  
التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَصَرَفِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ إِلَّا الْخَيْرُ التَّامُّ وَالنَّصْرُ  
الْمُسْتَدَامُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا.

وَقَدْ كَانَ وَصَلْنَا كِتَابُكَ. وَأَنْتَ تَذَكُرُ فِيهِ عَنْ قَضِيَّةِ  
الشَّيْطَانِيِّ<sup>(١)</sup> الَّذِي أَخَذَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ. وَقَدْ وَعَيْنَا جَمِيعَ  
مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَعَلِمْنَاهُ. وَقَدْ أَجَبْنَاكَ عَلَى كِتَابِكَ فَصَلًّا  
فَصَلًّا بِمَا تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي قَضِيَّةِ الشَّيْطَانِيِّ الْمَذْكُورِ.  
وَأَعْطَيْنَا الْكُتُبَ الْمَذْكُورَةَ لِإِرْسَالِكَ.

وَقَدْ اقْتَضَى نَظَرُنَا السَّيِّدُ أَنْ وَجَّهَنَا إِلَيْكَ خَدِيمَنَا  
الْأَجَدَّ الْأَنْهَضَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَحْفُوظٍ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
قَضِيَّةِ الشَّيْطَانِيِّ الْمَذْكُورِ. وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ إِلَيْكَ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَحْفُوظٍ  
الْمَذْكُورُ فَهُوَ يُعَلِّمُكَ بِجَمِيعِ مَا أَلْقَيْنَا إِلَيْهِ فِي قَضِيَّةِ

(١) - الشيطاني: مركب بحري سريع Saetia.

الشَّيْطَانِي الْمَذْكُورَ وَبِالَّذِي [يَكُونُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ فِي ذَلِكَ.  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرْشِدُكَ.

وَأَمَّا قَضِيَّةُ الصُّلْحِ فَهُوَ صَحِيحُ الرَّسْمِ ثَابِتُ الْحُكْمِ  
لَمْ يُنْقَلْ عَنْ حَالِهِ بِوَجْهِ وَلَا عَلَى حَالٍ. وَكَذَلِكَ جَمِيعُ  
تُجَّارِكَ يُحْمَلُونَ بِبِلَادِنَا الْمَحْرُوسَةِ عَلَى الْأَمَانِ التَّامِّ  
وَالْاعْتِنَاءِ وَالْإِكْرَامِ. فَاعْلَمْ ذَلِكَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ  
رُشْدَكَ وَيُسْنِي فِي مُوَالَاةِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ قَصْدَكَ.

وَكُتِبَ فِي الثَّالِثِ لِشُعْبَانَ الْمَكْرَمِ عَامَ اثْنَيْنِ  
وَحَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَّفَ اللَّهُ خَيْرَهُ وَبَرَكَتَهُ. لَا  
رَبَّ غَيْرُهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.



## - التحليل

أرسل السلطان أبو عنان فارس هذا الكتاب لبترو الرابع ليؤكد له مواصلة احترامه الكامل لعقد الصلح المبرم بينهما ويفسر له عن طريق السفير الذي وجهه إليه، وهو إبراهيم بن محفوظ، أسباب حجز أحد رعاياه المرينيين "ابن الخطيب" للشيطي القطلاني الذي كان كاتب في شأنه بترو الرابع السلطان المريني.

ويُعلم أبو عنان فارس ملك أراغون أن سفيره كُلّف بشرح قضية الشيطي وموقفه منها ويؤكد حسن معاملته للتجار القطلانيين وتوفير الأمن لهم.

ونلاحظ أن هذه العملية تحدث بعد عشرة أشهر من عقد الصلح لمدة لا تتجاوز الأربعة عشر شهرا.

## - التعليق

إن هذه الوثيقة التي تحمل رقم 105 تتمثل في رسالة

أبي عنان فارس للملك بترو وتتعلق بعقد الصلح المبرم والوارد نصّه في وثيقة رقم 106. أي بعد هذه الرسالة. والمفروض أن يسبق العقد الرسالة ويحمل رقم 105 وتحمل الرسالة رقم 106. إنه مجرد خطأ، ولا شك في التوثيق. أمّا مضمون الرسالة فهو يؤكد لنا أن عقود الصلح كثيرا ما تكون شكلية وآنية لا تحترم بنودها إذا ما اقتضت الضرورة ومصلحة الملك أو السلطان ذلك.

ويتضح جلياً أن القطع هو الوسيلة المفضلة للضغط على العدو وابتزازه إن كان في حالة ضعف.

ويبدو في الختام السلطان أبو عنان واثقا من نفسه ومسيطرا على الوضع. وفِعْلاً لقد كان من أقوى سلاطين الدولة المرينية وأكثرهم علما وكفاءة سياسية وحربية. وكان عمره وهو يعقد هذا الصلح لا يتجاوز الثالثة والعشرين، إذ توفي سنة 759هـ وهو في الثلاثين.

## 20°) - الوثيقة رقم 106 : معاهدة صلح

### - التقديم

هذه الوثيقة تمثل عقد صلح تم إبرامه بين أبي عنان فارس بفاس وبترو الرابع ملك أراغون بتاريخ 25 رمضان من سنة 751هـ الموافق لـ 26 نوفمبر من سنة 1350م.

## - نصّ الرسالة

هَذَا كِتَابُ عَهْدٍ أُبْرِمَتْ بِيَدِ التَّوْفِيقِ مَعَاقِدُهُ  
وَأُحْكِمَتْ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ قَوَاعِدُهُ وَصَدَقَتْ فِي بَسْطِ  
الْهُدْنَةِ وَالْأَمَانِ شَوَاهِدُهُ. أَمَرَ بِعَقْدِهِ وَإِحْكَامِهِ وَالتَّزَامِ  
شُرُوطِهِ وَأَحْكَامِهِ عَبْدُ اللَّهِ فَارِسُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ  
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ  
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي  
سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ.  
عَقَدَ اللَّهُ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ بِإِيرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ وَحَرَسَ عَلَى  
مَرِّ الزَّمَانِ بِأَهْرِ أَنْوَارِهِ.

مَعَ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ فِي أَهْلِ مِلَّتِهِ الْمُعَظَّمِ فِي  
أَشْيَاعِهِ وَحُلَّتِهِ دُونَ بَطْرِهِ صَاحِبِ أَرْغُونِ وَبَلَنْسِيَّةِ  
وَمِيُورَقَةِ وَسَرْدَانِيَّةِ. أَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ عَلَى  
الْمُهَادَنَةِ وَالْأَمَانِ وَالصُّلْحِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ مَا تَحْتَ  
حُكْمِهِمَا مِنَ الرِّعِيَّةِ وَالْبُلْدَانِ.

فَيَتَرَدَّدُ جَمِيعُ مَنْ أَرَادَ السَّفَرَ مِنْ بِلَادِ كُلِّ وَاحِدٍ

مِنَ السُّلْطَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَلَى حُكْمِ  
التَّامِينَ وَالْعَافِيَةِ وَلَا يُعْتَرَضُ مِنْهُمْ مُقِيمٌ وَلَا مُسَافِرٌ وَلَا  
يُطْلَبُ مَتَرَدِّدٌ مِنْهُمْ وَلَا تَاجِرٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَطَالِبِ  
وَالْتَّكَالِيفِ إِلَّا الْوَاجِبُ لِبَيْتِ الْمَالِ.

ثَمَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاحًا ثَابِتَ الرِّسْمِ مُسْتَقَرَّ الْحُكْمِ  
لِمُدَّةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ شَهْرِ تَارِيخِهِ. وَعَلَيْهِمَا  
فِي ذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقُهُ فِي تَتْمِيمِ هَذَا الصُّلْحِ  
الْمَذْكُورِ لِأَمَدِهِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِشَيْءٍ مِنْ قَوَاعِدِهِ وَلَا  
نَقْضٍ لِأَحْكَامِهِ وَمَعَاقِدِهِ.

وَكُتِبَ أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْرُهُ وَأَعَزَّ نَصْرُهُ خَطَّ يَدِهِ  
الْكَرِيمَةِ إِعْلَامًا بِصِحَّةِ هَذَا الْعَقْدِ الْمُبَارَكِ وَتَقَرُّرًا لِحُكْمِهِ  
فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ الَّذِي مِنْ  
عَامِ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَكَتَهُ  
وَيُؤْمِنُهُ وَأَجْمَلَ بِمَنْهَ خَتَمَهُ. لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ أَعْلَاهُ.

## - التحليل

تتمثل الوثيقة في عقد صلح بين الدولتين : المرينية بفاس وأراغون ببرشلونة ، يضمن الأمن لرعايا البلدين في تنقلهم براً وبحراً بالنسبة للمقيمين وللمسافرين فيتاجرون بصفة حرّة وطلايقة ولا يُطالبون بدفع شيء ما عدا الإتاوة المعلومة والمتفق عليها.

وتقرّر العقد لمدة أربعة عشر شهرا لا يمكن الإخلال بأحد بنوده في أمده. ولقد أمضى عليه السلطان بنفسه إعلاما بصحّته.

## - التعليق

أبرم هذا العقد لمدة قصيرة لا تتجاوز الأربعة عشر شهرا. وهذا أمد قصير جداً لا نعلم سببه. فالعقود الماثلة تُبرم عادةً لمدة لا تقلّ عن أربع سنوات وتمتدّ إلى عشرة أعوام. فلعلّ السلطان أبا عنان فارس الذي عُيّن رسمياً وليّ العهد وتصالح مع أبيه. وكان قضى على كلّ الثورات

والفقت واسترجع تلمسان وما إليها. كان آنذاك غير مستعداً  
للالتهزام بالسلم لمدة طويلة. وهو الطموح جداً والحريص على  
استعادة كل البلاد التي كان استولى عليها والده السلطان  
أبو الحسن: أي من سواحل الأندلس المتوسطية المتكوّنة من  
مملكة بني الأحمر: غرناطة إفريقية إلى طرابلس والمغربين  
الأوسط والأقصى.

ومن المعلوم أنّ الوسيلة المجدية المعتمدة للضغط على  
العدوّ كانت تتمثل في القطع والقرصنة.

أمّا الملك بترو الرابع فكان مثل جدّه جاقمو الثاني  
مهتمّاً بالتجارة ومردودها عن طريق كراء الأجفان والإتاوة  
التي يدفعها التجّار المسلمون والقطلانيّون والتبادل الذي  
يتمّ بفضل مساعدة الجالية اليهودية والسيطرة على طريق  
الذهب عبر سجلماسة<sup>(1)</sup>.

---

(1) - أنظر: طريق الذهب في دراستنا "علاقات القطلانيّين بتلمسان (وثائق  
ودراسات).

21°) - الوثيقة رقم 107 بالأرشيف

- التّقديم

هذا كتاب من أبي عنان فارس بن أبي الحسن بفاس  
إلى المَلِكَة "دونه ليونور" يؤكّد فيه موافقته على عقد  
الصّـلح مع أخيها فريدريك ملك صقلية بتاريخ 3 صفر من  
سنة 759هـ الموافق لـ 15 يناير من سنة 1358م.



## - نصّ الدراسة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ فَارِسَ<sup>(1)</sup> أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنَ مَوْلَانَا  
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي  
الْحَسَنِ ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ  
الْحَقِّ سُلْطَانَ فَاسَ وَمَكْنَاسَةَ وَسَلَا وَمَرَكَشَ وَبِلَادِ  
السُّوسِ وَسَجْلَمَاسَةَ وَبِلَادِ الْقِبْلَةِ وَتَازِي وَتِلْمَسَانَ  
وَالْجَزَائِرَ وَبَجَايَةَ وَقُسْنَطِينَ وَبَلَدِ الْعُنَابِ وَبِسْكَرَةَ  
وَبِلَادِ الزَّابِ وَبِلَادِ إَفْرِيقِيَّةَ وَقَابِسَ وَبِلَادِ الْجَرِيدِ  
وَطَرَابُلُسَ وَطَنْجَةَ وَسَبْتَةَ وَجَبَلِ الْفَتْحِ وَرَنْدَةَ وَمَا إِلَى  
ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَصَلَّ  
اللَّهُ سَعْدَهُ وَوَالَى عَظْدَهُ .

(1) - أبو عنان فارس بن أبي الحسن : هو السلطان المريني أبو عنان  
الذي توفي في موفى ذي الحجة سنة 759هـ.

إِلَى الْحَظِيَّةِ الْمُؤَثَّرَةِ الْمَرْعِيَّةِ الْمَلْحُوظَةِ لِيُنُورَ<sup>(١)</sup>  
أَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَاهُ وَهَيَّأَ لَهَا أَسْبَابَ رِضَاهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ وَالسَّلَامِ  
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ  
المُصْطَفَى وَالرِّضَاءِ عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ  
وَأَعْلَامِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَالِدُعَاءِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَلِيِّ  
الإِمَامِيِّ الْمُجَاهِدِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ الْفَارِسِيِّ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ  
وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضَرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ  
يَمْنَهَا اللَّهُ تَعَالَى. وَصْنَعُ اللَّهِ تَعَالَى جَمِيلٌ وَإِنْعَامُهُ عَزَّ  
وَجَلَّ بِكُلِّ خَيْرٍ كَفِيلٌ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ كَثِيرًا.

وَالِىَ هَذَا فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ فَوْقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَا  
مَضْمَنَهُ وَمَا لَدَيْهِ. وَقَدْ شَكَرْنَا قَصْدَكُمْ وَاسْتَحْسَنَّا مَا

---

(١) - ملكة أراغون زوجة الملك بطرو الرابع وأخت ملك صقلية فريدريك  
ربطت علاقات مودة بأبي عنان ووزيره محمد بن حي بن يوسف  
الحسيني.

عِنْدَكُمْ مِنَ السُّرُورِ بِالْمَصَالِحَةِ الَّتِي وَقَفَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ  
السُّلْطَانِ الْكَرِيمِ صَاحِبِ أَرْغُونِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِتَقْوَاهُ وَمَا طَلَبْتُمُوهُ مِنْ أَنْ نَعْقِدَ الصُّلْحَ لِأَخِيكُمْ فَلَدْرِجَ  
صَاحِبِ صِقْلِيَّةَ. فَقَدْ أَسْعَفْنَاكُمْ بِمَطْلَبِكُمْ فِي ذَلِكَ  
وَأَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِهِ. وَإِنْ أَرَدْتُمْ تَمَامَهُ فَتَبْعَثُونَ مِنْ ثِقَاتِكُمْ  
مَنْ يَعْقِدُ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثُ فِيهِ بِحَضْرَتِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تَعَالَى. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُكْرِمُكُمْ بِتَقْوَاهُ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ أَسْبَابَ  
رِضَاهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ.

وَكُتِبَ فِي الثَّالِثِ مِنْ صَفَرِ الْمُبَارَكِ عَامَ تِسْعَةِ  
وَحَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ<sup>(١)</sup>. عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَهُ.

وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.

(١) - السَّنةُ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ فَارِسَ.

## - التحليل -

يراسل السلطان أبو عنان فارس بهذا الكتاب الملكة "ليُونُورَ" مباشرة ويخبرها باتّصاله برسالتها وإطلاعه على موقفها من المصالحة مع ملك أرغوان زوجها وسرورها بها. ويعلن موافقته على طلبها بعقد الصّح مع فريديريك ملك صقلية شقيقها.

فتبدو الملكة حريصة على تحقيق الصّح لفائدة زوجها بترو الرابع وشقيقها ملك صقلية وساعية بشتى الوسائل للوصول إلى غرضها كما يتّضح ذلك في مراسلات لاحقة.

## - التعليق -

من خلال هذه الرسالة نتوقّف على اتّساع مُلك السلطان أبي عنان وسيطرته على كلّ المغرب الأقصى والمغربيين الأوسط والأدنى وبعض السّاحل الأندلسي: جبل الفتح ورندة. فملكه يمتدّ من طنجة إلى طرابلس. وكان يحكم البلاد أحيانا مباشرة عن طريق الأمراء والشيوخ من بني

مرين. وتارة بكيفية غير مباشرة عن طريق الحفصيين أو الزَّيَّانِيِّين المواليين له والدَّاعين باسمه. وهذا الوضع جعل ملوك النصارى يهابونه ويطلبون عقد الصَّح معه.

فتبدو الدَّولة المرينية معه في عنفوان قوتها وشبابها مثلما كانت عليه أيام أبيه السَّلاطان الكبير أبي الحسن المريني. ولنا أن نتساءل في الختام عن الأسباب الخفية التي دفعت الملكة دونه ليونور إلى التَّدخُّل بنفسها ومراسلة السَّلاطان الشَّابَّ أبي عنان ومطالبته بالمصالحة مع أراغون وصقلية، ثمَّ أن تستقبل موفده بنفسها وتحمله رسالة سرِّية للسَّلاطان. وتطلب من الملك استقباله في بيته. وتحمله رسالة سرِّية هامة تتصل بالوضع في المنطقة بالجزيرة المغربية والجزيرة الإيبيرية ؟

إنَّ الأمر يتعلَّق فيما يبدو بملك قشتالة والأندلس.

## - التّقديم

هذه رسالة بتاريخ 4 صفر من سنة 759هـ الموافق لـ 16 يناير من سنة 1358م من محمّد بن حيّ الحسيني مستشار السّطان المتوكّل أبي عنان إلى الملكة دونه ليونور يخبرها فيها بوصول كتابها إلى حضرة السّطان فيما يخصّ الصّالح المقترح مع أخيها فريديريك ملك صقلية.

## - نصّ الرسالة -

الرَّيْنَةُ الْمُكْرَمَةُ الْمُعَظَّمَةُ الْمُرْفَعَةُ لِيُنُورَ أَمْرُ السُّلْطَانِ الْمُكْرَمِ  
الْمُعَظَّمِ صَاحِبِ أَرْغُونِ أَسْعَدَهَا اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَوَفَّقَهَا لِلْعَمَلِ بِمَا  
فِيهِ رِضَاهُ مُؤَثِّرُ جَنَابِهَا وَمُكْرَمُهُ (Sic) مَمْلُوكُ الْمَقَامِ الْعَلِيِّ  
الإِمَامِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ وَأَمْضَى فِي تَأْيِيدِ الْمِلَّةِ  
الْحَنِيفِيَّةِ اعْتِزَامَهُ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ حَيٍّ الْحُسَيْنِيُّ  
يَتَعَهَّدُهَا<sup>(1)</sup> بِالْبِرِّ الْوَافِرِ وَالْإِكْرَامِ الْمُتَظَاوِرِ مِنَ الْحَضَرَةِ الْعَلِيَّةِ  
الإِمَامِيَّةِ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ حَضَرَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَثَابَةَ الْحَقِّ  
وَمُفِيضِ عَهَادِ الإِمْتِنَانِ عَلَى الْخَلْقِ أَبِي عِنَانٍ أَدَامَ اللَّهُ  
بَسْطَةَ مُلْكِهِ وَنَظَمَ الْبَسِيطَةَ فِي سِلْكِ مُلْكِهِ. وَلَا نَاشِئَ بِفَضْلِ  
اللَّهِ سُبْحَانِهِ. ثُمَّ بِبَرَكَةِ مَقَامِ مَوْلَانَا أَيْدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا  
عَوَدَ سُبْحَانَهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَوِيمِ وَمَنْحِهِ الْجَوِيمِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّ مُكْرَمَ جَنَابِكِ لَمَّا وَرَدَ عَلَى حَضَرَةِ مَوْلَانَا

(1) - يتعهدها: في الأصل يعتهدُها.

دَفَعَ لَهُمْ كِتَابُكَ وَقَرَّرَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ بَرِّكَ وَتَحْفِيكَ بِمَقَامِهِمْ  
 الْأَعْلَى وَبِشْرِكَ وَعِنَايَتِكَ بِجَنَابِهِمُ الْكَرِيمِ وَجَرِيكُمُ فِي حِفْظِ  
 أَسْبَابِ الْوَصْلَةِ عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَاسْتَحْسَنُوا رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَدَبِكَ وَرَأَوْا أَنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِكَ وَشَافَهُتِهِمْ  
 بِمَا أَلْقَيْتَهُ إِلَيَّ مُشَافَهَةً مِنْ حَدِيثِ صَلَحِ أَخِيكَ فَرَزِيقَ قَارَوَا  
 صَاحِبَ سِقْلِيَّةٍ مَعَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمُوجِبَةً رَغْبَتِكُمْ فِي  
 ذَلِكَ. وَقَدْ أَسْعَفَ أَيَّدُهُ اللَّهُ تَعَالَى رَغْبَتَكَ وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ  
 طَلِبَتَكَ تَيْمُنًا<sup>(١)</sup> لِمَسَرَّتِكَ وَجَرِيًّا عَلَى اقْتِرَاحِكَ لِعِلْمِهِ بِقَدْرِكَ  
 وَمَا سَبَقَ مِنْ وِدَادِكَ وَبَرِّكَ. فَأُعْقِدَ الصُّلْحَ كَمَا ذَكَرْتَ  
 بِالتَّفْوِيزِ الَّذِي جَعَلَ لَكَ أَخُوكَ وَيَعْقِدُهُ أَخُوكَ عَلَى نَفْسِهِ.  
 وَمَوْلَانَا يُمَضِّيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِكْمَالًا لِرَغْبَتِكَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ  
 يَحْفَظُ مَقَامَ مَوْلَانَا وَيُمْتَعُ الْمُسْلِمِينَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ بِمَنَّةٍ.

وَكُتِبَ فِي الرَّابِعِ لَصَفْرِ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَخَمْسِينَ  
 وَسَبْعِمِائَةٍ.

(١) - تَيْمُنًا: فِي الْأَصْلِ تَقْمَنًا.



## - التحليل

يقوم الحاجب محمد بن حيّ الحسيني وزير السلطان المرينيّ أبي عنان بإعلام الملكة دونه ليونور زوجة بترو الرابع بوصول كتابها وإطلاع السلطان عليه وموافقته على ما فيه، واقتراحها بعقد صلح بينه وبين الملك فريديريك ملك صقلية.

ويؤكد الحاجب في هذه الرسالة على الطريقة اللاتقة والحفاوة البالغة التي عاملت بها وفده وعلى الرغبة التي عبّرت عنها ليتمّ عقد الصلح مع أخيها فريديريك وأخيرا على موافقته على أن يُبرم الصلح معها بتوكيل وتفويض رسميين منه.

## - التعليق

نستنتج من هذه الرسالة الدور الهامّ الذي كانت تلعبه زوجة الملك في السياسة القطلانية وفي عقد مختلف العلاقات والتحالفات بين الدول، وأخيرا الدور الذاتيّ والشخصيّ في ربط هذه العلاقات وعقد هذه التحالفات بل دور المرأة الأساسي في السياسة الدوليّة في القديم مثلما هو في الحاضر.

- التقديم

رسالة من محمد بن حيّ بن يوسف الحسّيني<sup>(1)</sup> الوزير  
المريّنيّ باسم أمير المؤمنين سلطان فاس إلى ملك أراغون بترو  
الرّابع بتاريخ 11 صفر الخير من سنة 759هـ الموافق لـ 23  
يناير من سنة 1358م تخصّر عقد الصّلىح المراد إبراهيم  
والمهادنة المقترحة على ملك صقلية والملكة ليُنوره أخت  
صاحب صقلية.

---

(1) - وزير السلطان أبي عنان فارس الذي توفي سنة 1359م/759هـ.

## - نصّ الرسالة -

الْمَلِكُ الْمَعْظُمُ الْأَرْفَعُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَوْفَى بِطَرُهُ مَلِكُ  
 أَرْغُونِ وَمَا إِلَيْهَا أَسْعَدُهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمَا فِيهِ  
 رِضَاهُ مُؤَثِّرُ تَكْرُمَتِهِ وَبِرِّهِ الْعَالِمُ بِمَنْصِبِهِ وَقَدْرِهِ مَمْلُوكُ الْمَقَامِ  
 الْعَلِيِّ الْإِمَامِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ بَسْطَةَ التَّأْيِيدِ وَحِفْظَ  
 بَقَائِهِ نِظَامَ الْوُجُودِ الشَّرِيفِ <sup>(1)</sup> مُحَمَّدُ بْنُ حَيٍّ بْنِ يُوسُفَ  
 الْحُسَيْنِيِّ يَعْتَهِدُ <sup>(2)</sup> مَحَلَّهُ بِالْبَرِّ الْوَافِرِ وَالْإِكْرَامِ الْمُتَظَاوِرِ مِنْ  
 بَابِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى  
 بِعَزِيزِ نَصْرِهِ وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ بِبَرَكََةِ هَذِهِ الْخِلَافَةِ  
 الْمَوْلَوِيَّةِ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ الَّتِي هِيَ ظِلُّ اللَّهِ عَلَى الْأَنَامِ وَمَصْدَرُ  
 الْعَدْلِ الَّذِي بِهِ أَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ وَاعْتَزَّزَ الْمُسْلِمُونَ وَالْإِسْلَامُ.  
 وَصَلَ اللَّهُ مَضَاءَ اعْتِزَامِهَا وَسَعَادَةَ أَيَّامِهَا إِلَّا الْخَيْرُ الَّذِي  
 أَفَاضَ عِهَادَهُ وَسَهَّلَ قِيَادَهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَعِنْدَ مُؤَثِّرِكُمْ

(1) - هو السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ.

(2) - يَتَعَهَّدُ: فِي الْأَصْلِ يَتَعَهَّدُ.

إِجَانِبِكُمْ إِثَارُ وَتَكْرِيمُ وَمَبْرَةٌ يَجْرِي فِيهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ .  
وَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ  
بَسْطَةَ سُلْطَانِهِ وَقَرَّرَ لَهُمْ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ جَمِيلِ  
اعْتِقَادِكَ فِيهِمْ وَكَرِيمِ مَنَاحِيكَ فِي الْاِعْتِدَادِ بِعَلِيِّ مَقَامِهِمْ  
وَالرُّكُونِ إِلَى مَأْلُوفٍ وَفَائِهِمْ وَالثَّقَّةِ بِعَظِيمِ عَنَائِهِمْ .

وَذَكَرْتَ لَهُمْ سُرُورَكَ بِإِجَابَتِهِمْ أَيْدَهُمُ اللَّهُ إِلَى مَا  
عَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصُّلْحِ الَّذِي أَوْجَبَ هَذِهِ الْأُلْفَةَ وَحَفِظَ  
أَسْبَابَ الْوَصْلَةِ . فَسَرَّهُمْ أَيْدَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْكَ وَقَابَلُوهُ بِأَوْفَرِ  
حُظُوظِ الْبِرِّ وَأَجَلِّ أَقْسَامِ الْاِعْتِنَاءِ .

فَلَكَ مِنْهُمْ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ بِإِزَاءِ بَرِّكُمْ مِنَ التَّكْرَمَةِ  
وَالْمَبْرَةِ الْخَالِصَةِ الْمُسْتَحْكَمَةِ مَا تَجِدُونَ أَثَرَهُ وَتَجْنُونَ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ ثَمَرَهُ .

وَقَدْ عَرَضْتَ عَلَيْهِمْ أَبْقَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الصُّلْحَ الَّذِي  
عَقَدْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي الْخُمْسَةِ الْأَعْوَامِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي

وَقَعَتْ بِهَا إِشَارَةُ ابْنِ الْأَحْمَرِ <sup>(١)</sup> عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ الْمَصْدَرِ  
إِلَيْكُمْ. فَأَمْضَوْهُ أَيْدَهُمُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِمْ انْكَرِيمَةً إِعْمَالًا  
لِغَرْضِكُمْ وَإِثَارًا لِقِتْرَاحِكُمْ وَجَرِيًا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ خَالِصُ  
مَحَبَّتِكُمْ فِيهِمْ وَإِثَارِكُ لِمَنَاحِيهِمْ. وَأَوْفَقْتَهُمْ أَيْدَهُمُ اللَّهُ  
تَعَالَى عَلَى تَرْجَمَةِ الْكُتُبِ الدَّائِرَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَاحِبِ  
قَشْتَالَةَ <sup>(٢)</sup> فَرَأَوْا مِنْ مَقَاصِدِكَ فِيهَا مَا دَلَّهُمْ عَلَى وَفَائِكَ وَنَفَى  
الْبَغْيَ عَنْ جِهَتِكَ.

وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ أَبْقَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَ الرِّينَةِ  
لِئُورَةِ <sup>(٣)</sup> فِي شَأْنِ مُصَالَحَةِ أَخِيهَا صَاحِبِ صِقْلِيَّةَ وَقَرَّرْتُ  
لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَا صَدَرَ مِنْ بَرِّهَا وَشُكْرِهَا وَأَلْقَيْتَ لَهُمْ رَغْبَتَهَا  
فِي الْإِلْتِنَامِ وَالْإِنْتِظَامِ بِمُصَالَحَةِ أَخِيهَا.

(١) - ابن الأحمر: ملك غرناطة.

(٢) - صاحب قشتالة: الملك فردينان الذي كان يريد محاربة المرينيين  
والاستيلاء على جبل طارق والمضيق فنصحهم ملك أراغون بالمهادنة.

(٣) - عرضت الملكة لئُورَة ملكة أراغون وزوجة بترو الرابع وأخت  
صاحب صقْلِيَّةَ جاقمو على أخيها أن يعقد صلحا مع المرينيين سنة  
759 هـ الموافق لسنة 1358 م.

فَأَجَابَ أَيَّدَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ رَعِيًّا لِمَحَلِّهَا مِنْكَ وَالْتِفَاتًا  
لِقَدْرِهَا وَمَا سَبَقَ مِنْ بَرِّهَا.

وَتَعَرَّفَ مَوْلَانَا أَيَّدَهُمُ اللَّهُ مَا كَتَبْتُمُوهُ لِابْنِ بَرْطِيلٍ مِنَ  
الْحَوَائِجِ الَّتِي أَمَرْتُمُوهُ بِشِرَائِهَا لَكُمْ مِنْ هُنَا فَصَدَرَ أَمْرُهُمُ  
الكَرِيمُ بِأَنْ تَخْرُجَ لَكُمْ جَمِيعُ تِلْكَ الْحَوَائِجِ مِنْ دَارِهِمُ  
الكَرِيمَةِ فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِمَقَامِهِمُ الْأَعْلَى أَنْ يُشْتَرَى لَكُمْ مَا  
يَخْتَصُّ بِكُمْ مِنْ مِثْلِ هَذَا وَمَخَازِنُهُمُ الْوَاسِعَةُ مَمْلُوءَةٌ بِجَمِيعِ  
دَخَائِرِ الدُّنْيَا.

وَجَمِيعُ الْحَوَائِجِ الْمَذْكُورَةِ وَارِدَةٌ عَلَيْكَ صُحْبَةَ ابْنِ  
بَرْطِيلٍ. وَهِيَ مُفَسَّرَةٌ فِي الزَّמَامِ الْوَارِدِ عَلَيْكَ فِي بَطْنِ هَذَا  
الْكِتَابِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ السَّرِّ الَّذِي تَحَالَفْتُ فِيهِ مَعَكَ فِي مَنْزِلِكَ  
فَقَدْ قَرَّرْتُهُ لِمَوْلَانَا فِي خُلُوةٍ بَحِيثٍ لَا يَسْمَعُنَا أَحَدٌ حَسْبَمَا  
وَقَعَ عَلَيْهِ الْيُمْنُ.

وَعَلِمَ أَيَّدَهُ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَوَقَعَ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ فَتَرَوْا

فِيمَا يَصْنَعُ فِي ذَلِكَ إِذِ الْمَسْأَلَةُ عَظِيمَةٌ فَوَقَفَ رَأْيُهُ الْمُبَارَكُ  
 عَلَى أَنْ تُوجَّهُوا مِنْ ثِقَاتِكُمْ الَّذِي تَسْتَقِيمُونَ لَهُ وَتُفْضُونَ  
 بِأَسْرَارِكُمْ إِلَيْهِ مَنْ يَتَحَدَّثُ مَعَ مَوْلَانَا فِيهِ سِرًّا وَيُبْرِمُ مَعَهُ  
 فِي ذَلِكَ مَا يَعْتَمِدُهُ الْفَرِيقَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، لَكِنْ بَعْدَ  
 أَنْ تَجْعَلَ لِمَنْ تُوجَّهُهُ فِي ذَلِكَ تَفْوِيضًا يُمِضِي بِهِ عَلَيْكَ مَا  
 يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَخَاطَبْتُكُمْ بِهَذِهِ عِلْمًا  
 مِنِّي بِأَنَّهَا تَحِلُّ مِنْكُمْ مَحَلَّ الْمَسْرَةِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُسْعِدُكَ  
 بِتَقْوَاهُ وَيُسْتَعْمَلُكَ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ .

وَكُتِبَ فِي الْحَادِي عَشْرَةِ لَشَهْرِ صَفَرٍ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ  
 وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

## - التحليل :

هذه رسالة هامة من وزير سلطان فاس المريني  
ومستشاره محمد بن حيّ بن يوسف الحسيني تخصّ  
علاقات سلطان فاس أبي عنان بملك أراغون بترو الرابع  
وبسياسة المَلِكِينَ بالمنطقة وبالمخططات السّريّة التي  
وُضِعَتْ لِصالح البلدين وضدّ الأعداء المنافسين : ملك قشتالة  
بالنسبة لأراغون وبني عبد الواد وبني الأحمر بالنسبة  
للمرينيّين.

- يذكر الوزير بحسن استقبال ملك أراغون بترو للوفد  
الذي أرسله إليه السّلطان، وبالرّغبة التي عبّر عنها الملك  
لعقد الصّلح ودعم أواصر الصّداقة والمحبة بين الملكين،  
وشكره على المراسلة التي كانت له مع ملك قشتالة لإثناؤه  
عن عزمه على محاربة المرينيّين بعد غزوهم لجبل طارق  
ويتخلّص إلى الكتاب الذي أرسلته ملكة أراغون زوجة بترو  
الرّابع وأخت ملك صقلية "دونه ليُنُورِه" والخاصّ بالصّلح



الذي تريد أن يُبرمه أخوها مع السلطان المريني أبي عنان فارس، وتؤكد فيه موافقة ملك صقلية على العقد واستعداده لإمضائه.

وفي الختام يبادر الوزير بإعلام الملكة بأن السلطان علم بما طلبته الملكة من السفير ابن برطيل من اشتراء حوائج وأشياء خاصة بها فأصدر السلطان قراره بإعطاء الملكة كل ما طلبته من مخازنه وبين أنه لا يمكن السماح باشتراء أشياء هي متوفرة بمخازن السلطان إلى جانب كل "ذخائر الدنيا". ويبلغها أن جميع ما طلبته واصل إليها مع ابن برطيل الذي يحمل إليها كذلك كتابا سرّيا فيه ردّ على المسائل التي تمّ طرحها أثناء زيارة الوزير لبرشلونة.

وينتهي محمد بن حيّ الحسيني حاجب السلطان الرسالة بأمر خطير كان حدثه في شأنه ملك أراغون سرّا ببيتته فيعلمه أنه تحدّث مع السلطان في الموضوع فوافق عليه ويقترح عليه أن يرسل أحدا ممّن يثق فيهم ويحفظ

أسراره ليتفق معه على الأمر ويمضيا عليه. وهو ما من شأنه أن يُدخل عليه كامل الغبطة والسّرور.

### - التعليق

إنّ هذه الرّسالة تُطلعنا على الطّريقة التي كانت تعتمد في المفاوضات والاتّصالات والوساطات التي تتخذ لتحقيق المآرب والأهداف.

وتبيّن لنا عمق العلائق التي كانت قائمة بين السّلطان ووزيره والتّاج الأراغونيّ إلى درجة سمحت بربط علاقة صداقة خاصّة بالملكة نفسها التي كان لها دور سياسيّ كبير وتأثير على الملك وعلى أخيها ملك صقلية.

وتؤكد قوّة شخصيّة هذا السّلطان الشابّ وطموحه الكبير.

ونلاحظ الطّريقة التي استقبل بها ملك أراغون موفد السّلطان أبي عنان ووزيره. فلقد استقبله ببيته الخاصّ

وسارره ووضع معه خطة سرّية تُحقّق تحالف البلدين  
وتخدّم مآرب الملكين.

ولا ننسى الطّموح الكبير الذي كان للسّلطان الكبير أبي  
عنان والغزوات العديدة التي قام بها واستيلاءه على جبل  
طارق والجزيرة وسبّعة وتلمسان وتهديده لملك قشتالة الذي  
كان يُعدُّ الفرص للانقضاض عليه. لذلك كان هذا التحالف  
مع ملك أراغون.

وأخيرا نشير إلى الوسائل المشبوهة التي كان يعتمد إليها  
الملوك ووزراؤهم مثل الهدايا والعطاءات الماليّة والوعود  
المريبة. وفي هذا الإطار تتحقّق التحالفات وتسقط دول وتنشأ  
أخرى.

## التقديم

كتاب من إبراهيم بن أبي الحسن<sup>(1)</sup> بمراكش السلطان  
المريني سلطان فاس وتلمسان إلى بترو الرابع ملك أراغون  
يعلمه فيه بفتح تلمسان وبما قام به بعض القراصنة من  
رعايا الملك من قطع مخالفين بذلك عقد الصلح المبرم بين  
البلدين. وكُتبت الرسالة بتاريخ 7 شعبان سنة 761 هـ الموافق  
لـ 24 جوان من سنة 1360.

---

(1) - السلطان إبراهيم سالم: خلف السلطان أبا عنان بعد الثورات والفتن  
التي ظهرت بين الأمراء والوزراء الحاجبين لسلطينهم الصبيّة مثل  
أبي عنان السعيد.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ إِبْرَاهِيمَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي الْحَسَنِ  
ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ  
فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ ابْنَ عَبْدِ  
الْحَقِّ صَاحِبِ مَدِينَةِ فَاسَ وَمَكْنَسَةَ وَتَازِي وَمَرَكَشَ  
وَسِجْلَمَاسَةَ وَسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ وَجَبَلِ الْفَتْحِ وَرَنْدَةَ وَتِلْمَسَانَ  
وَهُنَيْنَ وَوَهْرَانَ وَتَنْسَ وَالْجَزَائِرَ وَالْمَدْيَةَ وَبِسْكَرَةَ وَالزَّابِ  
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ وَالْقِبْلِيَّةِ  
وَالسَّاحِلِيَّةِ أَيْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَأَعَزَّ نَصْرُهُ.

إِلَى السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الْمَشْهُورِ الْوَفِيِّ الْمَشْكُورِ  
بَطْرِهِ صَاحِبِ أَرْغُونِ وَبَرْشَلُونَةَ وَبَلَنْسِيَّةَ وَقَرْصِيغَةَ  
وَمَيُورْقَةَ. أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسِّرَهُ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى  
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ الْمُصْطَفَى  
وَالرَّضَى عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ دِينِ  
الرُّشْدِ وَالْهُدَى، وَصَلِّهِ الدُّعَاءَ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَلِيِّ الْمُؤَيَّدِ  
الْكَرِيمِ الْإِمَامِيِّ الْمُجَاهِدِيِّ الْمُسْتَعِينِ بِدَوَامِ النَّصْرِ الْأَعَزِّ  
وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى. فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ تِلْمَسَانَ  
حَرَسَهَا اللَّهُ. وَصَنَعَ اللَّهُ جَمِيلٌ وَفَضْلُهُ جَزِيلٌ وَلُطْفُهُ  
كَافٍ كَفِيلٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِلَى هَذَا أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ.

فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُسْرُونَ بِمَا يَتَزَيَّدُ عِنْدَنَا مِنَ الْفَتْحِ  
وَالْخَيْرِ كَمَا أَنَا نُسْرُ لَكُمْ بِمَا يَتَزَيَّدُ عِنْدَكُمْ. وَقَدْ فَتَحَ  
اللَّهُ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَدِينَةَ تِلْمَسَانَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ  
الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ وَفِرَّ الْأَشْقِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا يُظْهِرُونَ  
الْفَسَادَ وَيَجْوِرُونَ عَلَى الرِّعِيَّةِ وَهُمْ بَنُو عَبْدِ الْوَادِ،  
وَخَرَجُوا مَعَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُفْسِدِينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى  
الصَّحْرَاءِ وَدَخَلْنَا نَحْنُ إِلَى الْبَلَدِ وَمَلَكْنَا جَمِيعَ تِلْكَ  
الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ، وَوَجَّهْنَا الْحِصَصَ إِلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ

فِي طَلَبِ الْأَشْقِيَاءِ أَمَكَنَ اللَّهُ مِنْهُمْ. وَعَرَّفْنَاكُمْ بِذَلِكَ  
لِتُسْرُوا لَنَا بِهِ.

وَمُوجِبُ كِتَابِنَا إِلَيْكُمْ أَنَّا كُنَّا قَدَمْنَا إِلَيْكُمْ قَبْلَ هَذَا  
كِتَابًا فِي شَأْنِ خَدِيمِنَا الشَّيْخِ الْأَجَلِ الْأَسْنَى أَبِي  
عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلَّصَهُ اللَّهُ. وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ  
وَصَلَ إِلَيْكُمْ. فَلَمَّا تَيَقَّنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْكُمْ  
أَعَدْنَا الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ فِي شَأْنِهِ.

وَكَذَلِكَ رَكِبَ الْبَحْرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ جَمَاعَةٌ مِنْ  
خُدَامِنَا كَانُوا بِجَهَةِ الشَّرْقِ وَقَصَدُوا بَابَنَا الْكَرِيمَ فَلَقِيَهُمْ  
أَجْفَانٌ غَلَبُوا عَلَيْهِمْ بِالْكَثَرَةِ وَأَخَذُوهُمْ وَنَحْنُ مَعَ هَذَا  
كُلِّهِ لَمْ نَزَلْ عَلَى حُكْمِ الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدْتُمْ مَعَ أَخِينَا  
الْمَرْحُومِ فِي جَمِيعِ بِلَادِنَا وَفِي سَوَاحِلِنَا مِنْ تَجَارِكُمْ  
خَلَقٌ كَثِيرٌ مُقِيمُونَ وَوَارِدُونَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُمْ أَحَدٌ بِمَا  
يَكْرَهُ جَرِيًّا عَلَى حُكْمِ الصُّلْحِ وَإِبْقَاءِ الْمَوَدَّةِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ  
مِنْ نَاسِكُمْ هَذَا الْفِعْلُ فَأَصْدَرْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَنَا لِنَرَى مَا

عِنْدَكُمْ فِي ذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُمْ بَاقِينَ عَلَى حُكْمِ الصُّلْحِ  
فَوْفُوا شُرُوطَهُمْ كَمَا يَجِبُ وَأَطْلِقُوا جَمِيعَ مَنْ بِبِلَادِكُمْ  
مِنْ خُدَامِنَا لِيَصِلُوا إِلَى مَحَلِّ خِدْمَتِهِمْ مِنْ بَابِنَا  
الْكَرِيمِ، وَإِلَّا فَعَرِّفُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ. وَاللَّهُ يُؤْتِيكُمْ هِدَايَتَهُ  
وَتَوْفِيقَهُ. وَالسَّلَامُ يُرَاجِعُ سَلَامَكُمْ.

وَكُتِبَ لِسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ عَامٍ  
أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ لِلْهَجْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا  
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

وَبَعْدَ تَمَامِ هَذِهِ النُّعْمَةِ وَاسْتِرْجَاعِ الْبِلَادِ مِنْ أَيْدِي  
الْفَجْرَةِ ظَهَرَ لَنَا أَنَّ نَرْدَ أَمْرَ تِلْمَسَانَ إِلَى حَفِيدِ السُّلْطَانِ  
أَبِي تَاشَفِينَ الَّذِي رَبِّي بَدَارَنَا وَتَقَلَّبَ فِي نِعْمَتِنَا  
وَاسْتَثْنَيْنَا عَلَيْهِ مَا عَدَا مُسْتَغَانِمَ مِنَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ  
وَشَرَطْنَا عَلَيْهِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِأَمْرِنَا وَتَلَقَّى شُرُوطَنَا  
بِالْقَبُولِ. وَأَقَمْنَا بِهَا وَنَحْنُ عَلَى إِعْمَالِ الرِّكَابِ إِلَى  
حَضْرَتِنَا بِفَاسَ. عَرَّفْنَاكُمْ بِذَلِكَ وَالسَّلَامُ مُعَادٌ عَلَيْكَ.



وَكَذَلِكَ وَلَّيْنَا أَمْرَ بَجَايَةَ وَقُسْنَطِينَةَ صَاحِبَيْهِمَا الَّذِينَ  
كَانَا بِهِمَا مِنْ قَبْلُ. وَهُمَا حَفِيدَا السُّلْطَانِ الْمَرْحُومِ أَبِي  
يَحْيَى<sup>(١)</sup>. وَشَرَطْنَا عَلَيْهِمَا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ. وَاللَّهُ  
الْهَادِي إِلَى الْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ.  
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمُوَرَّخِ بِهِ.

---

(١) - أبو يحيى أبو بكر السلطان الحفصي صهر السلطان أبي الحسن.

## - التحليل -

يعلم السلطان إبراهيم بترو الرابع بفتحه لتلمسان وكلّ البلاد الشرقيّة<sup>(1)</sup> وتزايد نصره وتغلبه على الأعداء ويفترض أنّ مثل هذا النّيا لا بدّ أن يدخل على صديقه ملك أراغون الغبطة والسّرور للعلاقة الطيّبة القائمة بينهما ولتوفّقه التغلّب على الأعداء بني عبد الواد ويخبره أنّه كان أرسل إليه كتابا مع سفيره الشّيخ أبي عمران موسى بن إبراهيم ولكنه لم يصله. لذلك بادر بتوجيه كتاب آخر في نفس الموضوع مع جماعة من شيعة السلطان غير أنّ بعض الأجفان القطلانيّة اعترضتهم وأغارت عليهم منتهكة بذلك الصّلاح المبرم مع المرحوم أخيه السلطان أبي عليّ بن أبي الحسن.

ويغتتم السلطان إبراهيم المناسبة ليذكر ملك أراغون بأنّ تجارا قطلانيّين كثيرين من أراغون يقيمون عنده ولم

---

(1) - البلاد الشرقيّة: السّاحل الجزائريّ الحالي : من وهران إلى بجاية.

يتعرّض لهم أحد بأذى. وكان يمكن أسرهم وأخذهم رهائن، لكنه لم يفعل احتراما لعقد الصّح المبرم وللمودة التي تربطه بالملك. ويعبر عن استغرابه لتواصل القطع وسكوت التّاج الأراغوني على مثل هذا الفعل.

ويطلب منه في الختام الإيفاء بشروط العقد وإطلاق سراح كلّ الأسرى والمحتجزين من البلاد المرينيّة وهو ينتظر وصولهم. ويشدّد عليه مطالبا بإبلاغه حقيقة موقفه ورأيه في الموضوع إن لم يُطلق سراحهم.

وبعد اختتام الرّسالة يستطرد السّلطان وينتقل إلى إعلام ملك أراغون بأنّه قرّر إبقاء حفيد السّلطان أبي تاشفين<sup>(1)</sup> الزّيّاني على رأس مملكة تلمسان ما عدا مرسى مستغانم بشرط أن يدعو للمرينيّين ويحكم باسمهم خاصّة أنّه عاش عندهم ورُبي ببلاطهم. ويعلمه أيضا باستيلائه على بجاية وقسنطينيّة وافتكاكهما من الحفصيّين وسماحه بترك صاحبي

---

(1) - أبو تاشفين: سلطان تلمسان الأسبق كان صديقا للقطلانين وكانت أمّه نصرانيّة.

بجاية وقسنطينة الحفصيّين حفيديّ السّلطان الحفصيّ أبي  
يحيي أبي بكر بشرط الطّاعة والدّعوة للمرينيّين.  
- التّعليق

تتّضح لنا من خلال هذه الرّسالة الهامّة نوعيّة العلاقة  
التي كانت قائمة بين المرينيّين والقطلانيّين والعقليّة  
السّائدة في البلدين والمتمثّلة في رغبة التّوسّع الدّائمة وفي  
الاعتماد دوماً على القطع للتّهديد والتّرهيب ولتحقيق  
الأهداف المرسومة.

ونستنتج أربعة ملاحظات أساسيّة :

1 - إنّ العداوة التي كان يشعر بها المرينيّون نحو بني  
عبد الواد - أبناء عمومتهم الرّناتيين - كبيرة وكانت سبب  
كثير من الفتن والحروب التي جرّت أكبر الويلات على  
البلديّين.

2 - إنّ احترام شروط الصّلح وبنوده لم يكن دوماً تامّاً  
ومثالياً. فالصّلح وقتيّ ويخدم المصلحة الآنيّة والظّرف

ويمكن تجاوزه إن كانت المصلحة في تجاوزه وعدم احترامه .  
والملاحظ أنّ الملك والسّلطان لا يُخلّان بالصّالح المبرم مباشرة  
بل دوماً عن طريق القطع والقراصنة .

3 - يكون غالباً التّجّار والرّعايا المقيمون بالبلد الآخر  
هم الضّحيّة . فنرى كيف أنّ السّلطان يهدّد بطريقة مقنعة  
بحجز التّجّار القطلانيّين وأسرهم وأخذهم رهائن . وإن كان  
يذكر بأنّه لم يُقدّم على مثل هذا العمل للصّدّاقة التي تربطه  
بالمملك بترو .

4 - إنّ السّيّاسة التّوسّعيّة للدولة الميريّنة كانت سبباً  
من أسباب عدم الاستقرار الذي شهدته المنطقة وقتئذٍ  
وإضعاف الدّول المغاربيّة وإن كانت الدّولة الميريّنة في  
العشريّتين الأولى والثّانية من النّصف الثّاني من القرن  
الرّابع عشر تمثّل قوّة حقيقيّة وخطراً على الدّول المجاورة  
لها بما في ذلك الممالك المسيحيّة المجاورة .

**- التقديم**

هذا كتاب من إبراهيم بن أبي الحسن<sup>(1)</sup> المريني سلطان المغرب وتلمسان التي كان سيطر عليها المرينيون بتاريخ 10 شعبان سنة 761هـ الموافق لـ 27 جوان من سنة 1360م. وهو مُوجّه إلى "برنات قبريرة" القطلاني يطلب منه السلطان المريني مساعدة رسوله إلى ملك أراغون في مهمته.

---

<sup>(1)</sup> - السلطان إبراهيم سالم الذي حكم من سنة 1360م. إلى 1363م.

## - نصّ الرسالة

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ إِبْرَاهِيمَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ  
الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ  
الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي الْحَسَنِ  
ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِ  
فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ  
الْحَقِّ. أَيْدِ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ وَأَسْعِدِ الْكَرِيمُ عَصْرَهُ. إِلَى  
الزَّعِيمِ الْمُكْرَمِ الْمَشْكُورِ الْأَوْفَى بَرْنَاطِ قَبْرِيرَةَ<sup>(١)</sup> أَكْرَمَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَاهُ وَأَرْشَدَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْمُبَارَكَةِ  
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرَسُولِهِ  
الْمُصْطَفَى وَالرَّضَى عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ  
أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَأَيِّمَةِ دِينِ الرُّشْدِ وَالْهُدَى وَصَلَةِ الدُّعَاءِ

(١) - برناط قبيرة: كان مستشارا قطلانيا لدى ملك أراغون وصديقا  
لسلطان فاس.

لِمَقَامِنَا الْعَلِيِّ الْمُسْتَعِينِي الْإِبْرَاهِيمِي الْمَجَاهِدِي بِدَوَامِ  
النَّصْرِ الْأَعَزِّ وَاطِّرَادِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ تِلْمَسَانَ حَرَسَهَا اللَّهُ  
تَعَالَى. وَصَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيلٌ وَخَيْرُهُ جَزِيلٌ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وَإِلَى هَذَا أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ.

فَإِنَّا نُعَلِّمُكُمْ أَنَّا قَدْ وَجَّهْنَا الْخَدِيمَ الْمُؤَثِّرَ الْمَرْعِيَّ  
يَعْقُوبَ الرُّقَانِي فِي خِدْمَةِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ الْأَوْفَى  
صَاحِبِ أَرْغُون. فَمَتَى احْتَاجَ إِلَى مُشَارَكَتِكُمْ فِي ذَلِكَ  
فَتُشَارِكُونَهُ بِمَعْهُودٍ وَفَائِكُمْ وَمَشْكُورٍ إِعَانَتِكُمْ. وَكُلُّ مَا  
تَفْعَلُونَ مَعَهُ نَشْكُرُهُ لَكُمْ وَنَصِلُ بِسَبَبِهِ الْإِعْتِنَاءَ قَبْلَكُمْ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ إِكْرَامَكُمْ بِتَقْوَاهُ  
وَارْشَادَكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

كُتِبَ فِي الْعَاشِرِ لِشَعْبَانَ الْمُكْرَمِ مِنْ عَامٍ أَحَدٍ  
وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ  
وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ.



## - التّحليل

بعث السّلطان إبراهيم بن أبي الحسن المريني<sup>(1)</sup> بهذه الرّسالة من تلمسان<sup>(2)</sup> التي كانت وقتئذ تحت الحكم المرينيّ إلى تاجر قطلانيّ صديق خاصّ له مقرب من ملك أراغون، وكان أرسله التّاج الأراغوني مرّات عديدة سفيراً مفوضاً لدى السّلطان المرينيّ.

طلب منه السّلطان إبراهيم أن يُحسّن استقبال مبعوثه يعقوب الرّقاني. ويساعده في مهمّته لدى ملك أراغون، ويقدم له أقصى ما يمكنه من المساعدات حتّى يوفّق في هذه المهمّة. ووعد السّلطان برناط قبريرة التّاجر القطلانيّ بأنّ

---

(1) - أبو الحسن المريني: السّلطان الموحد لكامل الأقطار المغاربيّة والفتاح لتلمسان وإفريقيّة بعد موت صهره السّلطان الحفصيّ أبي بكر. توفيّ سنة 752هـ ودفنه ابنه أبو عليّ بفاس. وكان ثار عليه وهو بتونس.

(2) - كانت تلمسان وقتئذ تحت سلطنة المرينيّين. ولقد استولوا عليها ثلاث مرّات قضا فيها على حكم بني عبد الواد. وفتحها السّلطان إبراهيم للمرّة الأخيرة سنة 765هـ. مثلما يتضح من رسالة 24 جوان.

يكافئه أحسن مكافأة وأن يقدّم له ما يستحقّه من جزيل  
الجزاء.

## - التعليق

1 - نستنتج من هذه الرسالة نوعيّة العلاقات الشخصيّة  
التي كانت تربط بعض السلاطين ببعض التجّار أو السّفراء  
القطانيّين والمعاملات المشبوهة والمريبة التي كانوا  
يعاملونهم بها: فيها الإغراء والعطاء الجزيل.

2 - نلاحظ دَوْر بعض هؤلاء التجّار الذي كان يتجاوز  
عملهم المهنيّ التجاريّ ويتمثّل في الوساطات السياسيّة  
والتدخّل لقضاء بعض المصالح وتحقيق بعض التحالفات.

3 - نرى من خلال هذه الرسالة تداخل المصالح الخاصّة  
واستغلالها للقيام بأدوار سياسيّة أحيانا هامة جدًا  
ووساطات وتدخّلات مشبوهة. فالسلطان إبراهيم حاكم  
تلمسان كان بعد وفاة والده أبي الحسن السلطان الكبير  
يتنافس وبقية الأمراء الرينيّين على السّلطة. وقد تكون

لهذه الرسالة وهذه السفارة صلة بهذا الوضع وبهذا التنافس القائم.

فَنَرَى أَنَّ السُّلْطَانَ المَرِينِيَّ إبراهيم يحاول ضمان حياد أراغون في حربه مع بني عبد الواد والحصول على وعد بعدم مساعدته لهم ومدّهم بالأجفان والسلاح.

4 - كان ملوك أراغون يستغلّون المنافسة القائمة بين الأمراء والسلاطين المرينيين والحكام المغاربيين بصفة عامّة للتدخل في شؤون هذه الدّول ومحاولة السيطرة على بعضها. وكانت هذه الطّريقة هي التي اعتمدها هؤلاء الملوك القطلانيّون مع السلاطين الحفصيّين وملوك عبد الواد أنفسهم.

ويبدو أنّ بترو الرابع قبل التزام الحياد خوفاً من غارات المرينيين وطلعاتهم برّاً وبحراً لقوّة أساطيلهم بعد سيطرتهم على المضيق وجبل طارق. وحاول التحالف معهم ضدّ أجواره المنافسين له القشتاليّين، كما تراءى لنا من خلال مراسلات سابقة تقدّمت.

## خاتمة عامة:

إنّ العلاقات القطلانية المرينيّة الحادّة نسبياً والتميّزة بالمقارنة بالعلاقات القشتاليّة المغربيّة ساعدت ولا شكّ على نموّ التجارة وازدهارها وعلى ثراء التجّار بالبلدين المغربيّ والقطلانيّ ومكّنت السلاطين المرينيّين والملوك الأراغونيين من الحصول على ثروات طائلة وتنمية خزائنهم وعتادهم وإمكانيّاتهم وقدراتهم، فكانت ثرواتهم المتجمّعة وأموالهم المتكدّسة داعمة لطموحاتهم ودافعة لتحقيق مخطّطاتهم في الهيمنة والسيطرة: السيطرة الإمبراليّة الاقتصاديّة بالنسبة لأراغون والتوسّع الترابيّ خاصّة ببلاد المغرب الكبير والأندلس بالنسبة للمرينيّين.

ولقد نتج عن ذلك في القرن الرابع عشر ميلادي وخاصّة في الثلثين الأوّل والثاني منه، في عهد جاقمو الثاني وبترو الرابع والسّلطان يوسف وأبي الحسن وآخر السلاطين العظام أبي فارس بن أبي عنان، توازنٌ بين القوّتين المتقابلتين الإسلاميّة المغربيّة والقطلانيّة الإسبانيّة والمسيحيّة بأروبا.

بل لقد وفر هذا الوضع حماية لمسلمي الأندلس ولدولة  
غرناطة المهددة - رغم مناوأتها الدائمة للمرينيين ومنافستها  
لهم في دون تبصر - وأجل انهيار غرناطة وسقوطها إلى آخر  
القرن الخامس عشر 1498م تاريخ سقوط الدولة المرينية نفسها.  
فتمثل حلقات هذه العلاقات الإسبانية المسيحية مع  
المرينيين والمسلمين بالمغرب العربي في القرن الرابع عشر م  
مرحلة هامة في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية. وتؤكد  
عجز العصبية الدينية النصرانية في النيل من الإسلام  
وتحديه بشمال إفريقيا خاصة والبلاد الإسلامية عامة.

وإن كان هذا الحلم السرابي ما زال يلازم المتعصبين  
والرافضين للتعايش السلمي بين الشعوب - أحرارا  
متساوين - فتبرز العقيدة الإسلامية عبر كل هذه المسيرة  
صرحا شامخا متجددا منيعا لا تؤثر فيه الهزات والتقلبات  
والمؤامرات، مُشعاً بمناراته عبد العصور. ولعل من أهمها  
منارة السلطان المريني أبي سعيد المخطط لسياسة التعايش  
والتقارب القطلاني المريني ونبراس ابنه السلطان العظيم  
أبي الحسن زارع بذرة الوحدة الطبيعية والسياسية لشبه  
الجزيرة المغربية وأساس اتحادها المنشود اليوم.

**القسم الثالث**  
**الفهارس:**  
**فهرس الأعلام**  
**فهرس الأماكن**  
**المصادر والمراجع**  
**محتوى الكتاب**

## فهرس الأعلام

- الاسم رقم الصفحة أو أرقام الصفحات  
 "صاحب صقلية": 284-82-28  
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر "سلطان  
 غرناطة": 76-62-57-54-44  
 أبو الحسن "السُّلطان": 7-36-40-41-42-43-44-45-  
 46-48-49-50-51-52-53-54-55-56-64-217-218-  
 225-227-230-278-312  
 أبو العبّاس أحمد "سلطان تونس": 46-47-57-58-72-  
 73-74-75-76-110-233-237  
 أبو العبّاس الطرطوشي: 152  
 أبو العبّاس الغماري: 28  
 أبو العبّاس الفضل بن أبي بكر: 46  
 أبو العبّاس القبائلي: 78  
 أبو العبّاس بن أحمد الكمّاد "الترجمان": 110  
 أبو الفضل بن أبي بكر: 121-137  
 أبو الفضل بن محمد بن أبي مرّين: 46  
 أبو القاسم بن عتوا: 46  
 أبو بكر الحفصي: 20-21-32-41-42-43-45-46-50-  
 58-112-117-221-233-304-307-312-337-  
 أبو بكر بن محمد بن حمّامة: 14

أبو تاشفين عبد الرحمان بن يغمراسن "من بني عبد  
الواد": 29-41-42-58-64-65-66-105-110-121-200-  
303-306

أبو حفص: 23

أبو حمّو بن عثمان بن يغمراسن: 37-41

أبو حمّو بن يوسف الزيّاني: 64-70-72-74-163

أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن: 36-37

أبو خالد محيو بن أبي بكر: 14

أبو دبّوس يوسف بن بزكاسف: 22-25-26-27-50

أبو زيّان محمّد "السّلطان": 64-67-72-75

أبو سالم إبراهيم "السّلطان": 61-62-63-64-65-66-69-  
75-108-110-112

أبو سعيد عثمان الزيّاني: 18-19-37-38-40-42-78-  
98-99-101-103-193-197-207-212-215

أبو طالب محمّد بن علي العزفي "والي سبتة": 44-113

أبو عامر "الأمير": 35-78-166-167-170-173-178-179-  
184

أبو عبد الله الأجمي "قاضي الجماعة والأنكحة": 47

أبو عبد الله بن زمرك "وزير غرناطي": 73

أبو عبد الله بن عبد الرزّاق "القاضي": 42

أبو عبد الله محمّد بن أبي زكرياء بن أبي بكر: 42-47-79

أبو عبد الله محمّد بن الصّبّاغ المكناسي: 56

أبو عبد الله محمّد بن تافرجين: 41-45-46-47-48-50

أبو عبد الله محمّد بن سليمان الشّطي "عالم": 46-51



- أبو عمر بن أبي الحسن تاشفين : 65-66  
أبو عمران موسى بن إبراهيم "سفير" : 302-305  
أبو عنان أبو الحسن : 7-51-69-106-107-110-226-229-230-239  
أبو عنان فارس بن أبي الحسن : 47-52-53-56-57-58-59-60-69-106-107-108-110-111-217-226-229-237-238-239-140-241-246-247-248-252-254-259-262-266-267-268-272-273-274-277-279-80-81-281-282-283-284-285-286-288-289-290-295-296-297-298-299-315  
أبو فارس الحفصي : 78  
أبو فارس عبد العزيز : 68-69-70-71-78-130-315  
أبو مالك بن أبي الحسن : 7-43-54-89  
أبو محمد بن اشقيلولة "صاحب مالقة" : 31  
أبو محمد بن عبد السلام : "قاضي الجماعة وقاضي الأنكحة" : 47-48  
أبو معروف عبد الحق : 19  
أحمد أبو عثمان بن أبي دبّوس : 49  
أرمون قريبرة (ألون) : 199-200-209-210  
أريباس بلو : 123  
أسرى : 106-115-116-119-120  
ألفنشو - ألفنش - الملك ألفنش "ملك قشتالة" : 8-29-210-225  
ألفونس "صاحب قرطبة" : 30

ألفونس الرابع "ملك أراغون": 105-229

أمير الذواودة: 52

أندلسيون (أهل الأندلس، مسلمون أندلسيون، طوائف

أندلسية، وفد أندلسي، عساكر أندلسية): 38-41-45-55-

57-61-63-88-93-109-130-131-146-165-205-253-

267-315

أولاد الصولي: 50

أولاد مهلهل: 50-58

إبراهيم بن محفوظ "صاحب السلطان ورسوله": 172-244-

247-258-270-272

إسبانيول: 69-89-97-102-229-

إسلام (عقيدة، دين إسلامي، تعاليم إسلامية، شعائر

إسلامية، قوة إسلامية): 7-70-83-87-88-93-131-132-

136-182-185-225-223-242-267-290-301-310-316

إسماعيل محمد بن الأحمر: 44-62-70

إفرانيس برتيل "رسول ملك أراغون": 264-266

ابن ألفونس "ملك الجلالة": 30

ابن الأحمر: 28-29-30-31-34-44-54-55-63-69-70-

72-73-74-89-163-181-182-184-185-292-295

ابن الخطيب "أديب وسفير ووزير": 39-57-62-63-64-

65-67-70-71-73

ابن الخطيب "قرصان مريني": 257-259-270-272

ابن برطيل "سفير ملك أراغون": 293-296

ابن راشد القفصي: 48

- ابن عبد الرّفيّع "عالم": 48  
 ابن عبد السّلام "عالم وقاضي": 47-48  
 ابن عرفة "فقيه وعالم": 48  
 ابن علان "والي الجزائر": 34  
 ابن هارون: 48  
 البابا يوحنا الثّاني والعشرون: 104-105-121-127  
 البابا: 86-127  
 البابا. البابا بروما. الكسندر السّادس: 86-87-94  
 بترو الثّالث "ابن صانشو": 38-82  
 بترو، بدروا. بترو الرّابع: 85-105-107-108-109-111-  
 116-129-271-230-232-238-239-240-243-246-248-  
 252-253-254-259-262-266-268-272-273-274-278-  
 281-283-288-289-282-295-299-305-308-314-315  
 برنات ساقّي "سفير أراغون": 101-118-166-213  
 برنات سجين "رئيس حرس مسيحي": 152-166-168-  
 169-170-171  
 برنات قبريرة "تاجر قطلاني ومستشار الملك وصديق السّلطان  
 المريني إبراهيم": 152-309-310-312  
 بنو الأحمر "ملوك غرناطة": 7-8-9-28-29-30-31-33-  
 34-39-44-45-53-54-55-57-61-62-63-69-70-72-  
 73-74-76-77-79-80-84-87-88-89-92-97-99-103-  
 107-108-111-115-130-137-147-150-163-173-200-  
 216-266-278-295  
 بنو سليم: 17-48-49-223-227

بنو عبد الواد. ملوك بني عبد الواد: 8-9-12-28-29-  
34-35-37-41-42-43-50-56-62-69-84-85-87-91-  
95-97-99-107-116-137-1139-145-177-200-216-  
222-224-227-228-233-237-253-295-301-305-307-  
312-314

بنو عسكر: 13-17

بنو معقل: 63

بنو مُلك: 223-227

بنو يفرن: 12

ببر شمانيس: 169-171

تاشفين بن عبد الواحد: 29

التاج الأراغوني. صاحب أراغون. ملك أراغون. سلطان  
أراغون، ملوك أراغون: 9-10-82-83-84-90-91-93-

95-100-101-102-104-105-106-108-112-115-116-

118-119-124-129-136-139-140-145-146-148-149-

154-157-158-159-160-163-164-166-167-168-171-

172-173-174-176-177-179-184-187-188-191-192-

194-197-198-200-201-205-206-207-208-210-212-

213-215-216-217-218-228-230-231-237-238-239-

240-246-247-248-249-252-255-259-261-262-263-

266-269-272-274-275-277-282-286-289-295-296-

297-298-299-300-305-306-309-312-314-315

جاقدو الثاني: 8-9-10-82-83-85-86-87-89-90-93-

95-96-98-99-100-101-102-103-105-107-108-116-

119-120-124-128-129-139-145-146-147-148-154-  
155-159-163-165-166-170-171-173-176-177-178-  
185-186-187-191-192-193-196-197-200-201-204-  
205-207-210-212-215-218-237-239-278-292-315

جاقدو الغازي : 82

جاقدو : 10-82-109

جبنيدا يتو زكرياء "قائد عسكري" : 84

جلالقة : 30

جليم مرينر "رسول" : 234-238

جيل البيرط ، البيرت ، برط " تاجر وسفير" : 243-246-

247-248-250-252-257-260

جيميناز سُولار : 92-101-115

جُزْبَرْت "رسول" : 173-178-180-182-184-185-186

حسن بن عمر الفودودي "وزير" : 59-61

حفصيون . بنو حفص . الدّولة الحفصيّة : 8-10-27-28-

32-34-35-41-43-44-49-83-85-91-95-104-105-

106-107-136-137-158-177-284-306-307-314

حمّامة بن محمّد بن ورزير : 13-17

الخنّاق "حاكم سبتة" : 148-150-155

خوان "الملك" : 38-78

دو سلان : 113

دوفرك : 98-101-192-200

دون ألفونسو : ابن جاقمو الثّاني "الملك القشتالي" : 8-59-

30-207-210-218-225

دون سانشو، صانشو: 30-33-38-39-40-82-83-84-85-86

دون شانجه "الملك": 30-31

دونة ليونورة "أخت صاحب صقلية": 281-279-283-284-285-286-288-289-292-295-297

دي سلان De Slane "مترجم تاريخ ابن خلدون": 113

دمنجوال النصراني: 212-214-215

الدولة الحفصية: 8-43-105-107-158

الدولة المرينية: 7-9-10-11-12-20-27-53-55-58-60

68-76-78-79-80-81-83-84-85-86-89-90-91-92

93-94-99-102-104-106-107-108-110-111-115

129-130-131-137-138-139-140-141-146-147-163

166-172-184-186-192-200-205-206-215-216-225

228-229-239-261-266-267-277-284-306-307-308

315-316

رامون لول: 100

رديف: 52

رضوان "قائد عساكر بني الأحمر": 57

رحو بن يعقوب الوطاسي: 97-119

زانا أبو يحيى: 13

الزيانيون: 53-85-89-95-107-139-284

سفراء (بصفة عامة): 10

السعيد "الخليفة الموحد بمراكش": 7-17-18-19-21

22-36-37-38-39-40-41-42-56-59-61-78-97-99

101-103-119-147-187-188-181-193-196-197-207-  
212-215-217-218-231-239-241-248-249-255-263-  
269-275-280-300-310-316

السَّعِيد بالله بن أبي الحسن عنان "السَّطَّان": 61-72

شارل إيمانويل: 192

الشيخ الزَّاهر بن عاشر: 63

صانشو الرَّابع: 86

عامر بن الأمير أبي عامر بن يعقوب: 33-35-69-166-

167-170-173-178-179-184

عبد الحق بن محيو: 14-16-17-18-23-36-78-79-97-

عبد الرَّحمان بن خلدون: 12-13-15-25-30-32-38-40-

48-50-52-61-64-68-84-95-97-113-131-200

عبد الرَّحمان بن محمَّد العدوي: 219-225

عبد الرَّحمان بن يعقوب "وزير": 35

عبد الرَّحمان فارس بن أبي الحسن أبي عنان: 230

عبد الله بن مسلم الزرد "وزير أبي حمو": 63

عبد الله بن عمر: 65-66-68-69

عبد المؤمن بن علي: 13-110

العبَّاس بن تافرجين: 45

عثمان بن أبي يوسف يعقوب: 212

عثمان بن عبد الرَّحمان "سلطان زيَّاني": 52-56

عثمان بن يغمراسن: 33-34-35

عرب رياح: 17-18-52-223-227

عرف بن يحيى: "أمير عرب سويد": 46

عزونة "أخت أبي العباس الفضل بن أبي بكر صاحب  
بونة": 46

عسكر بن محمد: 13

علي بن أبي سعيد: 218-196-7

عمر بن السلطان أبي بكر: 49

عمر بن حمزة: 51-50

عمر بن يغمراسن: 26

غوسي بن انطول، غوسيه "قائد نصراني": 66-65

غريسيس لشيبين: 145-141

غرناطة (ملك غرناطة. سلطان غرناطي. ملوك غرناطة):

8-30-33-44-57-62-77-80-84-86-89-92-130-137-

142-143-144-146-147-150-154-161-162-164-165-

172-205-223-266-267-278-280-292-295-299-310

غرناطيون (أهل غرناطة، تحالف غرناطي، تهديد

غرناطي): 89-98-103-115-116

الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر "السلطان": 57-

62-71-73-74-78

فارس بن أبي الحسن: "السلطان المريني": 56-252-266-

268-279-280

فارس بن ميمون: 59

فرج بن الأحمر: 53

فرذريق قاروا: 287

فريديريك، فلديريج "ملك صقلية": 279-281-282-283-

284-285-288-289-292-295-296-297



القائد المُنْد : 44

قبائل المعمورة "بالمغرب" : 24

قبائل بني مرين : 17-20-97

قبائل توجين : 24

قبائل رياح : 17-223-227

قبائل زناتة : 7-12-13-43

قبائل سليم : 223-227

قبائل كعب : 51

قبيلة بني زغبة : 46-63

قبيلة رديف : 52

قبيلة زكارة "قبيلة مغربية" : 18

قبيلة سليم : 223-227

قبيلة هواة "قبيلة مغربية" : 18

قترالو "قائد" : 119

قرصان (قرصان مسلمون، قرصان إسبان، قطاع، قرصنة، قطع) : 10-102-103-106-113-115-119-120-126-186-

216-253-254-259-261-278-299-308

قشتاليون (جيوش، سكان، أجفان قشتالية، علاقات قشتالية، نصارى قشتاليون، سياسة قشتالية) : 8-9-11-

38-43-55-69-70-80-84-87-88-89-90-92-93-98-

103-104-106-107-108-109-113-116-119-127-145-

205-216-247-253-266-267-314-315

قنزالو صانشيش : 97

قنصالو "رئيس حرس مسيحي" : 36

لاكروقيات : 128

مجيل القطلاني : 246-243-242

محمد ابن إسماعيل بن الأحمر : 54

محمد بن أبي عمران : 41

محمد بن العباس بن تافرجين : 50-48-47-46-45-41

محمد بن المحروق : 53

محمد بن حي الحسيني : 285

محمد بن سليمان الشطي : 51-46

محمد بن عبد السلام "قاضي الجماعة بتونس" : 48-47

محمد بن عطوا : 33

محمد بن عليّ العزفي : 44

محمد بن ورزيز بن فكوس : 13

محمد بن يحيى عمر بن الحسيني : "وزير أبي عنان

فارس" : 296-295-289-290-288-286-285-281

محمد بن يغمراسن : 32-9

المخضّب بن عسكر : 14-13

المرتضى "الخليفة" : 27-25-22

المرينيون (سلطان، سلاطين، أمراء، وزراء، ملك، ملوك،

سادة) : 66-63-62-49-48-46-41-29-25-23-19-12

-112-105-103-99-92-90-89-88-84-83-80-78-77

-166-164-158-155-154-147-141-136-130-119-116

-239-229-225-205-201-200-196-191-184-171-170

-306-299-296-295-289-288-284-272-267-261-252

316-315-314-313-312-309-307

المريّنون (قبائل، شيوخ، جند، فرسان، تجّار، أسرى،  
قرصان، رعايا): 9-12-13-14-15-16-17-18-19-20-

21-22-23-26-27-29-32-34-35-36-38-39-41-43-

45-46-47-48-49-51-52-53-54-55-61-66-68-72-

74-78-79-80-83-85-87-88-89-90-92-93-94-97-

103-104-105-106-107-108-109-110-111-115-116-

118-127-129-130-131-143-156-189-191-192-195-

196-200-201-202-205-206-225-229-239-259-260-

267-272-284-295-306-307-314-316

مسعود التّرجمان: 219-220-225

مسعود بن عبد الرّحمان "وزير": 61

مسلمون (تجار مسلمون، مريّنون وغيرهم): 22-30-83-

85-91-95-105-107-108-111-112-113-119-120-

125-126-128-137-145-146-155-176-238-253-261-

278-308-313-315

مسلمون (سفير مسلم، رسول مسلم): 57-63-71-97-272-

305

مسلمون (مسلم): 8-11-18-29-30-32-38-40-44-45-

53-54-63-69-70-79-82-84-87-88-91-93-94-102-

105-106-109-112-113-117-120-131-140-147-149-

158-160-165-167-170-172-174-175-176-179-188-

181-194-198-205-207-208-213-217-218-219-225-

231-239-241-243-247-249-255-263-267-269-275-

278-280-287-290-300-310-315-316

- مسيحيّ (ملك مسيحيّ. ملوك مسيحيّون): 86-92-121-  
126-158-165
- مسيحيّة (دين. كنيسة، مؤسّسة دينيّة، سياسة الكنيسة،  
علاقات مسيحيّة، مصالح مسيحيّة): 97-98-100-110-  
131-316
- مسيحيّة (مملكة مسيحيّة. دول مسيحيّة. إسبانيا  
المسيحيّة. عالم مسيحيّ): 7-8-82-88-131-137-146-  
164-308-315
- مسيحيّون (أسرى): 86-230
- مسيحيّون (تجار): 105-176
- مسيحيّون (جند. حرس. قادة): 90-95-98-101-102-  
104-107-117-118-166-168-170-171-
- مسيحيّون (سكّان مسيحيّون. عامّة. مسيحيّون بإسبانيا.  
أجوار مسيحيّون): 7-8-88-94-102-147-170-172-
- منصور بن علي بن سليمان "كاتب ورسول": 62-66-75
- موسى بن السلطان أبي عنان: 74-75
- موسى بن عثمان بن يغمراسن: 36
- مُجيل القطلاني: 242-243-246
- نابليون اللقيط: 102
- الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ: 32
- الناصر "الخليفة الموحدّي": 14
- الناصر بن أبي الحسن: 52
- الناصر بن أبي سعيد بن أبي يوسف يعقوب بن عبد  
الحقّ: 227

- النَّاصِر عبد الرَّحْمَان بن عثمان الرِّبَّانِي : 52  
 النَّاصِرِي "صاحب كتاب الاستقصاء" : 13-27-31-38-39-50-58-60
- النِّصَارِي (التَّجَار) : 112-222-234-235-238  
 النَّصَارِي (الملوك) : 28-38-40-44-55-87-89-90-99-104-107-130-191-192-195-243-284
- النَّصَارِي (جنود نصارى، قواد نصارى، أساطيل نصرانيّة) : 24-29-31-33-40-41-44-45-55-57-65-66-69-70-89-102-189-191-195-196
- النِّصَارِي (جيوش النَّصَارِي) : 30-45-179  
 النَّصَارِي (سفراء نصارى، رسل نصارى) : 71-101-104-118-123-138-139-159-247-214-252-266-272-276-312-313
- النَّصَارِي (سكّان نصارى) : 29-31-33-45-53-55-57-62-69-70-86-89-90-108-129-137-143-165-174-175-200-243-247-264-266-306
- النَّصْرَانِيَّة (ديانة نصرانيّة، سياسة نصرانيّة، عصبيّة دينيّة نصرانيّة) : 86-108-316
- هارون "وزير يهودي" : 78  
 الهلاليّون ، بنو هلال : 46  
 الواثق الحفصيّ : 27  
 واسين "من بني مرّين" : 43  
 ياسمين "أمّ السُّلْطَان السَّعِيد" : 61  
 يحيى بن عبد الرَّحْمَان بن تاشفين : 58-69

يعقوب الرُّقاني : 312-311  
يعقوب المنصور "الخليفة الموحّدي" : 14  
يعقوب بن عبد الحقّ : 20-22-24-25-32-35-36-42-  
61-140-168-184-193-194-197-198-207-208-213-  
218-241-275-300-310  
يغمراسن (آل يغمراسن) : 34  
يغمراسن بن زيّان "صاحب تلمسان" : 21-22-24-25-26-  
28-29-32-120-149-200  
يهود. جالية يهوديّة، يهودي : 78-75-176-278  
يوحنا الثاني والعشرون : 104  
يوسف المنتصر "الموحّدي" : 14-16  
يوسف بن تاشفين : 110  
يوسف بن عبد الحقّ : 139-142-149-160-167-174-  
179-188-193-204-207-208-215-218-231-241-246-  
249-255-263-269-275-280-300-310

## فهرس البلدان

اسم المكان - رقم الصفحة أو أرقام الصفحات

أبو سنيط: 22

أراغون Aragon : 7-8-9-10-82-92-94-96-105-108-

110-113-115-116-118-120-122-124-125-128-130-

137-138-143-159-176-177-178-194-204-238-241-

266-277-284-305-315

الأرك "بالأندلس": 14

أنزيلة: 125-126

أكرسيف "بالمغرب": 15-63

أم الرّجلين "قرب مراكش": 25

الأندلس Andalousie : 7-8-9-11-14-28-29-30-31-32-

33-36-38-39-40-41-42-43-44-49-53-54-55-57-

61-62-66-67-71-72-74-76-78-80-82-83-86-87-

88-93-99-103-106-107-108-109-110-115-127-

130-131-146-158-162-165-185-204-205-206-239-

267-278-280-283-284-315

أنفة: 126

أوراس: 12

إسبانيا+إسبانيا المسيحية Espagne : 7-9-53-80-82-84-

85-86-87-97-98-99-107-115-131-132-136-137-

138-146-192-204-267-315

إشبيلية Séville : 67-29-30-32-45-67-88-93

إفريقيّة: 7-12-15-20-21-32-35-43-44-47-49-57-  
 -58-59-80-82-83-94-104-105-106-108-111-112-  
 -117-129-131-132-136-158-177-212-221-233-237-  
 239-278-280-312  
 بجاية: 7-8-28-35-41-44-47-48-51-56-83-95-  
 104-177-221-237-280-304-305-306-307  
 بربريان: 231  
 برشلونة - برجلونة Barcelone: 10-105-112-113-116-  
 -117-125-130-137-138-178-188-194-198-208-213-  
 218-241-249-277-296-300  
 بزفاسن "جبل بالمغرب": 337  
 بسكرة: 52-280-300  
 بطوية "بالمغرب": 16-18  
 بلاد الجريد: 12-47-49-51-233-280  
 بلاد الزّاب: 13-14-280-300  
 بلاد السّوس: 49-56-280  
 بلاد المغرب: 18-20-83-100-103-104-110-113-128-  
 129-136-238  
 بلد العنّاب: 280  
 بلنسية Valence: 82-105-109-112-125-167-218-231-  
 241-249-263-275-300  
 بونة Bône: 41-46-49  
 بيرلان: 231  
 تازوطا "بالمغرب": 16-21



تازي - تازا "بالمغرب" : 16-18-22-23-36-37-74-97-  
300-280-218-98

تافرطاست "بالمغرب" : 17

تامزركت : 21

تراقونة : 113

تلمسان الجديدة : 145-149-160-204

تلمسان : Tlemcen -Tilimsen : 7-8-11-12-21-22-24-

25-26-28-32-33-34-36-37-38-41-42-43-47-52-

56-63-64-69-70-71-72-74-75-82-83-84-85-87-

88-94-99-103-130-131-136-137-139-141-145-

158-177-192-200-204-216-224-230-237-278-280-

298-299-300-301-303-305-306-309-311-312-313

توزر : 49-58

تونس : 7-8-9-12-21-32-35-41-42-43-44-47-48-

49-50-51-54-56-58-59-83-95-104-105-116-136-

177-217-221-230-233-237-312

تِنس "أي تونس" : 300

جبل الفتح - جبل طارق : 83-84-88-92-108-109-170-

218-226-257-280-283-292-295-298-300-314

جبل زرهون : 20

الجزائر - الجزائر : 13-16-34-52-95-218-221-

223-226-280-300-305

الجزيرة الخضراء : 29-30-32-33-45-54-55-69-70-

89-92-96-98-99-104-107-119

- الجزيرة المغربية : 316-80
- الجزيرة : 29-32-36-45-98-108-111-181-185-202-204-226-298
- رشل : 231
- رشيون Roussillon : 218
- رندة : 30-49-92-218-280-283-300
- الرّيف - بلاد الرّيف "بالمغرب" : 16-21-86-218
- الزّاب : 13-14-47-280-300
- الزّهراء : 30
- سنبتة "بالمغرب" Ceuta : 28-43-44-45-55-58-67-70-71-78-83-86-88-92-96-104-106-107-111-112
- 154-153-152-151-150-149-148-126-125-119-113
- 300-298-280-258-176-170-165-163-158-155
- سجلماسة : 13-15-22-38-40-42-52-103-108-111
- 300-280-278-230-218-112
- سردانية Sardaigne : 187-188-189-191-192-194-195
- 275-263-249-241-218-213-208-198-196
- سلا "بالمغرب" : 12-22-24-57-60-63-67-86-93-112
- 280-218-126
- سوسة "بتونس" Sousse : 49-50-221
- شالة "بالمغرب" : 53
- شبه الجزيرة الإسبانيّة : 87
- شبه الجزيرة الإيبيريّة : 86-284
- شبه الجزيرة المغربيّة : 83-107-136-284

- شحيوتو : 231
- شرشال : 227-224
- شريش : 34-33
- صقليّة Sicile : 9-28-82-100-125-241-279-282-283-284-285-288-289-292-295-296-297
- طرابلس Tripolie : 12-44-47-83-104-278-280-283
- طرطوشة : 113-231
- طريف : 29-34-43-44-45-55-84-89-107-108-111
- طليطلة Toléde : 31
- طنجة Tanger : 28-67-73-78-112-218-280-283-300
- العقاب "بالأندلس" : 14-29
- غدامس : 12
- غرناطة Grenade : 8-11-30-33-38-40-44-53-54-55-57-62-65-70-71-73-76-77-78-80-82-83-84-86-89-92-98-99-100-102-107-111-130-137-143-144-145-146-147-148-150-154-161-162-164-165-172-185-205-223-266-267-278-316
- فاس "بالمغرب" Fès : 7-12-18-21-22-23-25-28-30-31-33-36-37-38-40-42-52-53-59-60-61-62-64-65-71-72-73-74-79-97-101-112-136-154-164-166-168-178-179-188-191-193-194-197-198-200-201-209-212-213-217-218-230-240-242-247-248-250-254-255-262-264-266-268-270-274-277-279-280-295-299-300-303-312

- فيجج : 13  
 فيربيرارًا : 213  
 قابس : 280-58-49-48-47-44  
 قرتجانة "بإسبانيا" Carthagène : 202  
 قرصغة - قرشغة - كرسিকা Corse : 218-213-194-188  
 قرطاجنة : 125 Carthagène  
 قرطبة Cordoba-Cordoue : 88-31-30  
 قسنطينة "بالجزائر" : 8-47-48-56-58-59-128-280-307-304  
 قشتالة "بإسبانيا" Castellon-Castille : 7-8-28-33-53-57-61-66-67-82-83-84-85-86-92-93-94-95-96-97-98-99-100-104-105-107-108-110-114-115-119-121-130-137-138-146-148-150-154-158-159-161-163-164-165-172-189-191-195-196-200-202-205-206-221-226-229-240-243-246-266-284-292-295-298-295  
 القيروان : 49-50-51-136-221-226  
 مالقة Malaga : 29-31  
 المدينة : 218-222-227-300  
 المدينة البيضاء - فاس الجديدة : 30-60-73-233-250-281  
 مربلا : 231  
 مرسى غساسة : 42  
 مريلة : 231

- مراكش : 7-16-21-22-25-26-27-28-33-52-53-69-  
 112-136-217-218-270-280-299-300
- مستغانم : 34-303-306
- مصراتة : 49
- مغراوة : 12-24-50-223
- المغرب الأدنى : 117-283
- المغرب الأقصى : 7-12-13-14-18-20-24-28-51-72-  
 80-83-84-86-99-112-217-237-278-283
- المغرب الأوسط : 7-8-11-12-13-56-70-83-86-88-  
 103-117-237-239-278-283
- المغرب العربي الكبير : 11-82-138-315-316
- المغرب : 7-9-10-12-13-15-16-17-18-28-29-30-  
 32-33-34-37-43-44-45-47-48-51-52-59-61-62-  
 63-64-66-72-74-78-79-80-82-84-88-92-93-94-  
 95-96-97-99-100-102-106-111-112-113-122-123-  
 125-126-127-131-136-138-170-204-221-230-237-  
 238-283-309-315
- المقرمدة : 16
- مكناسة : 18-20-21-23-56-218-280
- مليانة : 34-219-222-223-227
- مُنْتِقُودو : 83-94
- المنصورة : 34-139-145-170
- مينورقة Minorque : 82-100

-112-108-105-102-100-82-28-9 : Majorque ميجورقة  
 -256-249-241-220-218-176-175-124-118-117-113  
 300-275-263  
 48-34 : ندرومة  
 230-217-52-7 : هنتاتة  
 300 : هنين  
 52 : وادي أم الربيع  
 17 : وادي سبو  
 30 : وادي لك  
 42 : وادي ملوية  
 16 : وادي نكور  
 305-300-63-21 : وطاق  
 34 : وهران "بالجزائر" Oran

## المصادر والمراجع

- أرشيف التاج الأراغوني

- A.C.A: Archives de la couronne d'Aragon

- أرشيف التاج الأراغوني : خرائط عربيّة : نصوص منشورة  
ترجمها إلى الإسبانيّة ألكون

- A.C.A...: Cartes Arabes : Textes publiés et traduits en  
espagnol par ALARCON.

- كتاب التاج لجيميناز سولار. ط. برشلونة. ج3.

Ginninez Soler: La Corona

- روض القرطاس

- تاريخ إسبانيا. لسولديفيلا ج 2

- أريباس بلو: كتاب الاحتلال. برشلونة 1962

Arribas Plau : La conquista

- المراسلة الملكيّة الدبلوماسية

- A.C.A (C.R.D): Correspondance royale diplomatique

- الأرشفة التاريخي لميورقة

- A.H.M: Archives historiques de Majorque (Palma,  
Majorque)

- السلاوي أبو العباس الناصري: الاستقصاء | لأخبار دول المغرب  
الأقصى

- ENNAÇIRI: El Istiksaa

- لوي دو ماس لاتري: معاهدات تخصّ علاقات المسيحيين مع  
عرب إفريقيّة الشّماليّة في العصر الوسيط. باريس 1866
- Mas-Latrie (Louis de): Traités concernant les relations des  
chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au  
moyen- âge
- بيار فيدال: يهود الرّسيليون - باريس 1888
- Pierre Vidal: Juifs de Roussillon - Paris 1888
- برودال: البحر الأبيض المتوسّط
- Braudel: La Méditerranée
- ليفي بروفانسال: تاريخ إسبانيا الإسلاميّة. ج 1. باريس 1950
- Levi Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane
- دوفورك: (شارل ايمانويل): المسيحيّون والمسلمون في القرون  
الأخيرة للعصر الوسيط
- Dufourq Charles Emmanuel: Chrétiens et Musulmans  
durant les derniers siècles du moyen âge
- دوفورك: (شارل ايمانويل): إسبانيا القطلانيّة والمغرب في  
القرنين الثالث عشر والرّابع عشر. باريس 1966.
- Dufourq Charles Emmanuel: L' Espagne Catalane et le  
Maghreb durant le 14<sup>e</sup> et 15<sup>e</sup> siècles.
- إلماني: ميليسياس: الميليشيات: - Alemany Milicias:
- عبد الرّحمان بن خلدون: المقدّمة والتّاريخ. ترجمة دو سلان.  
باريس 1862.



- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في تاريخ غرناطة.

- Ibn El Khatib Lisan Eddine

- ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب.

ج II.

- عمر سعيدان : مراسلة الحفصيين والقطلايين في عهد جاقمو الثاني ملك أراغون : دراسة ووثائق. منشورات سعيدان سوسة 1988.

- SAIDANE Amor : Correspondances des Hafside et des Catalans pendant le reign de Guillaume II roi d'Aragon.. Ed. Saidane. sousse. Tunisie 1988.

- عمر سعيدان : علاقات إسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م. منشورات سعيدان. نوفمبر 2002.

- عمر سعيدان. علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م. منشورات سعيدان. نوفمبر 2002.

## محتوى الكتاب

### القسم الأول : الدراسة التاريخية والعلاقات القطانية المرينية

5

#### الباب الأول : نشأة الدولة المرينية وأهم

6

سلاطينها ووقائعها التاريخية.....

7

- توطئة: الدولة المرينية وأهم السلاطين والأحداث

12

1 - نشأة الدولة المرينية.....

12

أ - أصل المرينيين.....

14

ب - دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى.....

ج - قيام الأمر للأمير أبي سعيد عثمان بن عبد

17

الحق.....

20

2 - دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق.....

20

أ - شخصيته.....

20

ب - غزو مكناسة وبيعة أبي زكرياء الحفصي.....

24

3 - السلطان يعقوب:.....

24

أ - توطيد أركان الدولة.....

25

ب - القضاء على الدولة الموحدية.....

27

ج - التهادن بين الحفصيين والمرينيين وتحالفهم...

28

د - غزواته بالأندلس ونجدته ابن الأحمر.....

33

4 - السلطان يوسف:.....

33

أ - الفتن وإخمادها.....

33

ب - الجواز إلى الأندلس.....

- ج - محاصرة تلمسان وبناء المنصورة..... 34
- د - السلطان أبو ثابت والسلطان أبو الربيع..... 35
- هـ - مبايعة أبي سعيد..... 36
- 5 - السلطان أبو سعيد وأعماله..... 37
- أ - إخماد الفتن..... 37
- ب - نجدة أبي سعيد أهل الأندلس..... 38
- ج - تشجيع أبي سعيد العلماء وبناء المدارس..... 40
- د - علاقة أبي سعيد بالسلطان الحفصي أبي بكر..... 41
- 6 - السلطان أبو الحسن وأعماله وإنجازاته..... 43
- أ - سيطرته على كامل المغرب وجوازه إلى الأندلس..... 43
- ب - وقعة طريف وهلاك زوجة أبي الحسن فاطمة الحفصية..... 43
- ج - مصاهرته الثانية للخليفة أبي بكر الحفصي..... 45
- د - غزو السلطان أبي الحسن إفريقية..... 47
- هـ - نجدة أبي الحسن بني الأحمر ومحاربته نصارى إسبانيا..... 53
- 7 - السلطان أبو عنان (752هـ - 759هـ):..... 56
- أ - حروبه..... 56
- ب - غزوته لإفريقية..... 57
- ج - هلاكه..... 59
- د - خصال أبي عنان..... 60
- 8 - السلطان السعيد بالله بن أبي عنان وبيعة السلطان أبي سالم:..... 61
- أ - السلطان أبو سالم إبراهيم..... 61

- ب - قدوم سلطان غرناطة الغني بالله ووزيره ابن  
 62 الخطيب إلى المغرب.....
- ج - السلطان أبو سالم واستيلاؤه على تلمسان..... 63
- د - مقتل السلطان أبي سالم..... 64
- 9 - السلطان أبو فارس عبد العزيز أبو الحسن: ..... 68
- أ - شخصيته وأعماله..... 68
- ب - استرجاعه الجزيرة الخضراء من يد  
 69 الاسبنيول واستيلاؤه على تلمسان.....
- ج - وفاة السلطان عبد العزيز أبو فارس..... 71
- 10 - السلطان أبو العباس أحمد المستنصر بالله..... 73
- أ - محنة ابن الخطيب..... 73
- ب - فتح تلمسان..... 74
- ج - السلاطين المحجوب عليهم والدولة الثانية  
 75 لأبي العباس أحمد.....
- 11 - انحطاط الدولة المرينية..... 76
- 12 - نوعية العلاقات بين بني الأحمر والمرينيين..... 77
- 13 - تراجع الدولة المرينية وانقراضها..... 78
- 14 - خاتمة..... 80

## الباب الثاني: العلاقات القطلانية - المرينية

- في القرن الرابع عشر م..... 81
- 1 - تطوّر العلاقات الإسبانية المغربية..... 82
- 2 - العراقيل الدائمة في وجه السياسة المرينية  
 86 والسلاطين الحازمين: .....

- أ - سياسة البابا والعصبيّة النّصرانيّة ..... 86
- ب - التنافس بين المرينيّين وبنّي عبد الواد وملوك  
بنّي الأحمر ..... 87
- ج - طموح المرينيّين وسياستهم التّوسّعيّة ..... 87
- د - سياسة ملوك بنّي الأحمر ..... 88
- هـ - تهديد الأجوار والتحالف مع أراغون ..... 89
- و - الفتن الدّاخليّة ..... 90
- ز - الحرس المسيحيّ القطلانيّ والقشتاليّ ..... 90
- ن - الحرص على تسوُّغ المراكب القطلانيّة ..... 91
- 3 - ركائز السّياسة الإسبانيّة بالمغرب حوالى سنة  
1310م: ..... 92
- أ - فشل السّياسة القشتاليّة القطلانيّة ..... 92
- ب - خيبة أمل القطلانيّين وموقف ملك أراغون ..... 93
- ج - الخلافات المغربيّة والفتن الدّاخليّة ومخططات  
قشتالة الهجوميّة والتّوسّعيّة ..... 97
- د - السّياسة السّلميّة لملك أراغون مع المغرب  
والتعامل التجاريّ معه ..... 100
- هـ - التفوّق المرينيّ وازدهار التجارة ..... 105
- و - تواصل التفوّق المرينيّ مع أبي عنان ..... 108
- ز - القوّة البحريّة القطلانيّة ..... 109
- ن - التوازن بالمنطقة ..... 110
- 4 - التبادل التجاريّ ونوعيّته ..... 112
- أ - الاتّجار والتواصل ..... 112
- ب - التوجّه العامّ للنشاط الاقتصاديّ ..... 112

- ج - التأمين على المراكب والبضائع ..... 113
- د - موضوع الأسرى ..... 115
- هـ - سبب عدم تطوّر العلاقات القطلانيّة - المرينيّة ..... 115
- 5 - التجارة الرسميّة للقطلانيين وملك أراغون  
جاكمو الثاني وبترو الرابع: ..... 116
- أ - المراكب ..... 116
- ب - كراء الحرس ..... 117
- ج - العنصر البشري والمتاجرة بالإنسان ..... 119
- د - تجارة العبيد ومختلف البضائع الأخرى ..... 120
- هـ - النقل وسعره ..... 121
- 6 - ملحقات: جداول وقيمة المراكب والبضائع ..... 125
- أ - قيمة العمليّات التجاريّة ..... 125
- ب - قيمة البضائع المغربيّة ..... 126
- ج - عدد التجّار الذين قدموا للتجارة بالبلاد  
المغربيّة ..... 126
- ..... 127
- ..... 130
- ..... 133

### القسم الثاني : الوثائق : رسائل وعقود

- تقديمها - تحليلها - التعليق عليها ..... 135
- المرينيّون ومراسلاتهم مع ملك أراغون  
بإسبانيا القطلانيّة: تمهيد ..... 136

|     |  |
|-----|--|
|     | 1° - الوثيقة رقم 77 بالأرشف الأراغوني (التقديم |
| 139 | - الوثيقة - التحليل - التعليق).....            |
| 148 | 2° - الوثيقة رقم 78.....                       |
| 159 | 3° - الوثيقة رقم 79.....                       |
| 166 | 4° - الوثيقة رقم 80.....                       |
| 173 | 5° - الوثيقة رقم 81.....                       |
| 178 | 6° - الوثيقة رقم 82.....                       |
| 187 | 7° - الوثيقة رقم 83.....                       |
| 193 | 8° - الوثيقة رقم 83 مكرّر.....                 |
| 197 | 9° - الوثيقة رقم 84.....                       |
| 201 | 10° - الوثيقة رقم 84 مكرّر.....                |
| 207 | 11° - الوثيقة رقم 85.....                      |
| 212 | 12° - الوثيقة رقم 86.....                      |
| 217 | 13° - الوثيقة رقم 99.....                      |
| 230 | 14° - الوثيقة رقم 100.....                     |
| 240 | 15° - الوثيقة رقم 101.....                     |
| 248 | 16° - الوثيقة رقم 102.....                     |
| 254 | 17° - الوثيقة رقم 103.....                     |
| 262 | 18° - الوثيقة رقم 104.....                     |
| 268 | 19° - الوثيقة رقم 105.....                     |
| 274 | 20° - الوثيقة رقم 106.....                     |
| 279 | 21° - الوثيقة رقم 107.....                     |
| 285 | 22° - الوثيقة رقم 108.....                     |
| 289 | 23° - الوثيقة رقم 109.....                     |

|     |       |                       |
|-----|-------|-----------------------|
| 293 | ..... | 24° - الوثيقة رقم 110 |
| 309 | ..... | 25° - الوثيقة رقم 112 |

|     |       |            |
|-----|-------|------------|
| 315 | ..... | خاتمة عامة |
|-----|-------|------------|

## 317 ..... القسم الثالث: الفهارس

|     |       |                |
|-----|-------|----------------|
| 318 | ..... | - فهرس الأعلام |
|-----|-------|----------------|

|     |       |                |
|-----|-------|----------------|
| 334 | ..... | - فهرس الأماكن |
|-----|-------|----------------|

|     |       |                    |
|-----|-------|--------------------|
| 342 | ..... | - المصادر والمراجع |
|-----|-------|--------------------|

|     |       |                |
|-----|-------|----------------|
| 345 | ..... | - محتوى الكتاب |
|-----|-------|----------------|